سـنجار مـن ٥٢١-٦٦٠ هـ/ ١١٢٧-١٢٦١م

صاحب الامتياز
حافظ قاضي

رئيس التحرير
مؤيد طيب

حقوق الطبع محفوظة

العنوان
كوردستان العراق – دهوك
مبنى اتحاد نقابات عمال كوردستان
الطابق الثالث
هاتف: ٧٢٢٥٣٧٦ - ٧٢٢٢١٢٥

www.spirez.org
www.spirezpage.net

- **تسلسل الاصدار: (١١٦)**
- **عنوان الكتاب:** سنجار من ٥٢١ – ٦٦٠هـ/ ١١٢٧ – ١٢٦١م
- **تأليف:** د. موسى مصطفى الهسنياني
- **تنضيد وتصميم:** شيرزاد محمد عمر
- **الغلاف:** نجم الدين بيري
- **الاشراف الطباعي:** زاكروس محمود
- **الطبعة:** الاولى
- **عدد النسخ:** (١٠٠٠) نسخة
- **رقم الايداع:** ( ) لسنة ٢٠٠٥
- **مطبعة وزارة التربية - اربيل**

دار سپيريز للطباعة والنشر
SPIREZ PRESS & PUBLISHER

سـنـجـار

من (٥٢١ -٦٦٠هـ/١١٢٧- ١٢٦١م)

دراسة فى تاريخها السياسي والحضاري

د. موسى مصطفى الهسنياني

٢٠٠٥

اصل هذا الكتاب رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي
(تاريخ الكورد الاسلامي) نوقشت سنة ١٩٨٩ في كلية الآداب/
جامعة صلاح الدين/ اربيل باشراف الاستاذ الدكتور عماد الدين خليل

الاهداء

إلى اخي.. حسن

المعلم الأول في حياتي

شكر وتقدير

لابد لطالب العلم أن يشكر الذين أعانوه في إنجاز عمله، وأول من أتوجه إليهم بالشكر والتقدير العميقين أستاذي المشرف الدكتور عماد الدين خليل الذي تمت هذه الرسالة تحت إشرافه، وأخذت سماتها الأخيرة من خلال تتبعه لجميع مراحل العمل وما بذله من جهد ووقت، كما أتوجه بشكري إلى الدكتور حسام الدين النقشبندي رئيس قسم التاريخ في (كلية الآداب/ جامعة صلاح الدين)، لما قدمه من تسهيلات ادارية ونصائح علمية بشأن الموضوع، واشكر الأستاذ الدكتور محمد قاسم مصطفى في (كلية التربية/ جامعة الموصل) للمعاملة الأخوية التي لمستها منه، والجهود الشخصية الكبيرة التي بذلها في تذليل الكثير من الصعوبات وقراءة المخطوطات وتقديم المصادر، واشكر الدكتور جزيل عبد الجبار الجومرد في (كلية التربية/ جامعة الموصل) لتوجيهاته القيمة والمصادر التي قدمها، وكذلك الدكتور ناظم رشيد في (كلية الآداب/ جامعة الموصل)، للمصادر المهمة التي قدمها والتي أغنت جوانب كثيرة من البحث.

كما اشكر الاخوة الذين بذلوا جهودا كبيرة في الترجمة إلى العربية، وأولهم الدكتور نبيل باقر الموسوي في (كلية التربية/ جامعة الموصل)، الذي ترجم كثيرا من النصوص الفرنسية، وكذلك المهندس عادل صالح علي الهسنياني، والأستاذ الدكتور يوسف شهاب في (كلية العلوم/ جامعة الموصل)، والدكتور حميد عزيز في (كلية الآداب/ جامعة صلاح الدين) لاقدامهما على ترجمة بعض النصوص المهمة من الألمانية، والأستاذ كامل بشير محمد الهسياني (جامعة الموصل/ كلية الهندسة) الذي ترجم ما عرضت عليه من النصوص الانكليزية.

هذا ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر لموظفات مكتبة متحف الموصل، والمكتبة المركزية لجامعة صلاح الدين، وكذلك مكتبة كلية (الآداب) للجامعة نفسها، والمكتبة المركزية لجامعة الموصل ومكتبة الدراسات العليا في (كلية الآداب/ جامعة بغداد)، وأخيرا اشكر كل من أسدى خدمة لهذا البحث مهما كان حجمها، والشكر والحمد أولا وآخرا لله الذي أعانني ووفقني لإنجاز عملي هذا ومنه وحده التوفيق والسداد.

المقدمة

مما لاشك فيه أن أهم مسألة تقلق بال الباحث هي اختيار موضوع الرسالة التي يكتب عنها، لأسباب عديدة منها، أهمية الموضوع، وحجم المادة العلمية التي تقدمها المصادر عنه، وان لا يكون قد بحث بطريقة علمية بما يغطي كافة جوانبه.

أن اختيار مدينة سنجار موضوعا لهذا البحث كان له أكثر من مبرر، أولها أنها أهملت من قبل الباحثين مع أن لها تاريخا عريقا يمتد إلى أعماق الزمن، وان الحقبة المعنية بالبحث وهي القرنين السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين)، تعتبر من أزهى عهودها حيث غدت مركزا لاتابكية كبيرة شملت نصيبين والخابور والرقة وسروج وعانة وتلعفر، كما أنها اقترنت في هذه الحقبة بالحوادث المهمة، ولعبت دورا بارزا في الصراع بين الاتابكة والخلافة العباسية، وبين الاتابكة أنفسهم، وبينهم وبين الأيوبيين من اجل زعامة المشرق الإسلامي للوقوف بوجه الغزو الصليبي الأوربي الغربي الذي تعرضت له هذه الجهات يومذاك.

وقد اضطلعت سنجار بدور كبير في توحيد بلاد الجزيرة والشام اللتين كانتا رأس الحربة في هذه المقاومة، من خلال المبادلات العديدة، التي كانت سنجار طرفا فيها، وأصبحت الخطوات الحاسمة لتحقيق هذه الوحدة، بالإضافة إلى هذا النشاط السياسي كانت لها صفحة مشرقة في هذا الصراع المرير مع القوى الصليبية الغازية، حيث كان جيش سنجار واحدا من التشكيلات الرئيسية في جيش صلاح الدين، الذي قام بالعبء الأكبر في هذا الصراع، وأشاد بدورها المميز معظم المؤرخين الذين عاصروا الأحداث.

مما تجدر الإشارة إليه أن هذا النشاط السياسي والعسكري الذي تميزت به سنجار، لم تكن اعتباطا، وإنما كان قائما على العديد من المعطيات الحضارية التي بلغت درجة كبيرة من النضج والتقدم.

بالإضافة إلى ما تقدم كان لدى استعداد نفسي في تقبل الموضوع وتحمل عناء البحث عنه والخوض فيه، لأنني اعرف هذه المدينة جيدا وليس على الخارطة فقط، كما أنها تمثل واحدة من المدن الكوردستانية في العراق، ولها اسم رومانسي في الفلكلور الكردي.

غير أن الاستقرار على اختيارها لم يكن سهلا لاعتبارات عديدة، حيث لم تكن هناك كتابات علمية كافية عنها، حتى يتمكن الباحث من أن يحدد على ضوئها حجم المادة المتوفرة والجوانب التي يمكن تغذيتها، أي أنه كان عليه أن يبدأ من نقطة الصفر، ومما يبرر التردد عن الموضوع أول الأمر، أن الأساتذة المعنيين بالفترة كانوا متوجسين من حجم المادة التي تغطي جميع جوانب الموضوع، إلا أن تطمينات الأستاذ المشرف كانت كافية لإزالة هواجس الخوف، التي لم يكن بمقدورها إزالة بريق اسم سنجار من تفكيري.

لكن البحث لم يخل من صعوبات عديدة، فبالاضافة إلى متاعب البحث وتقصي المعلومات من مصادرها المتنوعة، كنت مضطرا إلى قراءة بعض المخطوطات، مثل مخطوطة الأعلام بتاريخ الإسلام لابن قاضي شهبة، وكذلك صفحات كثيرة من الجزئين الرابع والسادس من مخطوطة عقود الجمان لابن الشعار الموصلي لتعرضها للتلف مع أنني قد اطلعت على أجزائها الموجودة والتي هي ثمانية من اصل عشرة أجزاء والبالغ عدد صفحاتها قرابة أربعة آلاف صفحة مخطوطة، ومن الصعوبات الأخرى التي واجهتني واستنزف كثيرا من وقت البحث هي المراجع غير العربية من الانكليزية والفرنسية والألمانية والتركية والفارسية، والتي تحتاج إلى ترجمات دقيقة لأهميتها بالنسبة للموضوع، إلا أنني اشكر الله الذي أعانني واحمده على تذليل هذه العقبات جميعا بفضل مساعدة بعض الاخوان من الأساتذة والأصدقاء، ولا يفوتني أن اذكر صعوبة قراءة الكثير من يقايا آثارها، والمسكوكات لتعرض أجزاء منها للتلف.

كما أن الزيارات الميدانية المتكررة إلى موقع مدينة سنجار القديمة ساعدت على توضيح بعض الأمور ولاسيما فيما يتعلق بفن العمارة فيها.

يشمل نطاق البحث لهذه الرسالة مدخلا يتضمن الموقع الجغرافي لسنجار حسب المعطيات الجغرافية القديمة والحديثة، واصل تسمية سنجار والآراء المختلفة التي قيلت في ذلك، وتنقسم الرسالة بعد ذلك إلى بابين، يتناول الباب

الأول التاريخ السياسي والعسكري، ويتكون اولهما من فصلين، يتناول الفصل الأول التاريخ السياسي، ويبدأ بمقدمة موجزة تبين دخول الإسلام إليها، والمراحل اللاحقة إلى قيام اتابكية الموصل سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م وخضوع سنجار لها والتي هي البداية الحقيقية للبحث، ويشمل ذلك دور سنجار في الصراع الذي حدث بين عماد الدين زنكي بن اقسنقر والخليفة المسترشد بالله سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م، وموقفها من المحاولة السلجوقية التي قام بها ألب ارسلان في فرض سيطرته على اتابكية الموصل وأعمالها، بعد اغتيال زنكي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، ويعرض دورها في الصراع الذي حدث بين الاتابكة بعد اغتيال عماد الدين زنكي، وقيام اتابكيتها سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م والظروف التي أحاطت بها، ومن ثم دورها في الصراع الذي حدث بين الاتابكة أنفسهم بعد وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م وبينهم وبين السلطان صلاح الدين ومبادلتها بحلب مرتين في اقل من سنة، ويستمر هذا الفصل في بيان دور سنجار في الأحداث الكثيرة والتحالفات المتناقضة التي ظهرت بعد وفاة السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، ووفاة عماد الدين زنكي بن مودود سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م وتولي ابنه قطب الدين محمد، وموقف سنجار من القوى السياسية المتمركزة في المنطقة في عهده، غير انه توفي سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م حيث لم يدم الحكم الاتابكي فيها سنة من بعد وفاته، وخضوعها للحكم الأيوبي سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م عندما استولى عليها الملك الاشرف موسى، إلا أن سنجار لم تشهد استقرارا طيلة العهد الأيوبي بسبب الاضطراب السياسي الذي ساد المنطقة، وتعرض سنجار لضغوط الخوارزمية من جهة، والموصل من جهة أخرى، ومبادلتها بدمشق سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م، وانتهاء الحكم الأيوبي فيها في السنة نفسها، وذلك بخضوعها لحكم بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل، الذي دخل في طاعة المغول بعد العقد الرابع من القرن السابع الهجري، كما أنها خضعت سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م لسلطة المماليك غير المباشرة، إلا أنها ما لبثت أن سقطت على يد المغول سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م بعد معركة سنجار وانتصار المغول على قوات البرلي التي قدمت من الشام فيمن انضم إليها من عسكر سنجار.

وتطرق الفصل الثاني من الباب الأول التاريخ العسكري، وهي دور سنجار في الحروب الصليبية، ويشمل ذلك المراحل المبكرة منذ سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م عندما كانت تابعة للموصل في عهد ولاة السلاجقة، ثم دورها في أهم مراحل هذا

الصراع بقيادة السلطان صلاح الدين، والمرحلة الثالثة والأخيرة وهي دورها في هذا الصراع بعد وفاته سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، ومما تجدر الإشارة إليه انه كان لسنجار حضور أدبي واضح إلى جانب دورها العسكري المباشر.

أما الباب الثاني فيشمل النظم الحضارية التي كانت سائدة في سنجار وينقسم بدوره إلى خمسة فصول، يتناول أولها الحياة الاقتصادية فيها وما يتضمنه من زراعة وصناعة وتجارة وطرق المواصلات، وأخيرا العملة التي كانت معروفة في سنجار، ويتطرق الفصل الثاني للحياة الإدارية من خلال العديد من المناصب والمؤسسات الإدارية التي كانت معروفة فيها، إضافة إلى البعض الآخر التي يمكن افتراض وجودها في سنجار على الرغم من عدم إشارة المصادر إلى ذلك صراحة، وذلك بالاستناد إلى ما كان سائدا في جهات أخرى مثل الموصل والتي كانت تشترك مع سنجار بوحدة النظم ذات الأصول السلجوقية، كما إننا اتبعنا تسلسلا هرميا في عرض هذه المناصب، ويبدأ بالاتابك باعتباره الحاكم الأعلى ومن ثم النيابة وتليها الوزارة فولاية المدينة وولاية القلعة ثم الإنشاء كمنصب ومؤسسة، ومن المؤسسات الأخرى بيت المال والبريد والقضاء، وأخيرا الجيش ونظمه.

ويتضمن الفصل الثالث الحياة الاجتماعية، ويشمل التركيب الاجتماعي للسكان من حيث طبقاته العديدة وعناصره المختلفة، والأديان والمذاهب التي كانت معروفة، والمرأة ومكانتها في المجتمع السنجاري، كما ويشير إلى الخدمات الاجتماعية التي كانت تقدم للمواطنين من إقرار العدالة على يد الحكام وسيادة القانون والنظام، ويتطرق أيضا للعادات والتقاليد التي تشكل إحدى الجوانب المهمة في الحياة الاجتماعية بما فيها من الاحتفالات بالأعياد وغيرها من المناسبات الدينية والاجتماعية، أضف إلى ذلك وسائل الترفيه من سماع الغناء والموسيقى وممارسة الألعاب المتنوعة، كما أنها لم تغفل عما ساد فيها من المآكل والمشارب والملابس.

ويعرض الفصل الرابع للنشاط الفكري الذي كان سائدا في سنجار، ودور الحكام فيه سلبا وإيجابا، ومن ثم عرض لأهم مراكز التعليم فيها من المساجد والجوامع ومجالس الوعظ والربط والخانقاهات والزوايا والمدارس، ويبين طرق التدريس التي كانت معروفة فيها وأجور القائمين بها والأجازات العلمية التي

كانت تمنح لطالبيها والعلوم بأصنافها المختلفة من العلوم الدينية واللغوية إلى العلوم الصرفة والأدب بشقيه النثري والشعري واغراضهما.

الفصل الخامس والأخير يتناول فن العمارة وخطط المدينة على ضوء معطيات المصادر، والآثار المادية التي لا تزال بقاياها شاخصة إلى الوقت الحاضر مثل مرقد الست زينب وبقايا المئذنة وباب الخان ومحراب كوكمت وقد اتخذت هذه المعالم الاثارية أساسا لتقويم الحركة الفنية في سنجار.

وأخيرا فقد تضمنت الخاتمة أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث. هذا وان أصبت فبتوفيق من الله، وان أخطأت فمن عندي نفسي وفوق كل ذي علم عليم.

والله من وراء القصد.

تحليل المصادر و المراجع

١- المخطوطات:

اعتمد الباحث على عدد من المخطوطات التي قدمت روايات أصيلة، وذلك لمعاصرة مؤلفيها للأحداث التي أرخوا لها والتي أغنت جوانب كثيرة من البحث، ومن أهم هذه المخطوطات الجزء الخامس من (البرق الشامي)للاصفهاني (ت ٥٩٧هـ)الذي قدم فيه معلومات قيمة عن استيلاء السلطان صلاح الدين على سنجار سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م، كما انه يشير إلى حصار السلطان لحلب، والاتفاق الذي حصل بينه وبين عماد الدين الزنكي بن مودود بشأن مبادلة حلب بسنجار وغيرها، وأهمية هذه الخطوة على مشروعات صلاح الدين اللاحقة، كما تضمن المخطوط معلومات ادارية مهمة من خلال المناشير التي أصدرها السلطان بشأن توليه القضاء فيها، وقد احتوت هذه المناشير على صفات القائمين بهذه المهام وواجباتهم، هذا وقدم المخطوط معلومات اقتصادية واجتماعية على جانب من الأهمية، وتمثلت أهمية هذه المخطوطة في أن كاتبها كان معاصراً للأحداث ومساهماً فيها، حيث كان بمثابة أمين سر لصلاح الدين، وقد اتاح له هذا المنصب الإطلاع على الأمور ومعرفة دوافعها الحقيقية، إضافة إلى ما تقدم سلط الاصفهاني الأضواء على الحالة السياسية بعد وفاة السلطان سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م إلى سنة وفاته و هي سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م.

تليها في الأهمية مخطوطة (عقود الجمان) لأبن الشعار (ت ٦٥٤هـ)، ومع أنها ركزت على الشعراء، إلا انه لم يكن هناك تخصص، حيث كان الشخص الواحد شاعرا و فقيها وطبيبا، لذلك قدمت هذه المخطوطة تغطية كبيرة وشاملة للحياة الفكرية، إضافة إلى المعلومات المهمة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية وردت ضمن التراجم، وتتجلى أهمية هذه المخطوطة في غزارة المعلومات التي قدمتها، لاسيما إلى معاصرة ابن الشعار لمعظم الذين ترجم لهم، فضلا انه اعتمد في ذلك على سند قصير من خلال الأشخاص الذين التقوا بأصحاب الترجمات، كما انه قرب ابن الشعار من سنجار مكانيا فضلا عن المعاصرة جعل لكتاباته عنها

أهمية كبيرة.

المخطوطات الأخرى التي تم الرجوع إليها ليست مادتها سوى تكرار لما أورده أصحاب المصادر الأساسية مثل الاصفهاني و ابن الأثير و سبط ابن الجوزي و أبو شامة وآخرون غيرهم، ويتساوى في ذلك الذهبي في مخطوطة (تاريخ الإسلام) على الرغم من المعلومات الكثيرة والمتنوعة التي يقدمها، واسطيفان الدويهي أيضا في مخطوطة (تاريخ المسلمين) التي تتصف باضطراب في العرض واختلاف تواريخ الأحداث وكذلك الحال بالنسبة لبقية المصادر المخطوطة، ومما تجدر الإشارة إليه ان انستاس ماري الكرملي قدم في مخطوطة (اليزيدية) رأيا جديدا حول اصل تسمية سنجار.

المصادر المطبوعة

تختلف المصادر المطبوعة من حيث الشكل الذي قدمت به المادة التاريخية ويمكن تقسيمها عموما إلى الأنماط الآتية:-

١- التواريخ العامة:-

تناولت هذه التواريخ كما هو واضح من اسمها أحداث العالم بصورة مختصرة وركزت على التاريخ الإسلامي، ويمكن تمييز ثلاثة أنماط من هذه التواريخ حسب طريقة عرضها للأحداث، حيث اتبع بعضها طريقة الحوليات في عرض المادة التاريخية كما هو الحال بالنسبة لأبن الأثير في (الكامل) وأبي الفدا في (المختصر) وابن كثير في (البداية)، بينما قسم البعض الآخر التاريخ الإسلامي إلى عدد من الدول والأمارات وتتناول كل واحدة منها ضمن إطار زماني ومكاني محدد كما فعل ابن خلدون في (العبر)، والنمط الثالث من هذه التواريخ هي تلك التي جمعت بين عرض الأحداث حسب السنوات، والترجمة لوفيات كل سنة، ونجد هذا الأسلوب لدى سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) و (ذيل الروضتين) لأبي شامة.

(فالكامل) لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) يأتي على راس التواريخ العامة حيث قدم سيلا من الروايات الأصيلة عن فترة البحث التي عاصرها، ويقدم تغطية جيدة

للأحداث التي دونها بتفاصيل جديدة، ومع أن السمة السياسية والعسكرية هي الغالبة على مؤلفه، إلا انه يقدم إلا جانبها معلومات اقتصادية واجتماعية وإدارية ليس بامكان الباحث ان يستغنى عنها، ويقدم ابن الأثير صورة دقيقة عن الخارطة السياسية للقوى التي كانت منتشرة في المنطقة وطبيعة علاقاتها مع سنجار، غير ان هناك أكثر من مأخذ عليه، حيث انه معروف بميوله لاتابكة الموصل، ويحاول دائما تبرير أخطائهم، وقد طغى هذا الموقف على معظم رواياته، وتأثر في نظرته للأمور بالبيئة الموصلية الضيقة، حتى في المسائل المهمة التي كانت تهدد وجود المسلمين في المنطقة.

ويقدم الحموي (ت ٦٤٤هـ) في (التاريخ المنصوري) تغطية جيدة لأحداث سنجار السياسية التي لها علاقة مع الأيوبيين، وتتمثل أهمية رواياته في معاصرته للأحداث، إلا انه يتوقف عند سنة ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م، وقد اعتمد عليه ابن الفرات في تاريخه كثيرا.

وتمتاز روايات ابن أبي الدم (ت ٦٤٢هـ) في (التاريخ الإسلامي المختصر) بالإيجاز، ويشير إلى بعض من أحداث سنجار السياسية وجهودها الحربية في مواجهة الصليبيين، ويعرض صورة واضحة عن الجو السياسي و التحالفات التي ظهرت بعد وفاة السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م وموقف سنجار منها، ورواياته أساسية للبحث لأنه معاصر لها.

أما سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) فعلى الرغم من تركيزه على النواحي السياسية في (مرآة الزمان)، إلا ان معلوماته تمتاز بالتنوع، فشمل الجوانب الاقتصادية والثقافية، وتكمن أهمية رواياته في معاصرته للأحداث الخاصة بفترة البحث، ويقدم اليونيني (ت ٧٢٦هـ) في (الذيل على مرآة الزمان) معلومات قيمة عن الفترة الأخيرة والتي يتوقف عندها السبط، ويروي اليونيني أحيانا عن والده الذي كان معاصرا للأحداث، والمعلومات التي يقدمها متنوعة، إضافة إلى التغطية السياسية للأحداث من سنة ٦٥٤ هـ إلى سنة ٦٦٠هـ، وهو يقدم أيضا معلومات حضارية تشمل النواحي الاقتصادية والفكرية والإدارية، أما بقية المصادر الأخرى من كتب التاريخ العام مثل (المختصر في أخبار البشر) لابو الفدا (ت ٧٣٢هـ) و (تتمة المختصر) لابن الوردي (ت ٧٤٩هـ) و (البداية والنهاية) لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) و (العبر) لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) وآخرين غيرهم، فان معظمها يقوم على الاقتباس من المصادر الأساسية التي سبق ذكرها، ومعلوماتها

تكرار لها.

٢- تواريخ الدول والمدن

تتناول هذه التواريخ الدول والإمارات التي ظهرت خلال هذه الحقبة ضمن إطار زماني ومكاني محدد، وأول هذه المصادر (التاريخ الباهر) لابن الأثير، الذي يقدم فيه تغطية دقيقة للأحداث السياسية إلى سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م فضلا عن المعلومات الكثيرة التي يقدمها عن الجوانب السياسية والحضارية المتنوعة فان أهمية الباهر كالكامل تتمثل في معاصرة ابن الأثير للأحداث أولا والنقل عن والده ثانيا، ويؤخذ عليه هنا أيضا التحيز لاتابكة الموصل أكثر مما هو في الكامل لأنه أهدى الكتاب إلى واحد من أمرائهم.

وبالرغم من المعلومات الكثيرة التي يقدمها ابو شامة (ت ٦٦٥هـ) عن الجوانب السياسية والحضارية في مؤلفه (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية)، إلا انه يمكن القول انها تكرار لما أورده الاصفهاني وابن الأثير وابن أبي الدم وابن أبي طي وابن شداد وأسامة بن منقذ وابن الدبيثي وغيرهم.

ويقدم ابن شاهنشاه (ت ٦١٧هـ) في (مضمار الحقائق وسر الخلائق) مادة أساسية عن الناحية السياسية والعسكرية من سنة ٥٧٥ إلى ٥٨١هـ، حيث كان مشتركا مع السلطان صلاح الدين في حصار سنجار والاستيلاء عليها سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م، ومما يؤخذ عليه انه يمثل وجهة النظر الايوبية الرسمية لكونه واحدا منهم، وتولى والده مناصب ادارية عالية في الدولة الايوبية.

أما ابن واصل (ت ٥٩٧هـ) في (مفرج الكروب)، فانه يقدم تفاصيل قيمة عن دور سنجار العسكري في الحروب الصليبية، وهو معتمد في ذلك على ما رواه الاصفهاني وابن شداد وابن الأثير، ويشير أحيانا إلى هذه الاقتباسات التي تكاد تكون حرفية، وأحيانا يتغاضى عن ذكرها، ويشير في الجزء الرابع إلى انتهاء الحكم الاتابكي في سنجار ويقدم صورة جيدة عن القوى السياسية المتنافسة في المنطقة، غير ان الجزء الخامس هو أهم هذه الأجزاء حيث يتناول الأحداث التي وقعت بين سنة ٦٢٩ و ٦٤٥هـ، وكان ابن واصل معاصرا لها وهو في ريعان الشباب، حيث كان عمره بين ٢٥ إلى ٤١ سنة، ويقدم فيها معلومات أساسية قيمة إضافة

إلى الترجمات التي قدمها عن بعض الأشخاص الذين لعبوا دورا كبيرا في الأحداث.

ويقدم رشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت ٧١٨هـ) في (جامع التواريخ) معلومات هامة عن معركة سنجار وسقوطها بيد المغول سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م، وما لحق بها من القتل والتخريب، وما قدمه الآخرون مثل الدواداري (ت ٧٣٥هـ تقريبا) في (كنز الدرر وجامع الغرر) ليس إلا تكرارا واقتباسا من المصادر الأخرى.

ومن الظواهر البارزة في هذه الفترة هو ظهور تواريخ المدن، التي تمتاز عن الأنماط السابقة بأنها تركز على وحدة مكانية صغيرة، لذلك فانها تشبعها بحثا ودراسة وتسلط الأضواء على الجوانب المختلفة من حياتها مظهرة تفاصيلها الدقيقة، ومما تجدر الإشارة إليه، ان هذه التواريخ لا تقتصر على حدود المدينة المعنية بالبحث، وإنما تتناول المدن والدول الأخرى خاصة تلك المجاورة لها بحكم تداخل العلاقات والمؤثرات المتبادلة، واهم هذه المصادر التي اعتمدناها هي (الاعلاق الخطيرة) قسم الجزيرة لابن شداد (ت ٦٨٥هـ) الذي قدم معلومات نادرة عن الخطط، والحياة الفكرية فيها خلال فترة البحث، أما فيما يتعلق بالتاريخ السياسي فانه تطرق إلى معظم الأحداث المهمة التي عاشتها من قيام اتابكيتها إلى سقوطها بيد المغول، الا انه اعتمد في هذا المجال على ما كتبه ابن الأثير إلى حد كبير ومن دون الاشارة إليه.

ويقدم ابن العديم (ت٦٦٠هـ) في (زبدة الحلب) روايات أساسية عن الحالة السياسية في سنجار خلال عهد نور الدين محمود الذي استولى على سنجار في سنة ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩م، وكذلك الحال في سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م وهو تاريخ تأسيس اتابكية سنجار، والاشارة إلى مرحلة ما بعد وفاة نور الدين ومبادلة سنجار بحلب سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م، واستيلاء صلاح الدين على سنجار، وطبيعة العلاقة التي كانت قائمة بينه وبين عماد الدين الذي تخلى عن حلب مقابل الحصول على سنجار سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م، ومما تجدر الاشارة إليه ان ابن العديم كان ذا ميول حلبية ضيقة ومعارضة لصلاح الدين شأنه في ذلك شأن ابن الأثير.

٣- التراجم

وهي المؤلفات التاريخية التي كتبها المؤرخون عن أنفسهم وعن كبار المسؤولين والشخصيات الاجتماعية المعتبرة، وتمتاز المعلومات التي يقدمها هذا النمط من المصادر بالدقة والاصالة لكون مؤلفها أحيانا معاصرا لأصحاب التراجم، ومن الجانب الآخر فعلى الباحث ان يلتزم الحذر تجاه هذه المصادر التي ربما تكون متحيزة لهذا أو ذاك من الذين ترجم لهم.

ومن اشهر هذه المصادر (سيرة صلاح الدين المعروفة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) لابن شداد (ت ٦٣٢هـ)، والتي تمتاز بالدقة والموضوعية وتقدم معلومات سياسية جيدة بعد وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م واستيلاء صلاح الدين على سنجار وعلاقته مع عماد الدين زنكي بن مودود حاكم سنجار، الا ان الأهمية الرئيسية لهذا المؤلف تتجلى في تبيان دور سنجار العسكري في الحروب الصليبية، وكذلك الحال بالنسبة للاصفهاني في (الفتح القسي) الذي يقدم فيها أدق المعلومات عن كل ما يتعلق بدورها العسكري، وقدم هذان المصدران المادة الأساسية التي غذت الفصل الثاني من الباب الأول، وهما بمثابة يوميات عن هذا الصراع، ومما أضاف من قيمتها ان المؤلفين كانا على اتصال وثيق بالسلطان صلاح الدين ومن اخص أصحابه، فمكنتها هذه المكانة من الاطلاع على مجريات الأمور بصورة دقيقة و معرفة دوافع الأعمال، ومن المصادر الأخرى من هذا النوع سيرة نور الدين محمود المسماة (الكواكب الدرية في السيرة النورية) لابن قاضي شهبه (ت ٨٧٤هـ) الا انها لا تتعدى التكرار نظرا للاقتباس من المصادر الأخرى، ورغم هذا النوع الذي يترجم لشخصية محددة، كانت هناك تراجم خاصة بطبقة معينة من الناس كالشعراء كما هو لدى القفطي (ت ٦٤٦هـ) في مؤلفه (المحمدون من الشعراء) و (خريدة القصر وجريدة العصر) للاصفهاني و (الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة) لابن سعيد (ت ٦٨٥هـ)، وأخرى عن النحاة كما ورد لدى القفطي أيضا في (انباه الرواة على انباء النحاة) للسيوطي (ت٩١١هـ)، و (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) للمناوي (ت١٠٢٢هـ)، وأخرى عن فقهاء المذاهب، مثل (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي (ت٧٧١هـ) و(طبقات الشافعية) للاسنوي (ت ٧٧٢هـ) و (الجواهر المضيئة

في طبقات الحنفية) لابن أبي الوفاء (ت ٧٧٥هـ)، وهناك تراجم عن الذين دخلوا بلدا معينا مثل (تاريخ اربل) لابن المستوفي (ت٦٣٧ هـ)، وأخرى عن الوفيات مثل (الوافي بالوفيات) للصفدي (ت ٧٦٤هـ) و (فوات الوفيات) للكتبي (ت ٧٦٤هـ)، فضلا عن الأنماط التي سبق ذكرها، هناك مؤلفات تظمنت تراجم لشخصيات من مستويات و طبقات مختلفة، مثل (وفيات الأعيان) لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) الذي اعتمد على ابن الأثير وابن شداد الى حد كبير، و (تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب) لابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ) وقدمت هذه التراجم مادة وافية عن الحياة الفكرية بصورة أساسية، كما غذت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والادارية.

٤- الجغرافية والرحلات

قدمت كتب الجغرافية والرحلات معلومات قيمة عن الجوانب الحضارية وخاصة عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية والادارية والعمرانية، ومما يزيد من قيمة هذه المؤلفات ان بعض مؤلفيها كانوا شهود عيان لما دونوه، لذلك كانت كتاباتهم صورة صادقة لما شاهدوه، وقد جاء هذا النمط من المصادر مكملا للأنماط الأخرى، ويشير ابن حوقل (ت٣٦٧هـ) في (صورة الأرض) إلى أهم المحاصيل الزراعية التي كانت معروفة في سنجار، إضافة الى العمارة التي كانت فيها، أما المقدسي (ت ٣٧٥هـ) في (أحسن التقاسيم) فيقدم معلومات فريدة عن الناحية الاقتصادية من حيث المكاييل والموازين التي كانت مستخدمة فيها وتحديد موقعها جغرافيا، ويتحدث ابن جبير (ت ٦١٤ هـ) في (رحلته) عن وجود خان كان بمثابة فندق لاستراحة المسافرين والقوافل، كما قدم ياقوت (ت ٦٢٦ هـ) أكثر من رواية عن اصل تسميتها فضلا عن المعلومات للحالة الثقافية والاقتصادية، وأشار القزويني (ت ٦٨٢ هـ) في (آثار البلاد) الى مستوى الحالة الفكرية في سنجار وخاصة في عهد الملك الاشرف، والى العمارة فيها من خلال حماماتها التي أطنب في وصفها، ذكر غناها ورخاءها الاقتصادي، وتناول ابن سعيد (ت٦٨٥ هـ) في (الجغرافيا) أهم حاصلاتها الزراعية، أما أبو الفدا في (تقويم البلدان) فلم يذكر شيئا جديدا، وإنما ينقل ما أورده ابن حوقل وابن سعيد

وغيرهما، ويورد ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) في (رحلته) معلومات قيمة عن الحالة الفكرية والاجتماعية إضافة إلى العمارة فيها، أما ابن خرداذبه (ت ٢٨٠ هـ) فيقدم في (المسالك والممالك) معلومات عن طرق النقل والمواصلات التي كانت تمر في سنجار، هذا ويقدم حمد الله المستوفي (٧٥٠ هـ) بالرغم من تأخره معلومات جيدة عن العمارة في سنجار، وكذلك الإشارة إلى طبيعة حاصلاتها الزراعية.

٥- المصادر الموسوعية

قدم القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) في (صبح الأعشى) والنويري (ت ٧٣٣ هـ) في (نهاية الأرب)، تعريفات للعديد من المصطلحات التي أضاءت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والادارية، وذلك لتشابه النظم التي كانت سائدة في المنطقة والتي ترجع إلى أصول سلجوقية سواء في سنجار او في الشام او في مصر، كما ان العمري (ت٧٤٩ هـ) في مؤلفه (التعريف بالمصطلح الشريف) يبين اثر الاضطراب السياسي على الحالة الاقتصادية في سنجار بعد وصول المغول الى تلك الجهات، كما انه يقدم معلومات تفصيلية عن العديد من المناصب الادارية والتي يمكن سحبها على سنجار أيضا، وواجبات القائمين بها وصفاتهم.

٦- تاريخ الأدب

تعتبر المصادر الخاصة بتاريخ الأدب احد الروافد التي تغذي المادة التاريخية، لان الأدب يعتبر المرآة التي تعكس حالة المجتمع، فبالنسبة لموضوع البحث كانت (مقامات الحريري) وشرح الشريشي (ت ٦٠٢ هـ) لها المصدران الأساسيان اللذان رفدا أكثر من جانب في الحياة الاجتماعية، إضافة الى بعض المعلومات الاقتصادية.

٧- المعطيات الاثارية

تعتبر المعطيات الاثارية من أدق المصادر التاريخية، اذ انها لا تتأثر بالأهواء والميول السياسية والمذهبية، كما أنها تقدم معلومات حضارية لا نجدها في المصادر الأخرى.

ويزخر متحف الموصل بكثير من مقتنيات سنجار الاثارية والتي تعود الى فترة البحث، وتقدم هذه المخلفات معلومات دقيقة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية من جهة، كما انها تعكس مستوى تطور الحركة الفنية فيها من جهة أخرى، وكذلك الحال بالنسبة لمحراب كوكمت الذي نقل من سنجار الى المتحف العراقي، ولا يزال بعض هذه المعالم شاخصا الى الوقت الحاضر مثل مرقد الست زينب وبقايا المئذنة وباب الخان الذي يقع على مقربة منها بالاضافة الى مقتنيات المتحف العراقي، وملفات مديرية الآثار العامة.

٨- المراجع الأجنبية والعربية

قدمت المرجع الأجنبية مادة متنوعة، عن النواحي السياسية والعسكرية والفكرية وهي تكرار لما أورده المؤرخون القدامى، باستثناء بعض التحليلات والاستنتاجات التي تفاوتت في أهميتها، ومن هذه المراجع (تاريخ الحروب الصليبية) لرانسيمان و

Elisseeff : Nur- ad- din.

Setton: Ahistory of the crusades.

Grousset: Histoire des croisades et da Royaume France des Jerusalem.

Lane poole: Saladin and the fall of the Kingdom of gerusalem.

ومما تجدر الاشارة اليه ان Lane poole في بعض أجزاء مؤلفه الآخر(Catalogue of the oriental in the British Museum) قدم معلومات قيمة عن العملة في سنجار، وتناول اسماعيل غالب في (مسكوكات تركمانية) بعض المسكوكات الخاصة بسنجار، وكان الاثنان سباقين في هذا المجال لذلك كانت لابحاثهما أهمية كبيرة، وأصبحت دليل عمل للباحثين فيما بعد، هذا وقد قدم كل من بكنغهام في (رحلتي الى العراق) وبدج في (رحلات الى العراق) معلومات متنوعة شملت الآراء المختلفة التي قيلت في اصل تسمية سنجار، وأخرى تخص الجوانب الحضارية فيها، الا أن أهم ما قدمته المراجع الأجنبية هي تلك

التي تخص فن العمارة في سنجار والتي امتازت بالاصالة، ومن اشهر هؤلاء الباحثين: (Herzfeld: Archaeologische Reise in Euphrat und Tigrit Gebiet) ونقولا سيوفي في (مجموع الكتابات المحررة في أبنية الموصل)، وقد أشار كل من كونل في (الفن الاسلامي)، وديماند في (الفنون الاسلامية) ورايس في (السلاجقة تاريخهم وحضارتهم) الى تطور الحركة الفنية والمستوى الذي وصلته البلاد التي خضعت للسلاجقة، ومنها سنجار بطبيعة الحال.

أما المراجع العربية الحديثة فليس هناك ما يخص سنجار في المرحلة التي تناولها البحث على وجه التحديد، وإنما وردت ضمن الكتب التي تناولت هذه الفترة عموما، واهم هذه المراجع (العملة الاسلامية في العهد الاتابكي) لمحمد باقر الحسيني و (تاريخ النقود العراقية) لعباس العزاوي، حيث قدم الأول معلومات قيمة عن العملة السنجارية وقدمت ناهدة عبد الفتاح النعيمي معلومات هامة عن الحياة الاجتماعية، وعن الأزياء بصورة خاصة، من خلال تحليل الصور الخاصة بمقامات الحريري في كتابها (مقامات الحريري)، هذا وقد أشارت نجاة التوتونجي الى فن العمارة في سنجار في كتابها (المحاريب العراقية)، ومما تجدر الاشارة اليه انه تم اقتباس قسم من المعلومات الخاصة بالعهد الاتابكي والأيوبي فيما يخص الأدب في سنجار من كتاب (الأدب في العصر الأيوبي) لمحمد زغلول سلام، و (أدب الدول المتتابعة) لعمر موسى باشا.

اما الدوريات فتناولت الحياة الاقتصادية والفكرية، ومادتها عموما تكرار لما أوردته المراجع التي سبق الاشارة اليها، وبعضها لم يتطرق لذكر سنجار وانما تناول الفترة عموما، الا انه تمت الاستعانة بها لتوضيح بعض الجوانب الماثلة في سنجار.

المدخل
الموقع الجغرافي واصل التسمية

- الموقع الجغرافي:

سنجار واحدة من المدن المشهورة في اقليم الجزيرة، وسميت بالجزيرة[١] لانها تقع بين دجلة والفرات وتشمل ديار ربيعة وديار مضر[٢] وديار بكر، وتنتهي حدودها جنوبا عند الانبار وحديثة على نهر الفرات وتكريت على دجلة، وشمالا الى منابع النهرين دجلة والفرات[٣].

كانت سنجار في العصور الوسطى كورة[٤] في ديار ربيعة[٥]، وتقع شرقي الجزيرة[٦] في برية الثرثار[٧] التي يسميها الاصطخري ((برية ديار ربيعة))[٨].

وتقع سنجار غرب الموصل، وعلي مسيرة ثلاثة أيام عنها[٩] قرب جبل يعرف باسمها[١٠]، وهو جبل سنجار الذي يمتاز بوعورته وصعوبة مسالكه، حيث يبلغ ارتفاعه (١٤٦٣م)[١١] وكان يجري في وسطها نهران، ثم يخرج احدهما من تحت

---

(١) شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢٦٢/٣، زكريا بن محمد القزويني: اثار البلاد واخبار العباد ص ٣٩٣، ابو عبدالله محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار ص ٣٢٦.

(٢) ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الاصطخري: مسالك الممالك ص ٥١، ابو القاسم ابن حوقل: صورة الأرض ص ١٨٩.

(٣) الاصطخري: مسالك ص ص ٧١-٧٢، ابن حوقل: صورة الأرض.

(٤) والكورة: ((كل صقع يشتمل عدة قرى، ولابد لتلك القرى من قصبة او مدينة او نهر يجمع اسمها)) ياقوت: معجم ٣٦/١ – ٣٧. وهي بمثابة المحافظة في الوقت الحاضر.

(٥) ابو العباس احمد بن عبدالمنعم الشريشي: شرح مقامات الحريري ١٠٥/١.

(٦) محمد بن علي الشهير بسپاهي زادة: مخطوطة أوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك ص ١٥١.

(٧) الحميري: الروض ص ٣٢٦.

(٨) مسالك ص ٧٣.

(٩) ابن حوقل: صورة ص ١٩٠، ياقوت: معجم ٢٦٢/٣، سپاهي زادة: اوضح ص ١٥١، محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس ٢٨١/٣.

(١٠) ياقوت: معجم ٢٦٢/٣، القزويني: اثار ص ٣٩٣، ابو عبدالله محمد بن ابراهيم ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٢٣٧.

(١١) احمد سوسة: الدليل الجغرافي العراقي رقم (١٢).

السور[١]، ويصب في الثرثار[٢] حيث كانت المدينة تقع على ضفتي مجراه[٣].

وسنجار في الوقت الحاضر قصبة لمركز قضاء يتبع محافظة نينوى إداريا ويبعد عنها أربعة وثمانون ميلا[٤] الى الشمال الغربي من الحدود السورية[٥] العراقية، والى الشرق قليلا من خط الطول (٤٢) شرق اكرينتش، وخط عرض (٢٦ْ ٢٢ٌ)[٦]، كما انها تعتبر واحدة من المراكز السياحية في العراق، وكان لموقع سنجار ((وسط بلاد امتازت بحضارتها وعمرانها وحوادثها الهامة))[٧]، اثر كبير في حياتها عموما، وبسبب خصوبة سهلها ومناعة جبلها أصبحت مطمع أنظار القوى المتصارعة فيما بينها من اجل السيطرة عليها، وأصبحت منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد جزءا من الدولة الميتانية[٨]، التي كانت عاصمتها على الخابور الأعلى[٩]، الا ان الآشوريين تمكنوا بعد ذلك من السيطرة عليها واتخاذها قاعدة حربية لعملياتهم العسكرية ضد الحثيين[١٠] الذين استمرت الحرب ضدهم وقتا طويلا، الا ان الآشوريين الذين اتبعوا سياسة التوسع ووصلوا الى سواحل البحر المتوسط لم يكن بمقدورهم ان يستغنوا عن جبل سنجار و((جعله حصنا لهم يحمون به بلادهم ويتخذونه قاعدة دفاعية هجومية ضد الحكومات المعادية لهم))[١١] وبسقوط الدولة الآشورية على يد الفرس الاخمينيين عام (٥٣٨

---

(١) عزالدين محمد بن على ابن شداد: الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٦.
(٢) شمس الدين محمد الانصاري الدمشقي شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص١٩١.
(٣) سر وليس بدج: رحلات الى العراق ١١٢/٢.
(٤) ويساوي (١٣٣)كم.
(٥) عبدالرزاق الحسني: موجز تاريخ البلدان العراقية ص١٦٧.
(٦) بلسنر: مادة سنجار، دائرة المعارف الاسلامية ٢٤٤/٢.
(٧) نعمان ثابت عبداللطيف: مخطوطة تاريخ جبل سنجار وتطور ديانته ص١١.
(٨) الميتانيون: هم اصحاب دولة قامت في شمال العراق في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد، ولعب الحيثيون دورا كبيرا في القضاء عليها. ا.ر.جرني: الحيثيون ص ١٩.
(٩) الخابور بين راس العين والفرات، ولكن غلب اسمها على ولاية واسعة من ارض الجزيرة، وتشمل قرقيسيا وماكسين والمجدل وعربان. ياقوت: معجم ٣٣٤/٢.
(١٠) الحيثيون: اقوام هندو اوربية. نجيب ميخائيل ابراهيم: مصر والشرق الادنى القديم ص٣٨٣، لعبوا دورا كبيرا في تاريخ الشرق الاوسط القديم واسقطوا دولة بابل الاولى فى حوالي سنة ١٦٠٠ ق.م. جرني: الحيثيون.
(١١) صديق الدملوجي: اليزيدية ص ص ٤٧٢– ٤٧٣.

ق.م)، أصبحت سنجار تحت السيطرة الفارسية حيث عمد هؤلاء الى تحصين هذا الجبل واتخاذه معقلا لهم في حروبهم ضد الرومان من اجل السيطرة على هذه البلاد[١].

غير ان الفرس تنازلوا للرومان عن مدينتي سنجار ونصيبين بمقتضى صلح سنة ٣٦٣م[٢]، الا ان الصراع لم يتوقف بين القوتين عند هذا الحد، وكان يتجدد القتال بينهما كلما وجدت أحدى القوتين ان الفرصة مناسبة لتحقيق مكسب على حساب الأخرى، وكانت سنجار ضمن بلاد الجزيرة مسرحا للحرب التي كانت تدور بين الطرفين سجالا، لذلك تناوب على حكمها الفرس حينا والرومان حينا آخر[٣]، وقبل الفتح العربي الاسلامي لها كانت سنجار خاضعة للسيطرة الفارسية[٤].

ومما تجدر الاشارة اليه ان سنجار خضعت لسلطات عديدة كانت لكل واحدة منها طابعا حضاريا خاصا بها، وبذلك أصبحت مركزا التقت فيها هذه الحضارات المختلفة، تاركة بصمات واضحة على جوانب حياتها المختلفة، وبقدر تطورها كانت ايضا هدفا لتخريب القوى المتصارعة فيما بينها.

اصل التسمية

يتبين لنا من دراسة أصول التسميات للمواقع العراقية انها تسميات ذات أصول كردية وعربية وفارسية وتركية وآرامية، وان الأسماء الحقيقية لكثير من هذه المواقع قد اختفت، وذلك بسبب قيام العامة بتحريف التسمية على ضوء أحكام وتفسيرات أسطورية[٥].

---

(١) نفسه ص٤٧٣.
(٢) آثر كريستنس: ايران في العهد الساساني ص١١٦.
(٣) شاهين مكاريوس: تاريخ ايران ص ص٤٤– ٧٧.
(٤) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم: كتاب الخراج ص٣٩.
(٥) بشير فرنسيس و كوركيس عواد: نبذة تاريخية في اسماء الامكنة العراقية ص٢٣٧.

وسنجار واحدة من تلك المواقع التي تختلط الحقيقة بالأسطورة حول اصل تسميتها، حيث يشير العديد من المصادر الى ان كلمة سنجار قد ظهرت لأول مرة بعد طوفان نوح (عليه السلام) حيث تروي هذه المصادر ان سفينة نوح اصطدمت بقمة جبل سنجار وأحدث ذلك فيها ضررا، فقال نوح: هذه سن جبل جار علينا ومنها اشتق اسم سنجار[1]، الا ان هذه الرواية ضعيفة بحيث ان احد رواتها مثل ياقوت لا يخفى عدم تسليمه بها[2]، ولا يمكن الأخذ بهذه الرواية لأكثر من سبب، منها عدم وجود مصدر تاريخي يرقى الى تلك الفترة يمكن الاعتماد عليه حول ذلك أولا، ولعدم وجود ما يؤيد ان نوحا كان يتكلم العربية كما نتكلم بها نحن في الوقت الحاضر ثانيا، لذلك يرجح ان مصدر هذه الرواية هم السكان المحليون الذين تناقلوها جيلا بعد جيل، لأنها تضفي على مدينتهم أهمية تاريخية وترضي كبرياءهم.

كما ان بلدا مثل العراق يمتاز بكثرة موارده المائية من الأنهار والعيون، لا ريب ان يكون لعنصر الماء دخل في تركيب أسماء مواقعه، نظرا لأهميتها في نشوء المدن وتوسع العمران لذلك نجد ان هناك كثيرا من الأسماء تدخل فيها كلمة ((عين)) او ((آو))[3]، وان سنجار الحالية على ضوء ذلك هي ((عين مدينة سنكاره Singaraالقديمة))[4].

ويرى البعض ان الاسم الحقيق لسنجار هي ((سنغارة))[5]، حيث وردت هذه التسمية على عملة عماد الدين زنكي بن اقسنقر مؤسس اتابكية الموصل سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م المضروبة فيها[6]، ومن المحتمل ان سنجار هي تعريب لسنكار[7]،

---

(١) ياقوت: معجم ٢٦٢/٣، ابو الحسن علي بن ابي بكر الهروي: الاشارات الى معرفة الزيارات ص٦٦، ئەولیا جەلەبی: سیاحەتنامە ٧٥/١، وتكون هذه الرواية جانبا من التفكير الديني عند اليزيدية. حول ذلك انظر: اسماعيل بك جول: اليزيدية قديما وحديثا ص٧٦، الحسني: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص٤٣، الدملوجي: اليزيدية ص ص ٦-٧.

(٢) معجم ٢٦٢/٣.

(٣) فرنسيس: نبذة ص٢٣٧.

(٤) بلسنر: مادة سنجار، دائرة المعارف الاسلامية ٢٤٤/١٢.

(٥) نعمان: تاريخ ص١.

(٦) ناصر النقشبندي: الدينار الاسلامي لملوك الطوائف والمتغلبة على الدولة العباسية (الدينار الاتابكي)، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع، الجزء الاول، سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ص٢٣٢.

(٧) ياقوت: معجم ٢٦٢/٣.

وربما هي نفس سنكارا الواردة في الكتابات البابلية والآشورية[1] والتي عرفت في عهد المصريين القدماء أيضا باسم سنكار[2].

وهناك من يرى ان سنجار وآمد وهيت من المدن التي تنسب الى بناتها وهم بنو البلندي ابن مالك بن دعر بن بويب... بن إبراهيم (عليه السلام)[3]، وهذا الرأي أيضا لا يثبت اما النقد، لأنها مجرد مقولة وليس هناك ما يدعمها من الأسانيد التاريخية.

هذا في الوقت الذي اخطأ فيه القزويني عندما ذكر ان تسمية سنجار ترتبط بولادة السلطان سنجر[4] السلجوقي فيها، ولذلك سميت المدينة بأسمه[5]، لان السلطان سنجر كانت ولادته في رجب سنة سبع وأربعين وأربعمائة[6]، في الوقت الذي ورد اسم سنجار لدى العديد من المؤرخين والبلدانيين الذين توفوا قبل هذا التاريخ بفترة طويلة[7]، وتكون الحقيقة عكس ذلك تماما أي ان السلطان سنجر من الذين سمى باسم سنجار وذلك بسبب ولادته فيها[8].

ويرى الأب انستاس ماري الكرملي ان اصل تسمية سنجار فارسي، على اعتبار أنها من البلاد التي خضعت للفرس قديما ((وهم أول من سموها بهذا الاسم، ويراد به طير من الجوارح وهو النسر على ما يظن، وسبب تسمية هذا الجبل بهذا الاسم ان اللائذ به يصبح كالنسر منيعا أمينا لا يرام ولا ينال))[9]، وعلى

---

(١) طه باقر وفؤاد سفر: المرشد الى مواطن الاثار والحضارة، الرحلة الثالثة ص٦٤.
(٢) بدج: رحلات هامش رقم (٢) ص١١٣ والهامش رقم (١١) في نفس الصفحة والجزء.
(٣) ابو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني: الانساب ١٥٩/٧، ياقوت: معجم ٢٦٢/٣، الهروى: الاشارات ص٦٦.
(٤) هو ((معز الدين المظفر ابو الحارث سنجر بن جلال الدولة ملك شاه بن الب ارسلان السلجوقي)) يقال ان اسمه احمد وتوفي في شهر ربيع الاول من سنة ٥٥٢هـ ودفن في مرو. كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق بن تاج الدين احمد ابن الفوطي: تلخيص محمع الاداب في معجم الالقاب ٦٣٣/٥ – ٦٣٤، احمد بن يوسف بن علي بن الازرق الفارقي: تاريخ الفارقي ص ٢٨٧.
(٥) اثار ص٣٩٣.
(٦) انظر الهامش رقم (٤) اعلاه.
(٧) الاصطخري: المسالك ص٧٣، ابن حوقل: صورة ص ص١٩٠ – ١٩١، ابو زكريا مؤيد بن محمد بن القاسم الازدي: تاريخ الموصل ص٢٦٨.
(٨) السمعاني: الانساب ١٥٩/٧، الفارقي: تاريخ ص٢٨٧، ابو الحسن عز الدين علي بن عبد الكريم ابن الاثير: اللباب في تهذيب الانساب ١٤٥/٢.
(٩) مخطوطة اليزيدية ص٣٦٧.

رأي الكرملي ان الجبل منح المدينة اسمها كما تقدم، بينما يرى الاصطخري ان الجبل ينسب اليها[1]، لذلك لا يمكن الجزم فيما اذا كانت مدينة سنجار هي التي منحت اسمها للجبل، ام أنها أخذت اسمها من الجبل.

ويعتقد بعض الباحثين ان شنعار الواردة في التوراة في أكثر من موضع[2] هي سنجار الحالية[3]، الا أنها كانت تضم اقليما جغرافيا أوسع بكثير مما هي عليه سنجار الحالية ((وكانت أول مملكته بابل وارك واكد... في ارض شنعار))[4]، وان شنعار يكتب أحيانا سنعار[5]، ويروي دانفيل ان ((اسم سنجار الحالي هو تحريف لاسم شنعار او سنعار الذي سبق ان أطلق قبلا على نفس البقعة من البلاد))[6].

غير ان هناك من يرى ان اصل تسمية سنجار كردي، حيث يسمونها شنگارى باماله الياء[7]، وكذلك شنگار التي تفيد معناها النار الجميلة وربما الأرض الجميلة، وشنكال التي تعني ضمنا ((الجهة الجميلة .... او الراية الجميلة))[8]، وان الكلمة عربت الى سنجار[9]، وربما يعود ذلك لعدم وجود صوت (گ) في اللغة العربية،لذلك نطق الـ(گ) جيما، وانقلب الشين سينا لتقارب مخرجيهما فأصبحت سنجار.

بينما يرى آخرون ان اصل الاسم ژەنگار والتي تعني باللغة الكردية رەنگين[10]، أي الملون، نسبة الى جبلها الذي يتلألأ عندما تضربه اشعة الشمس وذلك بسبب المعادن الكثيرة التي تدخل في تركيبه وخاصة الحديد، وعلى ضوء ذلك هناك من لا يستبعد ان يكون الأصل هو ((آسنجار - ئاسنه جار)) أي معدن الحديد[11].

---

(١) المسالك ص٧٣.
(٢) سفر التكوين، الاصحاح العاشر، الاية العاشرة، نبوة اشعيا، الاصحاح الحادي عشر الاية الحادية عشرة.
(٣) جمس بكنغهام: رحلتي الى العراق ١٧/١.
(٤) التوارة: سفر التكوين، الاصحاح العاشر، الاية العاشرة.
(٥) بكنغهام: رحلتي ١/ ٣٢.
(٦) نفسه: ١/ ١٨.
(٧) الدملوجي: اليزيدية ص٤٧٢.
(٨) جمال بابان: اصول اسماء المدن والمواقع العراقية ٢١٤/١.
(٩) ئەوليا جەلەبى: سياحەتنامه حاشيه رقم (٨) ج١ ص١١٢.
(١٠) نفسه: حاشية رقم (٨) ج١ ص١١٢.
(١١) بابان: اصول ٢١٤/١.

الباب الأول

التاريخ السياسي - العسكري

الفصل الأول
التاريخ السياسي

- سنجار من الفتح الاسلامي الى الحكم الاتابكي ١٨- ٥٢١هـ/ ٦٣٩- ١١٢٧م

تتفق المصادر التاريخية على ان الفتح العربي الاسلامي لاقليم الجزيرة وبضمنها سنجار كان في خلافة عمر بن الخطاب (رض) وعلى يد القائد عياض بن غنم[١] غير انها تختلف حول تفاصيل ذلك، وبصورة عامة يمكن حصر الخلاف في اتجاهين أساسين دون الخوض في التفاصيل.

فالاتجاه الأول يرى ان فتح الجزيرة تم بواسطة الجيوش العربية الاسلامية التي كانت في العراق، أي انها كانت ضمن فتوح العراق، وذلك بعد ان حاصر الروم ابا عبيدة بن الجراح في حمص بالتعاون مع اهل الجزيرة، فكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص ان يرسل مددا الى أبي عبيدة من عساكر العراق، فأنفذ سعد العساكر وعلى رأسها عياض بن غنم، وما ان علم الروم وحلفاؤهم بمسيرة عساكر العراق نحوهم حتى تراجعوا عن حمص الى مراكزهم، عندئذ كتب سعد الى عياض ان يفتح اقليم الجزيرة ففتحها وذلك في سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م وفرض الجزية على أهلها[٢]، غير ان أصحاب هذا الرأي يختلفون فيما بينهم حول تاريخ فتحها، اذ يرى البعض منهم انه تم فتحها سنة ١٩هـ/ ٦٤٠م[٣].

أما الاتجاه الآخر فيرى انها كانت ضمن فتوح الشام، مع اختلافهم أيضا في تفاصيل وسنوات ذلك الفتح.

---

(١) محمد الواقدي: فتوح الشام ٥٢/٢، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ١٢٨/٢، احمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان ٢٠٧/١، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢٥٠٦/٥ – ٢٥٠٧، ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٥٣٢/٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٠، عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون: العبر، و ديوان المبتدأ والخبر، في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ١٠٨/٢.
(٢) الطبري: تاريخ ٢٥٠٧/٥، ياقوت: معجم ١٣٥/٢، ابن الاثير: الكامل ٥٣٢/٢.
(٣) ابن الاثير: الكامل ٥٣٢/٢.

فيرى الواقدي ان عمر بن الخطاب(رض) كتب الى ابي عبيدة بعد فتح الشام ومصر أي في سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م ان يرسل عياض بن غنم لفتح ديار ربيعة ومضر، وكان ابو عبيدة اذ ذاك في طبرية[١]، فأنفذ عياض بن غنم وبصحبته بعض القادة حيث تمكن من فتح مدن الجزيرة صلحا[٢] لا يمكن الركون الى هذه الرواية، لان المصادر تذكر ان أبا عبيدة توفي سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م[٣].

بينما يشير اليعقوبي الى ان أبا عبيدة وجه عياض بن غنم الى الجزيرة، ففتحها صلحا وفرض على أهلها الخراج والجزية التي كانت مقدارها يتراوح بين أربعة الى ستة دنانير على كل واحد منهم وذلك في سنة ١٨هـ[٤].

اما ابن الأثير فيرى ان فتح الجزيرة كان في سنة ١٨هـ وعلى يد عياض بن غنم ولكن بعد وفاة ابي عبيدة بن الجراح(رض)، وإقراره على ولاية ((حمص وقنسرين والجزيرة)) من قبل عمر بن الخطاب(رض)، فسار اليها وفتح بعض مدنها وصالح أهلها على الجزية والخراج[٥].

وعلى الأرجح فان ابتداء فتح الجزيرة كان في سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م وعلى يد القائد عياض بن غنم الذي سيره اليها أبو عبيدة وفتح بعض مدنها، وبعد وفاة ابي عبيدة اقره عليها عمر بن الخطاب(رض)، فاستكمل فتحها بعد ذلك، حيث ان بعض مدنها مثل راس العين وأماكن أخرى تم فتحها سنة ١٩هـ/ ٦٤٠م[٦]، ويؤيد هذا الرأي رواية البلاذري التي يقول فيها ((بعث أبو عبيدة عياض بن غنم الى الجزيرة فمات ابو عبيدة وهو بها فولاه عمر إياها))[٧]، وما لبث عياض ان أنجز فتح بقية بلاد الجزيرة ((حيث لم يبقى بالجزيرة موضع قدم الا فتح على عهد عمر بن الخطاب(رض) وعلى يد عياض بن غنم: فتح حران والرها والرقا وقرقيسيا ونصيبين وسنجار))[٨].

---

(١) عن موقع طبرية انظر: الخارطة المرفقة.
(٢) فتوح ٥٢/٢.
(٣) ابن الاثير: الكامل ٥٣٤/٢، ياقوت: معجم ١٣٥/٤.
(٤) تاريخ ص١٥٠، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ١١٠/١.
(٥) الكامل ٥٣٤/٢، ابن خلدون: العبر ١٠٨/٢.
(٦) ابن الاثير: الكامل ٥٣٤/٢، وانظر الخارطة المرفقة عن موقع راس العين.
(٧) فتوح ٢٠٤/١، وانظر الخارطة المرفقة للتعرف على مواقع هذه البلدان.
(٨) نفسه: ٢٠٤/١.

كانت الجزيرة ايسر البلاد فتحا[1]، حيث أدرك أهلها ان اية مقاومة ضد الجيوش العربية الاسلامية عديمة الجدوى بعد ان أصبح العراق والشام في أيديهم، حيث غدو بين فكي الكماشة الاسلامية لذلك تم فتحها صلحا[2]،غير ان هناك اشارة من ابن خياط بان بعض أجزائها تم فتحها عنوة[3] الا انها لم تكن ذات اهمية اذا ما قورنت بتلك التي فتحت صلحا.

وأصبحت سنجار اداريا ضمن ولاية الجزيرة وتخضع لولايتها منذ فتحها، حينما ولي عليها عياض بن غنم الذي توفي سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠ م وظلت على تلك التبعية الادارية طيلة العهدين الراشدي والأموي واستمرت الحالة عند زوال دولة بني أمية وقيام دولة بني عباس[4]، حيث لم يحدث تغيير اداري يذكر.

وخضعت سنجار ضمن ديار الجزيرة للحمدانيين[5] منذ سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م[6] ((فان سنجار لم تزل مضافة إلى من يلي ديار ربيعة والموصل فما أن خرجت الجزيرة عن أيدي بني حمدان في سنة ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م حتى انتقلت إلى أمراء بني عقيل[7]، ملوك الموصل))[8].

ولابد من عرض سريع لفترة الحكم السلجوقي في العراق وما ترتب عليها من قيام حكم الولاة السلاجقة في الموصل وسنجار التي كانت تابعة لها في أعقاب سقوط العقيليين، ومن ثم ظهور اتابكية الموصل الذي يعد أساسا لقيام اتابكية سنجار التي هي موضوع هذا البحث.

تغيرت الخارطة السياسية للمنطقة بظهور السلاجقة على مسرح الأحداث وهم من قبائل الغز التركمانية، بقيادة طغرلبك الذي دخل بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م بناء على دعوة الخليفة العباسي القائم بأمر الله (ت ٤٦٧هـ) منهيا بذلك حقبة الحكم البويهي في العراق وذلك لضعف البويهيين والتدهور الاقتصادي

---

(١) ابن الاثير: الكامل ٥٣٢/٢.
(٢) الواقدي: فتوح ١٠٨/٢، ياقوت: معجم ١٣٥/٢.
(٣) تاريخ ١١٠/١.
(٤) عن ذلك انظر: ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص١٠ – ٣٩.
(٥) انظر: فيصل السامر: الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج١ – ٢.
(٦) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص٣٥.
(٧) عنهم انظر: خاشع المعاضيدي: دولة بني عقيل في الموصل.
(٨) ابن شداد نفسه ج٣ ق١ ص١٦٠.

والاضطراب الاجتماعي بسبب التنافس السياسي بين الأمراء البويهيين[1]، وكذلك بسبب حركة أبي الحارث ارسلان المعروف بالبساسيري، الذي كان يميل للخليفة الفاطمي في مصر، حيث أقدم على نفي الخليفة القائم بأمر الله إلى حديثة[2] وجعل الخطبة للخليفة الفاطمي[3].

كان السلاجقة على درجة كبيرة من القوة والتنظيم العسكري، وتمكنوا في المرحلة الأولى من المحافظة على وحدة دولتهم التي شملت اضافة الى بلاد فارس، العراق واقليم الجزيرة والشام، خلال حكم السلاطين الكبار طغرل بك ٤٢٩-٤٥٥هـ والب ارسلان ٤٥٥- ٤٦٥هـ وابنه ملك شاه ٤٦٥- ٤٨٥هـ غير ان هذه الوحدة لم تدم طويلا، حيث ظهرت الامارات والدويلات المحلية، واشتد التنافس بين الأمراء، ومن العوامل التي شجعت ذلك هو نظام الاقطاع الذي يتضمن منح الأمراء والجنود مساحات من الأراضي بدلا من الرواتب التي كانت تدفع لهم وتكون عبئا على مالية الدولة[4]، ورافق ذلك قيام السلاطين الذين اعقبوا ملك شاه بتسليم أبنائهم الى بعض هؤلاء الأمراء ليقوم بتربيتهم فسموا بالاتابكة أي الاباء المربيين[5]، مما عزز مكانتهم وقوى مراكزهم، ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في تفكك الدولة السلجوقية، الصراع الذي نشب بين أفراد العائلة السلجوقية الحاكمة بعد وفاة ملك شاه[6] هذه الظروف مجتمعة خلقت لدى هؤلاء الأمراء نزعات استقلالية.

وفي سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م توفي ملك شاه، وبدا النزاع بين ابنيه محمود بركياروق من اجل السلطنة، وبينهم وبين عمهم تاج الدولة تتش الذي كان يرى انه احق بها، وكان يحكم الشام انذاك، غير ان محمود الذي تولى الحكم ما لبث ان توفي في سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٥م، فتولى أخوه بركياروق السلطنة من بعده

---

(١) مجموعة مؤلفين: العراق في التاريخ ص ص٤٤٣ – ٤٤٤.
(٢) خالد عبدالمنعم العاني: موسوعة العراق الحديث ١٦٩/١.
(٣) صلاح الدين خودا بخش: حضارة الاسلام ص٦٠.
(٤) حسين امين: نظام الحكم في العصر السلجوقي، مجلة سومر، المجلد العشرون، الجزء الاول والثاني، سنة ١٩٦٤، ص ص ٢٢٣ – ٢٢٦.
(٥) انظر ص ص١٢٣–١٢٤ من هذا البحث.
(٦) ابن الاثير: الباهر ص ص ١٢–١٣، ١٥، ٢١–٢٣، ٤٢–٤٤.

واجتمع عليه الأمراء والأجناد، وتمكن في موقعة الري[1] سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٦م من قتل عمة تتش[2]، الذي كان يشكل تهديدا خطيرا على حكمه، وبعد هذا التاريخ يبدأ حكم الولاة السلاجقة على الموصل وسنجار وغيرهما من مدن الجزيرة.

وفي سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٥م سار كربوقا[3] من الشام واستولى على حران ونصيبين ومنها الى الموصل حيث دخلها منهيا بذلك حكم العقيليين[4] فيها بعد ان قتل حاكمها العقيلي شرف الدولة محمد بن مسلم بن قريش[5] الذي ولاه عليها تاج الدولة تتش في سنة ٤٨٦هـ /١٠٩٤م بعد ان قتل ابن خاله[6] ابراهيم ابن قريش الذي كان يحكمها[7]، وظل كربوقا يحكم الموصل الى ان توفي سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م[8]، وربما في السنة التي تلتها كما يروي ابو الفدا[9].

بعد وفاة كربوقا ظهر اسم تميرك الذي حكم سنجار[10] ولا نعلم ما اذا كان نائبا عن كربوقا في حياته واستقل بعد وفاته ام انه كان مستقلا منذ البداية، وعلى الأرجح فان سنجار كانت تابعة للموصل من الناحية الادارية لانه ليست هناك اية اشارة او منشور سلطاني عن توليه على سنجار بصورة خاصة، الا انه يبدو انها كانت خلال فترة حكم تميرك قد تمتعت بنوع من الاستقلال، وان ارتباطها مع الموصل كان شكليا.

---

(١) الري: (... مدينة مشهورة....، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا. ياقوت: معجم ١١٦/٣.

(٢) عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر ابو الفدا: المختصر في اخبار البشر ٢١٥/٢.

(٣) هو قوام الدولة ابو سعيد كربوقا، اسماعيل بن عمر ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ١٥٢/١٢. شارك مع قسيم الدولة اقسنقر الحاجب في الحرب ضد تاج الدولة تتش حيث انتصر عليهم عام ٤٨٧هـ وقتل اقسنقر الحاجب وسجن كربوقا، الا ان كربوقا تخلص من سجنه بحمص بعد مقتل تتش في سنة ٤٨٩هـ. ابن الاثير: التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية (بالموصل) ص١٥.

(٤) نفسه: ص١٦.

(٥) ابن كثير: البداية ١٥٢/١٢، شمس الدين محمد بن احمد الذهبي: دول الاسلام ١٨/٢.

(٦) ابن خلدون: العبر ٢٢١/٥.

(٧) شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ٢٦/١.

(٨) ابن الاثير: الباهر ص١٦.

(٩) المختصر ٢١٥/٢.

(١٠) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٦٥.

بعد وفاة كربوقا تولى الموصل موسى التركماني[1]، الا ان أيامه لم تطل حيث قتل في نفس السنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م[2]، وتولى حكم الموصل بعده شمس الدولة جكرمش[3]، غير ان السلطان محمد الذي اعقب بركياروق في حكم السلاجقة استبدله بجاولي سقاو سنة ٥٠٠هـ/ ١١١٦م الذي سار الى الموصل ودخلها بعد ان قتل جكرمش[4] الا ان أصحاب جكرمش كتبوا الى قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش حاكم بلاد الروم يستدعونه ليسلموا البلد اليه، كما راسلوا غيره، فاستجاب قلج ارسلان لدعوتهم وسار الى نصيبين، وما ان علم جاولي بذلك حتى خرج عن الموصل وتوجه الى سنجار، فاستنجد به رضوان بن تتش يستدعيه الى الشام لمحاربة الفرنج، فاستجاب له، في الوقت الذي تجددت دعوة أهل الموصل وعسكر جكرمش لقلج ارسلان الذي قصد الموصل واستولى عليها، وقطع الخطبة للسلطان محمد وخطب لنفسه بعد الخليفة[5]، بينما توجه جاولي الى الرحبة[6] واستولى عليها بمساعدة رضوان الذي اتفق معه على محاربة الفرنج ودفع شرهم عن بلاده، ولما استقر امر الموصل لقلج ارسلان سار الى جاولي الذي تحالف مع رضوان وجرى اللقاء بين الطرفين[7] فمني عسكر قلج ارسلان بالهزيمة وغرق هو في نهر الخابور وعاد جاولي الى الموصل فدخلها[8]، غير انه ما لبث ان خرج على السلطان محمد سنة ٥٢٠هـ/ ١١٠٨م وقصد الشام، فاقطع السلطان الموصل للأمير مودود بن التونتكين[9].

---

(١) كان موسى التركماني نائب كربوقا على حصن كيفا، وعند وفاة الاخير راسله اعيان الموصل واستدعوه فسار الى الموصل ودخلها بعد ان قتل سنقرجه الذي ولاه كربوقا حكم الموصل، الا ان جكرمش حاكم جزيرة ابن عمر تمكن من هزيمة موسى والاستيلاء على الموصل وبعد ذلك قتل موسى على يد احد غلمانه. ابن الاثير: الباهر الهامش رقم (٩–١٠) ص١٦.

(٢) ابن الاثير: الكامل ١٠/٣٤١– ٣٤٣.

(٣) انظر الهامش رقم (٢) في نفس الصفحة.

(٤) ابن الاثير: الباهر ص١٦، ابو الفدا: المختصر ٢/٢٢١– ٢٢٢، ابن كثير: البداية ١٢/١٦٧.

(٥) ابن الاثير: الكامل ١٠/٤٢٦– ٤٢٧.

(٦) عن موقع الرحبة انظر الخارطة المرفقة.

(٧) ابن الاثير: الكامل ١٠/٤٢٨– ٤٢٩.

(٨) ابن الاثير: الكامل ١٠/٤٢٦– ٤٢٧.

(٩) ابن الاثير: الباهر ص ص١٦–١٧، وينقلها عنه ابو شامة: الروضتين ١/٢٧.

وفي هذه الحقبة ازداد النشاط الصليبي في بلاد الشام وما كانوا يقومون به من أعمال الاغارة والقتل والتخريب، لذلك سار وفد من الشام الى بغداد مستنجدين بالخليفة المستنصر بالله (٥٣٦-٥٧٥هـ) والسلطان السلجوقي محمد[١].

وفي سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م سار مودود حاكم الموصل وتميرك حاكم سنجار وآخرون معهم[٢] الى الشام لمحاربة الصليبيين والتقوا بوالي دمشق طغتكين وقاموا بعمليات ناجحة ضد الغزاة في شمالي فلسطين، ثم عادوا الى دمشق حيث اغتيل مودود على يد الباطنية[٣] في العام نفسه[٤].

ومما تجدر الاشارة اليه ان هناك اختلافا بين روايتي ابن الأثير بشأن الحكم في الموصل وأعمالها في سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م وسير معه ولده الملك مسعود على راس جيش لمحاربة الصليبيين[٥] وكان البرسقي اتابكا له[٦]، أما الرواية الثانية وهي ان السلطان محمد ولى على الموصل الأمير جيوش بك وسير معه ولده الملك مسعود[٧] وليس هناك ما يؤيدها، ويبدو ان جيوش بك كان برفقة اقسنقر البرسقي والملك مسعود ولكن من دون توليه، الا ان خروج البرسقي على السلطان في سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م جعله يولى الموصل وما كان بيد البرسقي لجيوش بك[٨].

توفي السلطان محمد سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م وتولى ابنه محمود السلطنة[٩]، وقد اقر اخاه مسعود واتابكه جيوش بك على حكم الموصل[١٠]، ويبدوا ان هذا أصبح اتابكا للملك مسعود، الا ان الملك مسعود ومعه جيوش بك خرجوا على السلطان

---

(١) ابن الاثير الكامل ٤٥٢/١٠، ابو الفدا: المختصر ٢٢٣/٢، ابن كثير: البداية ١٦٧/١٢.
(٢) ابن الاثير: الكامل ٤٩٥/١٠.
(٣) والباطنية: كلمة مشتقة من الباطن، وهم اولئك الذين يأخذون بالمعنى الباطن للقرآن، ويجعلون لكل تنزيل تاويلا، وقد اطلق المؤرخون هذه التسمية على فرق عديدة، كان لها دور سياسي هام. كاراده فو: دائرة المعارف الاسلامية ٢٩٠/٣.
(٤) ابن الاثير: الكامل ٤٩٧/١٠، ابو الفدا: المختصر ٢٢٦/٢، الذهبي: دول ٣٥/٢، ابن كثير: البداية ١٦٧/١٢.
(٥) ابن الاثير: الكامل ٥٠١/١٠.
(٦) الفتح بن علي الاصفهاني البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص١٥٩، ابن الاثير: الكامل ٥٣٩/١٠.
(٧) ابن الاثير: الباهر ص١٩، وينقلها عنه ابو شامة: الروضتين ٢٨/١.
(٨) ابن الاثير: الكامل ٥١٤/١٠.
(٩) نفسه: ٨/ ٥٢٥.
(١٠) ابو شامة: الروضتين ٢٩/١.

محمود سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م الذي تمكن ان يقهرهم في العام التالي، واخذ الموصل منهما واقطعها لاقسنقر البرسقي مع أعمالها كالجزيرة وسنجار ونصيبين[١]، غير ان البرسقي ما لبث ان اغتيل في الموصل سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م على يد الباطنية[٢]، واقر السلطان محمود ابنه عز الدين مسعود[٣] على ما كان لأبيه في الموصل والجزيرة والشام[٤]، الا انه توفي في الرحبة في العام التالي بعد الاستيلاء[٥] عليها وقام بالأمر مملوكه جاولي الذي اسند الولاية الى أخ صغير لعز الدين مسعود وطلب من السلطان محمود ان يقره على ذلك[٦]، وظل جاولي يحكم الموصل وسنجار اشهرا[٧]، وربما كان يهدف من وراء ذلك ان يتحكم في الموصل وأعمالها باسم ذلك الصغير.

- قيام اتابكية الموصل وخضوع سنجار لها ٥٢١هـ - ٥٦٦هـ/ ١١٢٧- ١١٧٠م

أدرك جاولي الذي كان يحكم الموصل باسم الابن الأصغر للبرسقي ضرورة الحصول على الاعتراف الشرعي من السلطان السلجوقي فأرسل اثنين من وجهاء الموصل لتحقيق هذا الغرض وبعث معهما الأموال للاستعانة بها على مهمتهما، وهما بهاء الدين الشهرزوي و صلاح الدين الياغيسياني، اللذان كانا في سرهما يبغضان جاولي ولا يرغبان الدخول في طاعته فسارا الى بغداد والتقيا مع نصير الدين جقر الذي كان من اخص أصحاب عماد الدين زنكي، وأطلعه صلاح الدين على الأمر وكان بينهما مصاهرة، فخوفه من جاولي وأشار عليه بضرورة تولية عماد الدين زنكي، ثم سارا الى القاضي بهاءالدين ليقنعاه بالامر ووعدهم جقر بالأملاك والاقطاع من عماد الدين، واتفقا على ذلك، والتقيا بوزير السلطان محمود انوشروان ابو خالد وبينا له خطورة الوضع وتمكن الصليبيين من البلاد

---

(١) ابن الاثير: الباهر ص٢٤، وينقلها عنه ابو شامة: الروضتين ٢٩/١.
(٢) ابن الاثير: الباهر ص٣١، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل: مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ٣١/١-٣٢.
(٣) ابن الاثير: الباهر ص٣٤، ابن واصل: مفرج ٣١/١.
(٤) ابو شامة: الروضتين ٣٠/١.
(٥) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٦٦.
(٦) ابن الاثير: الباهر ص٣٤، ابن واصل: مفرج ٣١/١.
(٧) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٦٦.

وعدم صلاحية ابن البرسقي لهذا المنصب في مثل هذا الوقت، وعرض الوزير الأمر على السلطان الذي استدعاهم واستشارهم، فأشاروا عليه بتولية عماد الدين زنكي وكان السلطان يميل اليه لقابلياته ومواهبة فاصدر منشورا بتولية زنكي الموصل وأعمالها سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م، فسار عماد الدين زنكي الى الموصل ورتب امورها، وولى القاضي بهاء الدين الشهرزوي القضاء في بلاده جميعا وولى نصير الدين جقر دزدارية[١] قلعة الموصل وسائر قلاع البلاد، وجعل صلاح الدين الياغيسياني أمير حاجب[٢]، وسلم السلطان الى عماد الدين زنكي ولديه ارسلان شاه و فروخ شاه المعروف بالخفاجي ليكون اتابكا لهما ولذلك سمي بالاتابك[٣].

وعماد الدين زنكي[٤] هو ابن قسيم الدولة اقسنقر الحاجب الذي كان من اخص أصحاب السلطان ملك شاه، وعلت منزلته عند السلطان حتى لقب بقسيم الدولة في الوقت الذي كانت الألقاب مصونة لا تمنح الا لمستحقيها، وصار يخشاه نظام الملك وزير السلطان لذلك أشار على السلطان بتوليته حلب وغيرها من المدن في الشام[٥]، أبعادا له عن مركز الدولة.

وقد مر بنا كيف انه بعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م وقع النزاع بين ابنائه من اجل السلطنة، وكذلك بينهم وبين عمهم تاج الدولة تتش، وقد وقف اقسنقر الحاجب الى جانب بركياروق ابن ملكشاه الذي تولى السلطنة بعد وفاة اخية محمود سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م[٦] غير ان قسيم الدولة قتل في السنة نفسها على

---

(١) دزدار: لفظ اعجمي يتألف من مقطعين هما: دز بمعنى قلعة ودار يعني حافظ، وبذلك يكون حافظ القلعةووليها. ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ١٤٢/٦.

(٢) ابن الاثير: الباهر ص ص٣٤-٣٥، الكامل ٦٤٣/١٠-٦٤٥، ابن واصل: مفرج ٣٢/١-٣٣، وابو شامة: الروضتين ٣٠/١، وابن خلدون: العبر٢٢٣/٥-٢٢٤، وللزيادة عنهم انظر خليل: زنكي ص ص ٣١-٤٥.
والامير حاجب يعني صاحب الحجاب. ابو العباس بن علي القلقشندى: صبح الاعشى في صناعة الانشا ١٨٥/٤.

(٣) ابن خلكان: وفيات ٣١٦/١.

(٤) للمزيد من التفاصيل عنه انظر: خليل: زنكي.

(٥) ابن الاثير: الباهرص٤.

(٦) ابن الاثير: الباهر ص١٣، البنداري: دولة ص ص٧٦-٧٧، ابو الفدا: المختصر ٢٠٣/٢-٢٠٤، ابن كثير: البداية ١٤٤/١٢-١٤٥، الذهبي: دول ١٤/٢، ابن خلدون: العبر ٢٢١/٥.

يد تتش بسبب موقفه هذا مخلفا عماد الدين زنكي الذي كان له من العمر عشر سنوات، فاجتمع حوله مماليك أبيه وحضي برعاية وعناية سلاطين السلاجقة، كذلك ولاتهم على الموصل، ابتدأ من كربوقا الذي توفي سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م[١]، وحتى اقسنقر البرسقي الذي أوصاه السلطان محمود بعماد الدين زنكي الذي اتصل به، فولاه البرسقي بحكم كونه شحنه[٢] للعراق كله مدينة واسط وشحنكية البصرة سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م[٣]، ولعب زنكي دورا كبيرا في النزاع بين دبيس بن صدقة امير الحلة والخليفة المسترشد سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م لصالح الخليفة[٤]، وفي سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م انضم زنكي الى السلطان محمود أثناء النزاع مع الخليفة المذكور[٥]، وفي سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م ولاه السلطان شحنكية بغداد والعراق إضافة لما كان بيده لكي يأمن جانب الخليفة[٦].

شرع عماد الدين زنكي منذ البدء بتأسيس جبهة اسلامية كبيرة تشمل اقليم الجزيرة والشام ليتمكن بذلك من مواجهة الغزو الصليبي الذي بات خطرا كبيرا يهدد الديار الاسلامية في المشرق، لذلك عمل على ضم المدن والقلاع الى إمارته متبعا في ذلك الأساليب المختلفة وبدأ في سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م بجزيرة ابن عمر[٧] التي استولى عليها بعد قتال، ومنها سار الى نصيبين التي استولى عليها بالحيلة، وبعدها توجه الى سنجار حيث قاتله أهلها وامتنعت عليه الا انهم ما لبثوا ان صالحوه وسلموا اليه المدينة وذلك في سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م[٨]، وجعل زنكي

---

(١) ابن الاثير: الباهر ص ص١٥-١٦، ابن خلدون: العبر ٢٢/٥.
(٢) الشحنه: هو اشبه بالحاكم العسكري في الوقت الحاضر. القلقشندي: صبح ٣٦١/٥.
(٣) ابن الاثير: الباهر ص ص٢٦-٢٧، الكامل ٦٣٦/١٠-٦٣٨، ابو الفدا: المتصر ٢٣٦/٢، ابن خلدون: العبر ٢٢٢/٥.
(٤) ابن الأثير: الباهر ص ص٢٩-٣٠، الكامل ٦٠٧/١٠-٦٠٩، ابن كثير: البداية ١٩٦/١٢-١٩٧.
(٥) ابن الأثير: الباهر ص٣١، ابو الفدا: المختصر ٢٣٨/٢، ابن كثير: نفسه ١٩٨/١٢.
(٦) ابن الأثير: الباهر٣١، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي: المنتظم في تارخ الامم والملوك ٥/١٠.
(٧) عن جزيرة ابن عمر: انظر الخارطة المرفقة.
(٨) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٦٧، بينما يرى ابن الاثير وآخرين معه ان فتحها كانت سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م. الباهر ص ص٣٦-٣٧، الكامل ٦٤٦/١٠-٦٤٧، ابن واصل: مفرج ٣٦/١، زيد الدين عمر ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر ٤٧/٢، ابن خلدون: العبر ٢٢٤/٥.

من سنجار ((مركزا لبسط هيمنته على شمال شرق الموصل))[1]، ومنها أرسل قواته الى الخابور فاستولت عليها[2]، وأصبحت سنجار واحدة من المراكز الثلاث التي اعتمد عليها زنكي في حكمه حيث قسم أمواله و ((أودع بعضها بالموصل، وبعضها بسنجار، وبعضها بحلب، وقال ان جرى على بعض هذه الجهات خرق، او حيل بيني وبينه استعين على سد الخرق بالمال الذي في غيره))[3]، كما أصبحت مركزا لسك العملة الاتابكية[4].

ولما كان هدف زنكي هو اقامة جبهة إسلامية موحدة ضد الصليبيين، لذلك عقد هدنة مع جوسلين حاكم الرها سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م لكي يتفرغ لاخضاع بقية المواقع في الجزيرة والشام، وكانت لحلب أهمية خاصة في مشروعات زنكي، لذلك اقدم على امتلاكها في السنة نفسها[5]، وبالاستيلاء على حلب تم ربط شمال الشام بشمال العراق (اقليم كوردستان) الذي أصبح قاعدة المواجهة الاسلامية ضد الغزو الصليبي[6].

وتجلت أهمية سنجار للموصل ومستقبل حكم عماد الدين زنكي في سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م عندما سار الخليفة المسترشد بالله الى الموصل عاقدا العزم على أخذها من زنكي[7]، وتعود جذور الخلاف بين الخليفة المسترشد وزنكي الى ما قبل هذا التاريخ، عندما نشب الخلاف بين السلطان محمود والخليفة المذكور في سنة ٥١٩ – ٥٢٠هـ/ ١١٢٥ – ١١٢٦م حيث استدعى السلطان محمود زنكي من واسط الذي سار الى بغداد برا ونهرا مما سبب إحراجا كبيرا لموقف الخليفة بحيث اضطر الى طلب الصلح[8]، وكذلك مسير زنكي الى بغداد والتحالف مع دبيس بن

---

(١) محمد مرسي الشيخ: الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ص٣٠١.
(٢) ابن الأثير: الباهر ص٣٧، الكامل ٦٤٧/١٠، ابن واصل: مفرج ٣٦/١٠، ابو شامة: الروضتين ٣٠/١.
(٣) ابن الأثير: الباهر ص٨٠، انظر كذلك ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٧١.
(٤) محمد باقر الحسيني: العملة الاسلامية في العهد الاتابكي ص٣٤.
(٥) ابن الأثير: الباهر ص ص٣٧–٣٨، الذهبي: دول الاسلام ٤٥/٢، تقي الدين احمد بن علي المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ ق١ ص٣٥، انظر كذلك :
Keenth M. Setton: Ahistory of the crusades, ١/٤٢٧.
(٦) الشيخ: الجهاد ص٣٠١.
(٧) ابن كثير: البداية ٢٠٤/١٢.
(٨) ابن الاثير: الباهر ص ٣١، ابو الفدا: المختصر ٢٣٨/٢، ابن كثير: البداية ١٩٨/١٢.

صدقه للاستيلاء عليها بأمر من السلطان سنجر السلجوقي في سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م[١]، ومن الأمور الأخرى التي أدت الى توتر العلاقات بين الطرفين هو إقدام زنكي على اعتقال رسول الخليفة الى الشام سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م ولم يطلقه الا بشفاعة من الخليفة نفسه[٢]، كما التجأ الى الخليفة عدد من الأمراء السلاجقة بسبب الخلافات التي كانت قائمة بينهم، لذلك استغل الخليفة هذه الفرصة للاستفادة منهم والاستعانة بهم في تقوية الخلافة وتثبيت دعائمها[٣]، ومن العوامل الأخرى أيضا هي ان الخلافة كانت تمر فيما يسمى بمرحلة الانتعاش وخاصة بعد وفاة السلطان محمود سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م، وقيام الصراع داخل العائلة السلجوقية المالكة حول السلطنة[٤]، لذلك حاول الخليفة المسترشد استغلال هذه الظروف بما يعزز مكانته، وأخيرا جاءت إهانة زنكي لرسول الخليفة بمثابة العامل المباشر الذي حرك الخليفة للانتقام منه[٥].

وللأسباب المذكورة سار الخليفة المسترشد سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م الى الموصل على راس جيش كبير، بعد ان أحاط السلطان مسعود علما بما عزم عليه[٦]، وعندما علم زنكي بهجوم الخليفة على الموصل غادرها مع بعض عسكره الى سنجار، التي كانت حصن الموصل الحصين[٧] وشحنها بالرجال والذخائر[٨]، وترك في الموصل نائبه نصير الدين جقر مع ما تبقى من عسكره، وقد أحسن جقر الدفاع عنها ودام حصار الخليفة لها قرابة الثلاثة اشهر ولم ينل منها، وكان زنكي خلال هذه الفترة يرسل العساكر ويقطع خطوط الامداد والتموين عن عساكر الخليفة، فقلت الأرزاق، وأصبحوا أشبه بالمحصورين، لذلك اضطر الى رفع الحصار والعودة الى بغداد[٩].

---

(١) ابن الاثير: الباهر ص ص٤٥-٤٦، الكامل ٦/١١، ابن واصل: مفرج ٥٣/١.
(٢) ابن الاثير: الباهر ص٤٧.
(٣) نفسه ص٤٧، الكامل ٦/١١، ابن خلدون: العبر ٢٢٨/٥.
(٤) ابن الأثير: الباهر ص ص ٤٣-٤٧.
(٥) ابن الأثير: الباهر ص ٤٧، ابن خلدون: العبر ٢٢٨/٥.
(٦) ابن الأثير: الكامل ٦/١١.
(٧) الحسني: موجز ص١٦٦.
(٨) ابو الفدا: المختصر ٧/٣.
(٩) ابن الأثير: الباهر ص٤٧، الكامل ١١/٦، وينقلها عنه:
Rene Grousset: Histoire des croisades, ٣/٥٥-٥٦.

وقد حاول زنكي أثناء الحصار معالجة الموقف وتحسين العلاقة بينه وبين الخليفة، وإقناعه بالتخلي عن الموصل ورفع الحصار عنها، بأن يحمل اليه الأموال الكثيرة ويدخل في طاعته[١]، الا ان الخليفة لم يوافق على ذلك[٢].

واختلفت الروايات في تفسير فشل الخليفة للاستيلاء على الموصل، ورغم قلة الأقوات لعسكره كما تقدم، هناك من يرى ان السلطان مسعود السلجوقي طلب منه العودة، وبلغه أيضا ان السلطان قد عقد العزم على قصد بغداد[٣]، وان زنكي بعدما اجتمعت له العساكر الكثيرة عزم هو الآخر على قصد بغداد والاستيلاء عليها، وبذلك يضع الخليفة بينه وبين عسكر الموصل، فخاف الخليفة من سوء العاقبة لذلك قرر العودة[٤]، وفي العام التالي تصالح الخليفة وزنكي[٥].

لعبت سنجار مرة أخرى دورا كبيرا في المحافظة على حكم البيت الاتابكي الزنكي في الموصل من إطماع السلاجقة الذين حاولوا ازالتها سنة ٥٤١هـ/ ١٤٤٦م بعد اغتيال عماد الدين زنكي على قلعة جعبر[٦]، خاصة اذا علمنا ان الملك الب ارسلان ابن السلطان محمود الذي كان زنكي اتابكه كما تقدم، كانت له إطماع في الحكم قبل هذا التاريخ، عندما أقدم على قتل نصير الدين جقر نائب زنكي في الموصل سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م مستغلا غياب زنكي الا انه فشل في تحقيق هدفه[٧]، غير ان الفرصة بدت له أكثر ملائمة بعد اغتيال زنكي، وكان برفقة زنكي عند اغتياله ابنه نور الدين محمود، الذي سار مع قسم من العساكر بعد اغتيال والده الى حلب واستقر أمره بها، مؤسسا بذلك اتابكية حلب، في الوقت الذي عمل كل من جمال الدين الاصفهاني وصلاح الدين الياغيسياني على حفظ الحكم في الموصل في عائلة زنكي، وأرسلوا الى ابنه الأكبر سيف الدين غازي الذي كان على

---

(١) شهاب الدين ابو اسحاق بن ابراهيم بن ابي الدم: التاريخ الإسلامي المختصر ص ٤٥٤، الذهبي: دول ٤٨/٢.
(٢) ابن الجوزي: المنظم ٣١/١٠، ابن كثير: البداية ٢٠٤/١٢.
(٣) ابن الأثير: الباهر ص ٤٨، الكامل ٦/١١، ابن واصل: مفرج ٥٣/١، ابن خلدون: العبر ٢٢٨/٥.
(٤) سليمان الصائغ: تاريخ الموصل ١٦٩/١.
(٥) ابن الأثير: الباهر ص ٤٨، ابو الفدا: المختصر ٨/٣، خليل: زنكي ص٥٦.
(٦) عن جعبر انظر: الخارطة المرفقة.
(٧) ابن الأثير: الباهر ص ص ٧١-٧٢.

ولاية شهرزور[1]، يعلمانه بالأمر ويستدعيانه الى الموصل ليتولى الأمر فيها، بينما عملا على تضليل الب ارسلان واظهرا له الطاعة مؤكدين له ان زنكي كان نائبه، وخضوعهم له كان بأسمه، واشغلاه بالملذات وعملوا على تأخير وصوله الى الموصل كسبا للوقت ليضمنوا وصول سيف الدين غازي، واخذ جمال الدين الاصفهاني يستحلف الأمراء والأجناد في السر لسيف الدين ويرسل من يستحلف له الى الموصل، وعندما وصلا الى سنجار أرسل الاصفهاني الى والي قلعتها بان لا يسلم البلد ولا يمكن أحدا من الدخول اليها، وان يرسل الى الملك يقول له انه تبع للموصل، فمتى دخلت اليها سلمت اليك سنجار[2].

ويبدو ان الملك ألب ارسلان شم رائحة الغدر في سنجار، وحاول الهرب الا انه فشل[3]، فأشار عليه الاصفهاني بالتوجه الى الموصل بعد ان لم يبق معه من الجيوش الا القليل، وبعد وصول سيف الدين غازي اليها واستقرار أمره بها، أرسل اليه من يعلمه بقلة عدد جيش الملك، وان يخرج اليه، فأرسل اليه سيف الدين غازي الأمير عز الدين الدبيسي الذي قبض على الب ارسلان وجئ به الى الموصل، وبذلك ثبت حكم سيف الدين[4]، واقره السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه على ما بيده[5].

ولم تفقد سنجار أهميتها خلال حكم سيف الدين غازي، وظلت معقلا أمينا للحكم الاتابكي الزنكي في الموصل، ومستودعا لخزائن أموالهم[6]، حيث أقدم سيف الدين بعد مقتل والده على ((نقل خزائن الموصل الى سنجار))[7].

توفي سيف الدين غازي في الموصل سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م ولم يكن هناك من

---

(١) شهرزور: ((وهي كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمدان)) ياقوت: معجم ٣/٣٧٥.
(٢) ابن الأثير: الباهر ص ٦٨، الكامل ١١/١١٢-١١٣، ابن واصل: مفرج ١/١٠٧-١٠٨، ابن خلدون: العبر٥/ ٢٣٨.
(٣) ابن خلكان: وفيات ٤/٤.
(٤) ابن الأثير: الباهر ص ٨٦، الكامل ١١/١١٣، ابن واصل: مفرج ١/١٠٩، ابن خلدون: العبر ٥/٢٣٨.
(٥) ابن الأثير: الباهر ص٨٦، ابن واصل: مفرج ١/١٠٩.
(٦) ابن الأثير: الباهر ص٩٧، الكامل ١١/١٤١، ابن واصل: مفرج ١/١٢٠
(٧) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٦٧.

يخلفه لان ابنه الوحيد توفي قبل ذلك[1]، وبعد وفاته اتفق كل من جمال الدين الاصفهاني الذي كان وزيرا في الموصل وزين الدين علي كجك أمير الجيوش على توليه قطب الدين مودود أخ سيف الدين فتم ذلك وأطاعته جميع البلاد التي تحت إمرة أخيه[2].

كادت سنجار ان تؤدي الى مشكلة كبيرة بين الأخوين نور الدين محمود وقطب الدين مودود، لولا تداركهما الأمر، ووجود المستشارين الأكفاء من ذوي الآراء السديدة، مثل جمال الدين الاصفهاني، الذي كان يدرك حقيقة الأمور وأبعادها، ذلك انه بعد وفاة سيف الدين وتولية قطب الدين كتب بعض الأمراء الى نور الدين محمود في الشام يستدعونه ويشيرون عليه بالمسير الى الموصل لتولي حكمها، وكان فيمن كاتبه المقدم عبد الملك[3] والي قلعة سنجار، واستدعاه ليسلم سنجار اليه، فسار نور الدين من حلب في عدد من أكابر دولته فوصل الى ماكسين[4] ومنها سار الى سنجار، وقد سبق نور الدين اصحابه، فنزل بظاهرها وأرسل الى المقدم من يعلمه بوصوله[5]، غير ان هذا كان قد استدعى الى الموصل من قبل قطب الدين وذلك لاكتشاف أمر مكاتبته لنور الدين، وأخر نفسه قدر الامكان على أمل ان يصل اليه نور الدين، وبسبب تأخر وصول الأخير اضطر المقدم الى المسير الى الموصل، وترك ابنه شمس الدين محمد ينوب عنه في سنجار[6]، واعلمه بأنه سوف يتأخر في الطريق وأمره ان يرسل في طلبه اذا ما

---

(١) ابن الأثير: الباهر ص٩٢، الكامل: ١٣٨/١١.

(٢) ابن الاثير: الباهر ص٩٤، ابن الاثير: الكامل ١٣٩/١١، ابن خلدون: العبر ٢٣٩/٥-٢٤٠.

(٣) كان المقدم عبد الملك من الجندارية الذين وضعوا في خدمة سيف الدين غازي ابن عماد الدين زنكي، عندما كان يعمل في خدمة السلطان مسعود السلجوقي. وعندما عاد سيف الدين الى الموصل بعد اغتيال والده سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م استصحب معه شمس الدين محمد بن عبد الملك، ولما انفصل عبد الملك عن الجندارية، التحق بسيف الدين في الموصل وكان واليا لقلعة سنجار، الأثير: الباهر ص٨٧.

(٤) ماكسين: وهي مدينة على الخابور. عنها انظر الخارطة المرفقة.

(٥) ابن الأثير: الباهر ص ص ٩٥-٩٦، الكامل ١٣٩/١١-١٤٠، كمال الدين عمر بن احمد ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ٢٩٦/٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٧٠، ابن واصل: مفرج ١١٨/١، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم بن الفرات: تاريخ ابن الفرات: م٤ ج١ ص٩٩.

(٦) ابن الأثير: الباهر ص ص ٩٥-٩٦، ابن واصل: مفرج ١١٩/١.

وصل نور الدين،وعندما وصل الأخير الى سنجار أرسل شمس الدين محمد في طلب ابيه من يعلمه بوصوله فأدركه الرسول عند تلعفر[1]، فعاد عبد الملك الى سنجار وسلمها لنور الدين محمود يوم الاثنين العاشر من شهر رجب سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م[2]، ومدحه الشعراء وهنأوه باستيلائه عليها ومنهم ابن القيسراني[3] في قصيدة منها:

وملكت سنجارا وما من بلدة الا تمنت انها سنجـــــــار
وبسطت بالأموال كفا طالما طالت به الا مال وهي قصار[4]

وكذلك مدحه ابن منير الطرابلسي[5] بقصيدة جاء فيها:

ترنح معطف الزوراء لما دعاك لزور سنجار لمام
وزلزلت الصعيد وراء مصر غداة علتك في قطنا الخيام[6]

وتحسب نور الدين من اخيه قطب الدين، وكاجراء احترازي استدعى فخر الدين قرا ارسلان بن داود حاكم حصن كيفا[7] الارتقي فسار هذا بجيشه الى سنجار نجدة لنور الدين، لصداقة كانت بينهما، وكذلك بذل له نور الدين قلعة الهيثم[8]، وعندما علم قطب الذين بذلك جمع الجيش وسار بها الى سنجار وبرفقته وزيره جمال الدين الاصفهاني وأمير جيوشه زين الدين علي كجك، فوصلوا الى تلعفر، وأرسلوا الى نور الدين ينكرون عليه إقدامه على اخذ سنجار التي هي من إعمال الموصل، ويهددونه بالمسير اليه وأخذها منه عنوة، ان لم يتخل عنها باختياره، اما جواب نور الدين فكان يتضمن التبرير والتهديد في آن واحد، وهو انه لم يأت الا بعد ان استدعاه الأمراء معلنين كراهيتهم لحاشية

---

(١) تلعفر: اصله التل الاعفر للونه ((وهو اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل)) ياقوت: معجم ٣٩/٢. وعن موقعها انظر أيضا الخارطة المرفقة.
(٢) ابن الأثير: الباهر ص ٩٨-٩٨.
(٣) هو ((ابن محمد بن خالد.... المعروف بابن القيسراني)) كان شاعرا مجيدا ومشهورا في الشام في عهد نور الدين محمود ومدحه بقصائد لجهاده ضد الصليبيين، ولد سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م وتوفي سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م. ياقوت: ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ٦٤/١٩-٦٥.
(٤) ياقوت: نفسه ٨٠/١٩، ابو شامة: الروضتين ٦٨/١.
(٥) كان من اشهر شعراء الشام في عهد نور الدين محمود. ياقوت: نفسه ٦٤/١٩-٦٩.
(٦) ابو شامة: الروضتين ٦٩/١.
(٧) عن حصن كيفا انظر: الخارطة المرفقة.
(٨) لم تشر الخرائط والمعاجم الجغرافية الى موقع هذه القلعة ويبدو أنها كانت في جهات حصن كيفا.

قطب الدين، وانه خشى ان يحملهم كراهيتهم لهؤلاء ان يخرجوا الحكم من البيت الاتابكي ويحولوها الى غيرهم، ولما كان هو الأخ الأكبر فانه أولى برعاية أخيه وتدبير أمره منهم، واذ كان قد التجأ اليه بعض أجناد الموصل، فانه رد على تهديدهم له بالقتال، بأنه سوف يقاتلهم بعساكرهم، فخشيت حاشية قطب الدين من مغامرة الأمراء وبقية العساكر عليهم[1]، وترددت الرسل بينهم، وأبدى الطرفان استعدادهما للصلح، حيث عمل جمال الدين الاصفهاني على تهدئة الحالة وتخفيف التوتر بين الأخوين، فأشار على قطب الدين بقبول الصلح ونبذ الحرب وقال له: ((نحن نظهر للسلطان والخليفة إننا تبع نور الدين، ونور الدين يظهر للفرنج انه يحكمنا ويتهددهم بنا، فان كاشفناه وحاربناه، فان ظفر بنا، طمع فينا السلطان، وان ظفرنا به طمع فيه الفرنج، ولنا بالشام حمص[2] وقد صار له عندنا سنجار، فهذه انفع لنا من تلك، وتلك انفع له من هذه، والرأي ان نسلم اليه حمص ونأخذ سنجار، وهو في ثغر بازاء الافرنج ويتعين مساعدته))[3] فأتفق الأمراء على رأيه، وسار جمال الدين الى نور الدين في ذلك، فأجابه هذا واستقر الصلح بينهم على ذلك، وعاد نور الدين الى الشام، بعد ان اخذ الأموال والذخائر التي كانت محفوظة في سنجار، منذ عهد والده زنكي وكانت كثيرة جدا[4]، وهناك من يضيف مدينة الرحبة الى حمص كطرف في المبادلة[5] غير ان ابن العديم يقتصر على ذكر الرحبة فقط في المبادلة بسنجار[6] وهذا رأي فريد لايمكن الأخذ به، وربما يكون ابن العديم قد ذكر حمص والرحبة، الا ان حمص سقطت اثناء النسخ.

ومن الأمور التي سهلت التفاهم بين الأخوين، الثقة التي كانت قائمة بينهما،

---

(١) ابن الأثير: الباهر ص٩٦، وينقلها عنه ابن واصل: مفرج ١١٩/١-١٢٠.
(٢) عن حمص: انظر الخارطة المرفقة.
(٣) الهامش رقم (٤) من نفس الصفحة.
(٤) ابن الأثير: الباهر ص٩٦-٩٧، الكامل ١٤٠/١١-١٤١، وينقلها عنه ابن العديم: زبدة ٢٩٧/٢-٢٩٨، ابو شامة: الروضتين ٦٧/١، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٧١، بدر الدين ابن القاضي شهبه: الكواكب الدرية في السيرة النورية ص ص١٣٣-١٣٤.
(٥) ابن الأثير: الكامل ١٤١/١١، غريغوريوس ابو الفرج بن أهرون ابن العبري: مختصر تاريخ الدول ص٣٦٠، ابن كثير: البداية ٢٢٦/١٢.
(٦) زبدة: ٢٩٨/٢.

حيث لم تكن هناك احقاد وضغائن تتمكن من التحكم في طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بينهما، وكذلك الدور الكبير الذي لعبه جمال الدين الاصفهاني في التقريب بين الطرفين، وكان اتفاق الأخوين وما بينهم من الوئام والانسجام سببا في استقرار حكمهما، والتفرغ لمواجهة الغزو الصليبي.

ومما تجدر الاشارة اليه ان نور الدين حقق من هذه المبادلة وحدة ما تحت حكمه من بلدان الشام[1] ذلك لان حمص أصبحت مركزا متقدما باتجاه دمشق التي أدى دخولها الى قيام سوريا الموحدة والتي قامت بالدور القيادي في التصدي للغزو الصليبي[2]، حيث كان نور الدين في الشام صاحب السلطة العليا، وأخوه قطب الدين بمثابة نائبه على الجزيرة[3]، وادى اتفاق ارائهما واتحادها، الى تكوين جبهة واسعة تتمتع بامكانات مادية وبشرية كبيرة، وكانت معينا لا ينضب لحركة الافاقة الاسلامية التي قامت على يد نور الدين ضد الغزو الصليبي، كما ان الأموال الضخمة التي اخذها نور الدين من سنجار، لعبت دورا كبيرا في تمويل المجهود الحربي في ذلك الصراع الكبير، والتي يقول عنها ابن الأثير ((وعاد الى حلب، ومعه خزائن سنجار على ستمائة جمل- ماخلا البغال وما فرقه على أولاد الملوك والأمراء- وستة وتسعين بغلا محملة ذهبا))[4]، ان رواية ابن الأثير هذه حتى وان كانت لا تخلو من مبالغة فأنها تعبر عن ضخامة حجمها.

ظلت سنجار تابعة للموصل وخاضعة لحكم قطب الدين مودود بن زنكي حتى وفاته سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م، وعندما اشتد به المرض أوصى بالملك من بعده لابنه الأكبر عماد الدين زنكي، الا ان نائبه فخر الدين عبد المسيح اتفق مع زوجته الخاتون بنت حسام الدين تمرتاش، وتمكنا من حمل قطب الدين على التراجع عن قراره، وتغيير رأيه وأوصى بالحكم لولده الصغير سيف الدين غازي ابن الخاتون بدلا من عماد الدين، ومرجع ذلك ان فخر الدين كان يكره عماد

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١٤١/١١، ابن العديم: زبدة ٢٩٨/٢، ابن العبري: مختصر ص٣٦٠.
(٢) Grousset: Croisades ٣/٢٧٤.
(٣) W.B Stevenson: The crusaders in the east p١٦٦.
(٤) الباهر ص٩٨.

الدين الذي أكثر المقام عند عمه نور الدين في الشام، وتزوج من ابنته، وكان نور الدين يكره فخر الدين لسيرته السيئة، لذلك خاف ان تكون تصرفات عمادالدين وفق توجيهات عمه نور الدين الذي يكرهه فيقدم على عزله، لذلك صرفه عنه الحكم، فسار عماد الدين الى عمه مستنصرا[1]، كما ان فخر الدين كان يرى في صغر سن سيف الدين فرصة للتحكم في امور الدولة باسمه، خاصة وانه كان صاحب الفضل عليه لانه تمكن من اقناع والده بتوليته، وهذا ما تم فعلا حيث لم يكن لسيف الدين من الحكم سوى الاسم[2].

وعندما علم نور الدين بوفاة أخيه قطب الدين وتمكن فخر الدين عبد المسيح في دولته، صعب عليه ذلك وقال: انا أولى برعاية ابناء أخي وتدبير دولتهم، فسار بجيوش قليلة وعبر الفرات عند قلعة جعبر في مستهل سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م وقصد الرقة، فاستولى عليها بعد مقاومة نائبها، ومنها توجه الى الخابور فاستولى عليها ثم قصد نصيبين وضمها ايضا، ثم توقف فيها حيث عمل على تعزيز موقفه عسكريا بان شرع في جمع العساكر للخطوة القادمة، لانه كان قد أبقى معظم عساكره في الشام لمواجهة الصليبيين وانضم اليه نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا[3]، وذلك لدقة الموقف في الخطوة القادمة، وتحسب نور الدين لحركته هذه كثيرا، لذلك عمل للتمهيد لها سياسيا، حتى يتجنب اثارة الخلافة العباسية، حيث أرسل عماد الدين الكاتب الاصفهاني[4]، عندما كان في أطراف الرقة الى دار الخلافة عن طريق الرحبة، وذلك لأخذ الاذن

---

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٤٦، الكامل ٣٥٥/١١، ابن العديم: زبدة ٣٣١/٢، أبو شامة: الروضتين ١٨٦/١، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٧٢، مفرج ١٩١/١، ابن خلدون: العبر ٢٤٩/٥، ابن الفرات: تاريخ م ٤ ج١ ص١٠٢، أبو بكر بن عبدالله بن ايبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر ((الدر المطلوب في اخبار ملوك بني أيوب) ٤٥/١.

(٢) ابن الأثير: الباهر ص١٤٦، ابن قاضي شهبه: الكواكب ص ١٩٠، ابن الفرات: نفسه م٤ ج١ ص١٠٣.

(٣) ابن الأثير: نفسه ص١٥٢، الكامل ٣٦٢/١١– ٣٦٣، ابن العديم: زبدة ٣٣١/٢ – ٣٣٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٧٣، ابن العبري: مختصر ص ص ٣٧٢– ٣٧٣، ابن واصل: مفرج ١٩٢/١.

(٤) هو محمد بن حامد العماد الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) صاحب المؤلفات العديدة ومنها الفتح القسي في الفتح القدسي، البرق الشامي.... الخ.

من الخليفة بالتوجه الى الموصل[1]، لان نور الدين ((استشعر من الخليفة..... المستنجد بالله العباس، لانه بلغه انه على عزم لنصرة أهل الموصل)) فأرسل اليه العماد الكاتب الاصفهاني يستأذنه في دخول الموصل على اعتبار انه كبير البيت الاتابكي الزنكي، وبمصلحتهم ادرى فأذن له الخليفة بدخول الموصل، في الوقت الذي سار فيه نور الدين الى سنجار ونزل عليها في ربيع الأول من السنة نفسها، وكان بها كثير من قوات الموصل فامتنعت عليه الا انه حاصرها ونصب عليها المجانيق[2]، وعاد عماد الدين الاصفهاني من بغداد الى نور الدين وهو على حصار سنجار واعلمه بموافقة الخلافة، لذلك جد في حصارها حتى تمكن من ان يستولي عليها في الثالث عشر ربيع الآخر بالأمان وسلمها لابن أخيه عماد الدين زنكي بن قطب الدين، بينما كان أمراء الموصل يراسلونه ويشيرون عليه بترك سنجار والمسير الى الموصل وتسلمها، الا انه أصر على امتلاك سنجار أولا[3].

يبدو ان استسلام سنجار لم يكن عسكريا بقدر ما كان سياسيا، لان تخلي الخلافة عنها وموافقتها على قيام نور الدين بالاستيلاء عليها كان كافيا لان يفت في عضد المقاتلين فيها، وفي المقابل زاد من تصميم نور الدين على الاستيلاء عليها[4]، خاصة وان استسلامها جاء بعد وصول العماد الكاتب الاصفهاني من دار الخلافة كما راينا.

اما الطرف الآخر من النزاع وهو (الموصل) فانه أرسل عز الدين مسعود ابن قطب الدين الى شمس الدين ايلدكز[5]، اتابك ((همذان وبلد الجبل وأذربيجان وأصفهان والري)[6]، يستنجده على عمه نور الدين، فأرسل ايلدكز رسولا الى نور

---

(١) ابن واصل: مفرج ١٩١/١- ١٩٢.
(٢) المنجنيق: جمعها مجانيق الة خشبية ترمي الحجارة لدك الاسوار والحصون. القلقشندي صبح ١٤٣/١٢- ١٤٤.
(٣) أبو شامة: الروضتين ١٨٨/١، ابن واصل: مفرج ١٩١/١- ١٩٢، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج١ ص ص ١١٠- ١١١.
(٤) ابن الفرات: نفسه م٤ ج١ ص١١١،
NIKTA ELISSEEFF: Nür-Din ٢/٦٥٩.
(٥) انظر ترجمته في: ستانلي لين بول: طبقات سلاطين الاسلام ص١٦٠.
(٦) عن هذه المواقع انظر: الخارطة المرفقة.

الدين ينهاه عن التعرض للموصل وأعمالها، ويقول ان هذه البلاد للسلطان[1]، ووصل رسوله وهو محاصر لسنجار الا ان نور الدين لم يعر له أهمية، وأجابه عن طريق رسوله مهددا ((قل لصاحبك انا أصلح لأولاد أخي منك، فلم تدخل نفسك بيننا؟ وعند الفراغ من إصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همذان.....))[2].

استولى نور الدين على سنجار بعد قتال شديد[3]، وهدم سورها بالمنجنيق[4] وسلمها لابن أخيه عماد الدين وبذلك قامت اتابكية سنجار ذات الكيان الخاص، ومنها سار الى الموصل، وكان أمراؤها يميلون لنور الدين ويراسلونه، فخاف فخر الدين عبدالمسيح من اتفاق الأمراء ضده ومجاهرته بالعصيان، لذلك راسل نور الدين بشأن تسليم الموصل اليه، على ان يبقيها على سيف الدين غازي وطلب الأمان لنفسه وأمواله، واقطاعا له من نور الدين الذي وافق على كل ذلك ودخل الموصل في ثالث عشر جمادي الأولى سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م ونفذ ما اتفق عليه[5]، ويمكن القول ان العامل الرئيس الذي ساعد نور الدين على دخول الموصل، هو تأييد الخلافة له، حيث وصلت اليه خلعة الخليفة المستضئ بأمر الله (٥٣٦-٥٧٥هـ) أثناء حصاره للموصل، مما سبب إحباطا لاتابكة الموصل وأدركوا ان أي مقاومة سوف تكون عديمة الجدوى، بعد ان تخلت عنهم الخلافة، بل وأيدت نور الدين في اجرائه، وقد عبر كمال الدين الشهرزوري عن رايه بعدم سلامة الاجراء الاداري الجديد وهي اقطاع سنجار لعماد الدين وجعل الملك في الموصل لاخيه

---

(١) هو السلطان ((ركن الدين ارسلان شاه بن طغرل، أبو المظفر)). ادوارد فون زامبارو: معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص٣٣٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٣٦٣/١١، انظر كذلك: الباهر ص١٥٣، ابن العديم: زبدة ٣٣٢/٢، أبو شامة: الروضتين ١٨٨/١، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٧٥، ابن واصل: مفرج: ١٩٢/١ – ١٩٣.

(٣) ابن ابي الدم: التاريخ ص٤٨٦، ابن الأثير: الكامل ٣٦٣/١١، ابن العديم: زبدة ٣٣٣/٢، ابن قاضي شهبه: الكواكب ص١٩٠، احمد بن محمد بن عمر بن ابي عذيه: مخطوطة مختصر التاريخ الكبير ورقة ١٢٣.

(٤) ابن قاضي شهبه: الكواكب ص١٩٠

(٥) ابن الأثير: الكامل ٣٦٣/١١ – ٣٦٤، الباهر ص ص ١٥٢ – ١٥٤، ابن العديم: زبدة ٣٣٢ – ٣٣٣، ابن شداد: الاعلاق ج٣ ق١ ص ص ١٧٤ – ١٧٦، ابن واصل: مفرج ١٩٣/١ – ١٩٣، ابن خلدون: العبر ٢٥٠/٥، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج١ ص١١٣.

الأصغر سيف الدين، ورأى في ذلك خطرا على مستقبل حكم البيت الاتابكي، لان ((.... عماد الدين كبير لا يرى طاعة سيف الدين، وسيف الدين هو الملك لا يرى الاغضاء لعماد الدين فيحصل الخلف ويطمع الأعداء))[1]، وهذا ما حدث فيما بعد كما سنرى.

وعاد نور الدين الى الشام عن طريق سنجار حيث أمر باعادة بناء ما تهدم من سورها اثناء الحصار[2]، وبذلك حقق نور الدين وحدة الشام والجزيرة، وخطب له فيهما[3]، ذلك الهدف الذي سعى اليه والده عماد الدين زنكي وضحى بنفسه من اجله.

ولقد عزز هذا الهدف باستيلائه على مصر سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م بوساطة قائده أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين[4] محققا بذلك تطويق الصليبيين.

- موقف اتابكية سنجار من الصراع بين الاتابكة والأيوبيين

توفي نور الدين محمود في دمشق سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م[5]، وخلفه ابنه الملك الصالح اسماعيل الذي كان صغيرا وغير قادرا على القيام بأعباء الحكم، ووقع تحت تأثير وسلطة الأمراء في الشام، لذلك أصبحت مملكته محط أنظار الطامعين في الداخل والخارج على حد سواء[6]، وبذلك ((تعطلت وحدة الاسلام بوجه الصليبيين))[7]، لذلك سار صلاح الدين[8] من مصر الى الشام ، لمعالجة الفراغ

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٣٦٥/١١، وينقلها عنه أبو الفدا: المختصر ٥٠/٣، وكذلك Elisseeff: Nür- ad- Din ٢/٦٦٠.

(٢) ابن الفرات: تاريخ م٤ ج١ ص١١٤.

(٣) أبو الفدا: المختصر ٥٥/٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل ٥٣٣/١١.

(٥) ابن الأثير: الباهر ص١٦١.

(٦) ابن الأثير: الكامل ٤٠٥/١١ – ٤٠٩، بهاء الدين يوسف بن رافع ابن شداد: سيرة صلاح الدين الايوبي، المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص٥٠، أبو الفدا: المختصر ٥٥/٣ – ٥٦، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص ص ٥٨ – ٥٩، ابن خلدون: العبر ٢٥٣/٥ – ٢٥٦.

(٧) السر هاملتون آ.ر.جب: صلاح الدين الايوبي دراسات في التاريخ الإسلامي ص ص ١٢٢– ١٢٣.

(٨) عن بداية أمر الايوبيين وقيام دولتهم انظر: ابن كثير: البداية ٢٥٩/١٢، ابن خلدون: العبر ٢٧٨/٥–٢٧٩، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص ص ٤٠ –٤١، جمال الدين ابي المحاسن بن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ٣/٦ – ٨، ١٧ – ١٨، ٢٤– ٢٧.

السياسي والموقف الجديد الذي نشأ بعد وفاة نور الدين، فأستولى على دمشق وعلى بعض الأماكن، وحاصر البعض الآخر[1].

وبسبب هذا الموقف الجديد والتطورات التي حدثت على ضوئها، أرسل الملك الصالح اسماعيل الى ابن عمه سيف الدين غازي حاكم الموصل يستنجد به لدفع صلاح الدين عن الشام، ويخبره انه متى استولى صلاح الدين على حلب، فأنه سوف يقصد الموصل[2] كما ان سيف الدين نفسه تحسب ايضا من صلاح الدين[3]، لذلك عمل على معالجة الأمر قبل استفحاله، حيث شرع في جمع الجيش، وجعل قيادتها لأخيه عز الدين مسعود الذي سار بها الى حلب وانضمت اليه جيشها[4]، ما لبث سيف الدين ان سار بنفسه الى سنجار في شهر رمضان لغرض الاستيلاء عليها وأخذها من اخيه عماد الدين الذي رفض الانضمام اليه والمسير الى الشام لمحاربة صلاح الدين، بل انه انتمى الى الأخير[5]، الذي كاتبه وأطمعه في الملك، على اعتبار انه الابن الأكبر لقطب الدين وأحق بالحكم من سيف الدين ووعده بذلك[6]، لذلك سار سيف الدين الى سنجار التي امتنعت عليه، فحاصرها ونصب

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٤١٥/١١-٤١٩، ابن شداد: النوادر ص٥٠، ابن واصل: مفرج ٣٠/٢، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص ص ٥٨ -٥٩، ابن خلدون: العبر ٢٥٦/٥.

(٢) أبو شامة: الروضتين ٢٤٩/١، محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ: اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٩٨/٢.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم ٢٥/٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل ٤٢٠/١١، ابن شداد: النوادر ص٥٠، ابن الوردي: تتمة ١٢١/٢، ابن خلدون: العبر ٢٥٦/٥، ابن تغرى بردى: النجوم ٢٥/٦، احمد بن ابراهيم الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص٨٧.

(٥) ابن شداد: النوادر ص٥١، شمس الدين أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ج١ ق١ ص٣٣٢، ابن خلكان: وفيات ١٦٧/٧، ابن الوردي: تتمة ١٢١/٢، ابن تغرى بردى: النجوم ٢٦/٦- ٢٧.

(٦) ابن الأثير: الكامل ٤٢٢/١١، ابن واصل: مفرج ٣٠/١، ابن خلدون: العبر ٢٥٦/٥، الحنبلي: شفاء ص٨٧.

عليها المنجنيقات والحق ضررا كبيرا بسورها، حيث هدم أكثر من موضع فيها[1]، الا ان عماد الدين دافع عنها وتمكن من الاحتفاظ بها[2]، غير ان سيف الدين ضايقها كثيرا وجد في حصارها وأوشك على ان يأخذها وأصبح مصير عماد الدين واتابكيته في كفة الميزان، الا ان الظروف شاءت ان يكتب لاتابكية سنجار عمرا جديد، حيث وصل الى سيف الدين خبر هزيمة جيوشه أمام صلاح الدين في قرون حماه[3]، لذلك اضطر الى رفع الحصار عن سنجار ومصالحة عماد الدين[4]، لكي يتفرغ لمواجهة صلاح الدين، حتى وان لم يتمكن من كسب عماد الدين الى جانبه في هذا الصراع، فعلى الأقل لكي يبقيه على الحياد.

وعلى الرغم من انتظام الصلح بين الطرفين، الا انه ليس هناك ما يؤيد انضمام عماد الدين حاكم سنجار الى أخيه ضد صلاح الدين، وهناك رواية واحدة عن سبب رفع الحصار عن سنجار يرويها أبو شامة عن ابن ابي طي، وهي ان صلاح الدين أمد عماد الدين بقطعة من جيشه تمكن بمساعدتها وبعساكره ان يكسر سيف الدين غازي ويهزمه[5]، ولقد اخطأ شاكر احمد ابو بدر، أثناء حديثه عن معركة قرون حماه في قوله انه ((اشترك في المعركة ضد سيف الدين، قطعة من جيش عماد الدين زنكي صاحب سنجار))[6] مشيرا الى ابي شامة وربما يعزي ذلك الى الالتباس في فهم النص، لان ما أورده ابو شامة عن تلك الأحداث يشير الى ان صلاح الدين أرسل الى عماد الدين قطعة من جيشه تمكن بمساعدتها

---

(١) ابن شداد: النوادر ص٥١.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٤٢٢/١١، ابن واصل: مفرج ٣١/١.

(٣) قرون حماه: ((تلتان متقابلتان، جبل يشرف عليها نهر العاصي،.... بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة ايام للقوافل، وبينها وبين حلب اربعة ايام)) ياقوت: معجم ٣٠٠/٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل ٤٢٢/١١، ابن خلكان: وفيات ١٦٧/٧، ابن شداد: النوادر ص٥١، أبو شامة: الروضتين، ابن واصل: مفرج ٣١/٢، ابن الوردي: تتمة ١٢١/٢، ابن خلدون: العبر ٢٥٦/٥، ابن تغرى بردى: النجوم٢٧/٦.

(٥) الروضتين: ٢٤٩/١.

(٦) الحروب الصليبية والاسرة الزنكية ص٢٦٧.

من كسر سيف الدين، على عكس ما أورده أبو بدر[1].

وبذلك تكون سنجار قد قدمت خدمة كبيرة لصلاح الدين، وحركة الجهاد الاسلامي، في جوانب كثيرة منها انها لم تشارك بعساكرها في محاربته، والأكثر من ذلك انها شغلت سيف الدين وقسما من عساكره عن الاشتراك في القتال ضد صلاح الدين، مما اثر في ميزان القوى بين الجانبين وجعلها تميل لصالح صلاح الدين، فضلا عن ان هذا الانتصار كرس وجوده في المنطقة وأصبح البداية لنفوذه الحقيقي والشرعي، لانه ثبت ((قدم صلاح الدين بعد هذه الهزيمة، وخافه الناس، وترددت الرسل بينه وبين سيف الدين غازي....))[2] هذا من جهة، ومن جهة أخرى ألغى الخطبة للملك الصالح وأزال اسمه من العملة، وتصالح مع سيف الدين على ان يكون لكل واحد منهما البلاد التي تحت سيطرته[3] كما أرسل الى الخليفة يلتمس منه التقليد ((بمصر واليمن والمغرب والشام، وكل ما يفتحه بسفه))[4] وفي حماه جاءته رسل الخليفة المستضئ بأمر الله ((بالتشريف والأعلام السود، وتوقيع بالسلطنة لبلاد مصر والشام وغيرها))[5]، وبذلك أضفت الشرعية التي كان يفتقر اليها على سلطته وتحركاته، واكسبته دعما معنويا كبيرا، ولو انه مني بالهزيمة في هذه المرحلة المبكرة من حياته السياسية لتغير مجرى الأحداث التي ترتبت عليها فيما بعد.

- مبادلة سنجار بحلب للمرة الأولى ٥٧٧هـ/ ١١٨١م

بعد هزيمة عساكر الموصل وحلب امام صلاح الدين في قرون حماه سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م وكذلك في تل السلطان[6] في السنة التالية، تصالح الطرفان على ان يكونوا يدا واحدة على الناكث في سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م[7]، وبذلك تهيأت الفرصة

---

(١) الروضتين: ١/٢٤٩.
(٢) ابن الأثير: الكامل ١١/٤٢١.
(٣) نفسه: ١١/٤٢٢، ابن واصل: مفرج ٢/٣٢-٣٣، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٥٩، ابن الوردي: تتمة ٢/١٢١، الحنبلي: شفاء ص٨٧.
(٤) المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٦٠.
(٥) نفسه ج١ ق١ ص٦٠.
(٦) عن تل السلطان انظر: الخارطة المرفقة.
(٧) ابن شداد: النوادر ص ص ٥١-٥٢، ابن الأثير: الكامل ١١/٤٢٧، ٤٢٩-٤٣١، سبط:

لصلاح الدين فعاد الى مصر في ربيع الأول من السنة نفسها[1]، وهدأت الأمور حينا بين الاتابكة والأيوبيين.

وفي سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م توفي سيف الدين غازي حاكم الموصل، وتولى الحكم بعده أخوه عز الدين مسعود[2]، الذي التزم بالاتفاقية المعقودة مع صلاح الدين ويرى Lane poole ان ذلك لم يكن بسبب احترامه للاتفاقية، بقدر ما كان نابعا من الخوف من صلاح الدين وقوته المتنامية[3].

غير ان وفاة الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين محمود، حاكم حلب واعمالها سنة ٥٧٧هـ/ ١٠٨١م وما رافق وفاته من تطورات، أثارت الخلاف من جديد بين الاتابكة وصلاح الدين، ذلك الخلاف الذي خمد منذ خمس سنوات، لان الملك الصالح عندما أحس بدنو اجله احضر الأمراء والأجناد وحلفهم لابن عمه عز الدين مسعود حاكم الموصل وحاول الأمراء إقناعه بالعدول عن عز الدين مسعود الى عماد الدين زنكي حاكم سنجار، لانه ابن عمه وزوج أخته، وان أباه نور الدين هو الذي تولى تربيته، فضلا عما يتمتع به من شجاعة وتدبير واصالة رأي، كما انه لا يملك غير سنجار، في الوقت الذي يملك عز الدين مسعود أقاليم واسعة، الا ان الملك الصالح أصر على موقفه وأوضح سبب ذلك، وهو الخوف من صلاح الدين، الذي ملك معظم الشام، وان عز الدين مسعود بممتلكاته الكثيرة وأمواله الوفيرة وعساكره الكثيرة قادر على الوقوف في وجه صلاح الدين بينما لم يكن بمقدور عماد الدين حفظها، وانه متي ملكها سار اليه صلاح الدين وأخذها منه[4]، وانه كان يبغي من وراء ذلك إعادة اتحاد البيت

مرآة ق١ ج٨ ص ص ٣٣٢-٣٣٣، ابن واصل: مفرج ٢/٣٦-٤٦، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص ص ٦١-٦٢، ابن خلدون: العبر ٥/٢٥٧.

(١) ابن شداد: النوادر ص ٥٢، ابن الأثير: الكامل ١١/٤٣٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل ١١/٤٦٢-٤٦٣، ابن واصل: مفرج ٢/٩٢-٩٣، أبو الفدا: المختصر ٣/٦٢.

(٣) Saladin and the fall of the kingdom of Jerusalem p.١٦٥.

(٤) ابن الأثير: الكامل ١١/٤٧٢-٤٧٤، سبط: مرآة ق١ ج٨ ص١٦٧، ابن واصل: مفرج ٢/١٠٧-١٠٨، ابن كثير: البداية ١٢/٣٠٨/٣٠٩، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي: الوافي بالوفيات ٩/٢٢٢، ابن قاضي شهبه: مخطوطة الاعلام بتاريخ الاسلام ورقة ٤٩- ب، ابن خلدون: العبر ٥/٢٥٨.

الاتابكي الزنكي ليتمكن من المحافظة على حكمه ضد صلاح الدين[1] ولما توفي الملك الصالح استدعى الأمراء عز الدين مسعود فأسرع بالمسير الى حلب خوفا من ان يسبقه اليها صلاح الدين[2]، فدخلها واستقر حكمه بها، غير ان عز الدين مسعود تخلى عن الفرصة التي سنحت له، منهيا بذلك الوحدة التي كان بامكانها ان تعيد سلطة البيت الاتابكي الزنكي عندما أقدم على مبادلة سنجار بحلب[3]، وقد اختلفت الآراء حول سبب هذه المبادلة.

هناك من يرى ان عز الدين مسعود أدرك انه غير قادر على الاحتفاظ بالموصل وبحلب في وقت واحد لانه سوف يظطر على البقاء في الشام وان أمره لا يستقر فيها بسبب صلاح الدين، لذلك اتفق مع اخيه عماد الدين زنكي حاكم سنجار على الالتقاء معة في الرقة، وأثار رغبته في امتلاك حلب التي تنازل له عنها، مقابل الحصول على سنجار[4] و((ان كل واحد منهما ينجد صاحبه))[5] واستقر الأمر بينهما على ذلك.

أما الرأي الثاني فيرى ان عز الدين مسعود سار الى الرقة بعد ان أقام في حلب عدة اشهر، وجاءته رسل أخيه عماد الدين زنكي تطلب منه مقايضة حلب بسنجار، فامتنع عز الدين، الا ان عماد الدين هدد بتسليم سنجار الى صلاح الدين اذا ما رفض عز الدين، عندئذ أشار الأمراء على عز الدين بضرورة تسليمها له، وخاصة قايماز[6] الذي حمله على الموافقة، حيث لم يقدر هذا على مخالفته وذلك ((لتمكنه في الدولة وكثرة عساكره وبلاده))[1]، ومما دفع قايماز على ذلك تخوفه من عز الدين الذي اتسع ملكه وكثرت أجناده، وان الأمراء الحلبيين لم يكونوا يعيرون له أهمية وان تعاملهم لم يكن مثل تعامل عسكر الموصل واحترامهم له[2].

---

(١) Grousset: Croisades ٣/٦٨٤.

(٢) ابن خلكان: وفيات ٢٩١/٤، ابن تغرى بردى: النجوم ٢٨/٦.

(٣) Grousset: lbid ٣/٦٨٠.

(٤) محمد بن تقي الدين عمر شاهنشاه الايوبي: مضمار الحقائق وسر الخلائق ص٦٠، ابن ابي الدم: التاريخ ص ٤٩٧، سبط: مرآة ق١ ج٨ ص٣٦٧، ابن واصل مفرج ١٠٩/٢، أبو شامة: الروضتين ٢٢/٢.

(٥) ابن العديم: زبدة ٥٢/٣.

(٦) هو ((أبو منصور قايماز عبدالله الزيني الملقب مجاهد الدين)) وهو من أهل سنجار اخذ منها منذ

ومما تجدر الاشارة اليه انه لا يمكن الأخذ بهذه الرواية التي يرويها ابن الاثير المعروف بميوله لاتابكة الموصل، وانه يحاول بتبرير موقف عز الدين مسعود، وذلك بالقاء المسؤولية على عاتق عماد الدين زنكي حاكم سنجار، ونائبه مجاهد الدين قايماز، خاصة اذا علمنا ان عز الدين مسعود لم يكن من الشخصيات الضعيفة بحيث يتحكم فيه نائبه ويجبره على عمل كهذا[٣]، وقد نقل هذه الرواية عن ابن الاثير عدد من المؤرخين الذين جاءوا بعده.

أما الرأي الثالث عن هذه المبادلة فيضفى عليها طابعا ماديا، وهي ان الامراء طالبوا عز الدين مسعود بزيادة في الاقطاعات والعطاءات، وكانوا يرون انهم اصحاب الفضل عليه لأنهم اختاروه لذلك أكثروا من مطالبيهم وضايقوه ولهذا السبب سار الى الرقة والتقى مع اخيه عماد الدين زنكي واتفق الاثنان على مبادلة حلب بسنجار، وعاد عز الدين مسعود الى الموصل بعد ان اخذ معه خزائن حلب وذخائرها وذلك في سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م[٤].

- استيلاء صلاح الدين على سنجار ومبادلتها بحلب ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م

توفي الملك الصالح ابن نور الدين محمود في حلب ٥٧٧هـ/ ١١٨١م وكانت وفاته وما رافقتها من تطورات العامل الذي حرك صلاح الدين على التوجه من مصر الى الشام[٥]، بعد ان كتب الى الخلافة بالأمر[٦]، بغية الحصول على دعمها المعنوي

الصغر، وارتقى في سلم الدولة الاتابكية نظرا لصفاته التي اهلته لتولي المناصب العالية فيها، وخاصة في عهد سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي ومدحه الشعراء الا أن عز الدين مسعود الذي تولى الحكم في الموصل بعد سيف الدين قبض عليه وما لبث أن اطلقه. احمد بن محمد عمر بن ابي عذيبة: مخطوطة انسان العيون في مشاهير سادس القرون ٨٨/٩٠.

(١) ابن الأثير: الكامل ١١/٤٧٤-٤٧٥، الباهر ص١٨٣، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ١٧٧-١٧٨، ويوردها باختصار ابن كثير: البداية ١٢/٣٠٩، ابن خلدون: العبر ٥/٢٥٨-٢٥٩، أبو العباس اسماعيل بن العباس الغساني: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ٢/١٨٤.

(٢) الهامش اعلاه.

(٣) عن عز الدين مسعود انظر: ابن الأثير: الباهر ص١٨١.

(٤) ابن شداد: النوادر ص ص ٥٥-٥٦، سبط: مرآة ج١ ق١ ص٣٦٧، ابن خلكان: وفيات ٤/٢٩٢، ابن واصل: مفرج ٢/١٠٩.

(٥) ابن خلكان: وفيات ٤/٢٩٢، ابن واصل: مفرج ٢/١٠٩.

(٦) انظر ص ص ٦٤ – ٦٥ من البحث نفسه

وحملها على تنفيذ قراراتها، ذلك عندما وقعت له بالسلطنة لمصر والشام وأماكن أخرى[١].

وصل السلطان صلاح الدين الى بلاد الشام وسيطر على بعض المدن فيها بعد ان فشل الاتابكة في صده والوقوف بوجهه[٢]، وبعد ذلك توجه صوب الجزيرة وكتب الى الأمراء وملوك الأطراف يستميلهم ويمينهم ((من جاء مستسلما سلمت بلاده، على ان يكون من أجناد السلطان وإتباعه ومساعديه على جهاد الكفرة))[٣]، وانضم اليه مظفر الدين بن زين الدين كوكبوري حاكم حران[٤]، ونور الدين بن قرا ارسلان حاكم حصن كيفا[٥] ويرى السر هاملتون أ.ر.جب ان مبعث اهتمام السلطان بالجزيرة يعود الى اعتقاده بأنها العتلة التي ستحرك الشرق الاسلامي، لان هذا الجزء يمثل الثقل ومركز المقاومة واذا ما استغلت ووجهت بشكل صحيح فانها ستكون قادرة على مواجهة العدوان الصليبي[٦]، حيث ادرك صلاح الدين ((ان النضال ضد الصليبيين لن يصل الى النتيجة المرغوبة بقوات دمشق وما يجرى الاستغناء عنه من القوات المصرية.... فالقوة التي يستطيع صلاح الدين حشدها..... ليست كافية في معركة حاسمة طالما بقى الأمراء النوريون في حلب يخضعون لزعيم آخر، فسوف يضحون خطرا قويا على جناحه، واذا حدث ان انحازوا اليه، فسوف يؤدي هذا الى ازدياد عداوة الزنكيين في الموصل له... والنتيجة الحتمية لذلك ان صلاح الدين لن يستطيع ان يحشد قوات سوريا ومصر ضد الصليبيين، طالما تعرض جيشه ومؤخرته لهجمات الموصل ولابد له اذن من ان يسيطر على قوات الموصل ويدمجها في قواته

---

(١) ابن ابي الدم: التاريخ ص٤٩٧، ابن واصل: مفرج ٢٩/٢، الصفدي: الوافي ٣٩/٩، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٧٧.
(٢) ابن الأثير: الكامل ٤٨٣/١١، الباهر ص١٨٣، ابن كثير: البداية ٣٠٩/١٢.
(٣) ابن واصل: مفرج ١١٧/٢.
(٤) عن موقع حران انظر: الخارصة المرفق.
(٥) ابن الأثير: الكامل ٤٨٢/١١-٤٨٣، أبو الفدا: المختصر ٦٤/٣، ابن خلدون: العبر ٢٥٩/٥، الدواداري: كنز ٧٣/٧.
(٦) صلاح الدين الايوبي (دراسات في التاريخ الإسلامي) ص١٣٧.
Setton: The Crusades ١/٥٧٨.
وينقلها الباز العريني: الشرق الاوسط في العصور الوسطى ص٦٦.

الاقليمية لنصرة الجهاد))[1]، بالاضافة الى الأخبار التي وردته عن تحالف أهل الموصل مع الصليبيين ضده[2]، والتي لا يمكن البت فيها.

وللأسباب التي سبق ذكرها سار صلاح الدين الى الموصل وحاصرها غير انه أدرك ان الموصل بلد لا ينال منها بالحصار[3]، فضلا عن انه رأى النزول عند رغبة الخلافة وشفاعتها في الموصل وإظهار الطاعة لها بتنفيذ رغباتها[4]، لذلك غادرها وتوجه الى سنجار.

على الرغم من اهمية الموصل لصلاح الدين وجهاده ضد الصليبيين، الا ان الخلافة لم تستجب لرغبته في ضمها اليه، ربما لتخوفها من انفراده بزعامة البلاد الاسلامية المحيطة بها وبالتالي مشاركتها في الحكم[5]، كما أدرك السلطان من جانبه ان طريق الاستيلاء على الموصل هو ((اخذ قلاعها[6] وما حولها من البلاد، وإضعافها بطول الزمان))[7]، لذلك عزم على إخضاع سنجار لأنها كانت بمثابة قاعدة الهيمنة على ((شمال شرقي الموصل))[8] و ((مفتاح الموصل وحصنها الحصين))[9]، ويوضح العماد الاصفهاني أهمية سنجار لحركة صلاح الدين بقوله: اذا فتحت سنجار ((زالت المخاوف ودنت المقاصد))[10]، كما انه سعى لتحقيق أكثر من غاية بتخليه عن الموصل والتوجه الى سنجار، منها تطمين حلفائه في الجزيرة وكسب ثقتهم، من انه لن ينسحب منها الا بعد اتخاذ إجراءات ضدها، لذلك سار الى سنجار التي كان يحكمها شقيق حاكم الموصل[11]، وكذلك

---

(١) العريني: الشرق ص٥٩.
(٢) ابن العديم: زبدة ٥٦/٣، ابن واصل: مفرج ١١٥/٢.
(٣) ابن الأثير: الكامل ٤٨٤/١١-٤٨٥، ابن شداد: النوادر ص٥٧، أبو الفدا: المختصر ٦٥/٣، ابن الوردي: تتمة ١٣١/٢، ابن خلدون: العبر ٢٥٩/٥-٢٦٠، الدواداري: كنز ٧٣/٧، الحنبلي: شفاء ص ص١٠٠-١٠١.
(٤) مخطوطة البرق الشامي ٥١/٥-أ، ابن شاهنشاه: مضمار ص ص١١٢-١١٣، ابن ابي عذيبة: مخطوطة مختصر التاريخ الكبير ورقة ١٢٧، أبو شامة: الروضتين ٣٣/٢، الدواداري: كنز ٧٣/٧.
(٥) محمد صالح داوود القزاز: الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ص٢٦.
(٦) في الاصل قلاعه، ويبدو أن الناسخ اخطأ في ذلك.
(٧) ابن شداد: النوادر ص٥٧، أبو شامة: الروضتين ٣٣/٢، ابن خلكان: وفيات ١٧٠/٦.
(٨) الشيخ: الجهاد ص٣١.
(٩) الحسني: موجز ص١١٦.
(١٠) الاصفهاني: البرق ٢٤/٥- أ، ويعني بالمقاصد فتح الموصل.
(١١) Setton: The Crusades ١/٥٧٧.

قصد من حركته هذه تحطيم الروح المعنوية لاهل الموصل وذلك بانتزاع البلاد المحيطة بهم[١]، حيث ان نصف جيش الموصل كان يتألف من أمراء الجزيرة، وذلك لتضيق الخناق على حاكم الموصل عز الدين مسعود[٢].

بينما حاول ستيفن رنسيمان تعليل تخلي صلاح الدين عن الموصل وسيره الى سنجار اضافة الى محاولة الخلافة في اجراء التصالح ومنع وقوع القتال بين المسلمين الى ((تجهيز شاه أرمن السلجوقي وأمير ماردين، لارسال قوة لانقاذ الموصل))[٣]، غير انه لا يمكن التسليم بقول رنسيمان لان التحالف المذكور مع الموصل كان في الخامس والعشرين من شوال سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢٥م، بينما كان رحيل السلطان صلاح الدين عن الموصل في سادس عشر شعبان من نفس السنة[٤].

هذا في الوقت الذي ينفرد ابن العديم برواية مفادها، أن عماد الدين زنكي اتفق مع السلطان صلاح الدين على اخذ سنجار وإعطائها له مقابل التخلي عن حلب[٥]، ويظهر التناقض في قول ابن العديم نفسه، عن حصار السلطان لحلب في السنة نفسها والقتال الذي جرى فيها، والأسباب التي حملته على مبادلة حلب بسنجار[٦].

وأقدم عز الدين مسعود ونائبه مجاهد الدين قايماز على شحن سنجار وغيرها من البلاد التي بأيديهم بالرجال والسلاح والأموال[٧]، وبالنظر لموقع سنجار وتحكمها في الطرق الممتدة بين الموصل والشام، فان عساكرها كانت تقوم بقطع طرق السابلة ومنع الامدادات عن عساكر السلطان[٨]، ويبدو ان الاتابكة استفادوا من تجاربهم السابقة ذلك عندما التجأ جدهم زنكي الى سنجار إثناء

---

(١) Lane- Poole: Saladin p.١٧١.

(٢) العريني: الشرق ص٦١.

(٣) تاريخ الحروب الصليبية ٧٠١/٢.

(٤) ابن شداد: النوادر ص ص٥٧-٥٨، أبو شامة: الروضتين ٣٣/٢، الاصفهاني: البرق ٢٧/٥-أ.

(٥) زبدة ٥٦/٣.

(٦) زبدة ٦٣/٣-٦٧.

(٧) ابن الأثير: الكامل ٤٨٥/١١، ابن خلدون: العبر ٢٩٨/٥.

(٨) الاصفهاني: البرق ٢٤/٥ – أ، ٢٧ – أ، ابن شاهنشاه: مضمار ص١١٠، ابن الأثير: الكامل ٤٨٧/١١، الحنبلي: شفاء ص١٠١.

سير الخليفة المسترشد الى الموصل سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م[١]، لذلك امر السلطان صلاح الدين ابن اخيه الملك المظفر تقي الدين عمر ان يرتب عساكره على تشكيلة القتال الكردوسي وان يتوجه الى سنجار، وفي بارنجان قرية قرب سنجار التقى الأخير بنجدة من عساكر الموصل أرسلت الى سنجار فأسرهم وجردهم من خيولهم وأسلحتهم وسيرهم الى الموصل مشيا على الاقدام وسجن مقدميهم، وكتب الى السلطان يخبره بالأمر ويشير عليه باستغلال الفرصة والمسير الى سنجار والاستيلاء عليها[٢]، بينما يذكر ابن الأثير ان السلطان صلاح الدين عندما رفع الحصار عن الموصل وسار الى سنجار انه هو الذي أوقع بالنجدة التي سيرت من الموصل الى سنجار[٣].

نازل سلطان سنجار في العشرين من شعبان سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م[٤]، وكان فيها أمير أميران بن قطب الدين والملقب بشرف الدين اخو عز الدين حاكم الموصل[٥]، وقد كان مع السلطان عند نزوله عليها نور الدين بن قرا ارسلان الارتقي حاكم حصن كيفا وعساكر ديار بكر الذين قاموا بأعمال تخريب كبيرة، وأرسلهم السلطان في محاولة لاقناعهم بالاستسلام دون قتال، الا انهم ابوا وقرروا المقاتلة واستماتوا في الدفاع، لذلك أقدم السلطان على دك أسوارها بالمنجنيقات والعرادات[٦]، وأحدثوا في السور ثلما كثيرة، وعمل النقابون فيها ثقوبا، الا ان ذلك لم يفت من عزيمتهم، وعندما دخل شهر رمضان أمر السلطان بايقاف القتال، الا ان الحصار والمضايقة استمرا، وأوكل بحفظ الثلم من السور جماعة كانوا يتناوبون عليها الحراسة ويتشددون في حفظها والذب عنها، وحدث ان نام هؤلاء في أحدى الليالي فجاء الى السلطان من اخبره بذلك، فأرسل جماعة تمكنت من مباغتتهم واستوثقهم وكان فيهم بعض من المقدمين والأعيان، عندئذ أدرك

---

(١) انظر ص ص٤٤– ٤٥ من نفس البحث.
(٢) الاصفهاني: البرق ٢٧/٥ – ب – ٢٨ – أ، ابن شاهنشاه: مضمار ص١١٠.
(٣) ابن الأثير: الكامل ٤٨٧/١١، وينقلها عنه ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٧٩، ابن واصل: مفرج ١٢٣/٢، الحنبلي: شفاء ص١٠١.
(٤) الاصفهاني: البرق ٢٧/٥ – أ.
(٥) ابن خلدون: العبر ٢٦٠/٥.
(٦) العرادات: من اسلحة الحصار التي تستخدم لدك الاسوار والقلاع، وهي ((اصغر من المنجنيق)). مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي: القاموس المحيط، ورتبها الطاهر احمد الزاوي على طريقة المصباح المنير واساس البلاغة ١٨٥/٣.

حاكم سنجار شرف الدين عدم جدوى المقاومة وأرسل الى السلطان في طلب الأمان فأمنه السلطان وسار الى الموصل بكل ما قدر على نقله من الأموال، ودخل السلطان الى المدينة فخرج أعيانها واستقبله سكانها، وشرع في بناء ما تهدم من جراء القتال[١]، كان ذلك في اليوم الثاني من رمضان أي بعد حصار دام أسبوعين[٢]، ولم تسلم المدينة من النهب والتخريب وتعطيل للنشاط اليومي عندما دخلتها الجيوش[٣].

كما حاول شاه أرمن حاكم خلاط[٤] الذي استنجد به حاكم الموصل ان يتوسط بين السلطان صلاح الدين والموصل، بان أرسل أثناء حصار السلطان لسنجار احد مماليكه وهو سيف الدين بكتمر رسولا في الشفاعة لسنجار والتخلي عنها الا ان السلطان لم يستجب لشفاعته[٥]، ويرى ابن الأثير ان صلاح الدين حاصر سنجار ولم يتمكن منها، فكاتبه بعض أمراء الأكراد الزرزارية[٦] لاعتبارات قومية كون الطرفين من الكورد على ما يبدو، وأشاروا عليه ان يقصد الجهة التي هم فيها ليسلموا اليه البلد، فداهمها السلطان ليلا واستلم الباشورة[٧]، مما سبب ارباكا لشرف الدين الذي استسلم وطلب الأمان ((ولو قاتل على تلك الناحية لاخراج العسكر الصلاحي منها، ولو امتنع بالقلعة لحفظها ومنعها، ولكنه عجز)) وأمنه السلطان وملك البلد[٨] وابن الأثير كما هو معروف يميل إلى

---

(١) الاصفهاني: البرق ١٨/٥ – أ – ٢٧ – أ– ب، ابن شاهنشاه: مضمار ص ص١١٠–١١١، ابن واصل: مفرج ١٢٣/٢–١٢٤.

(٢) ابن شداد: النوادر ص٥٧، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٨٧.

(٣) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ٧٠١/٢،
Lane- Pool: Saladin p.١٧١.

(٤) عن موقع خلاط انظر: الخارطة المرفقة.

(٥) الاصفهاني: البرق ٥١/٥ – أ، ابن الأثير: الكامل ٤٨٩/١١، ابن شداد: النوادر ص٦٩، أبو شامة: الروضتين ٣٨/٢، ٦٣، ابن خلدون: العبر ٢٦٠/٥، الحنبلي: شفاء ص١٠٢.

(٦) الزرزارية: قبيلة كردية كانت في الاصل تسكن مازكرد واشنه وجهات أخرى، محمد امين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن ٣٦٥/١.
وللزيادة انظر: حسام الدين علي غالب النقشبندي: اذربيجان ٤٢٠ – ٦٥٤هـ/ ١٠٢٩ – ١٢٥٦م ص ص١١٧ – ١٢١.

(٧) عنها انظر: ص ص ١٩٤– ١٩٥ من نفس البحث.

(٨) ابن الأثير: الكامل ٤٨٧/١١ – ٤٨٨، وينقلها عنه ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص١٧٩–١٨٠.

الاتابكة لذلك يحاول دائما ان يبرر أعمالهم وهزائمهم، أما بهاء الدين ابن شداد فيشير إلى فتحها عنوة ولكن دون الخوض في التفاصيل[1]، بينما ينفرد ابن أبي الدم برواية لا يمكن الأخذ بها لتعارضها مع المصادر الأخرى المعاصرة للحدث، وهي أن السلطان لما توقف عن قتالها عند دخول شهر رمضان بعد حصارها وضربها بالمنجنيق ((راسلوه في تسليمها إليه فتسلمها منهم))[2]، واستناب بها السلطان الأمير سعد الدين بن مسعود بن معين الدين أنر[3]، بينما أشار بعض المؤرخين إلى توليتها لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر[4]، ومرجع ذلك الخطأ في اغلب الظن يعود إلى التباس الأمر عليهم، عندما أرسل السلطان تقي الدين أمامه إلى سنجار[5].

واستقر لصلاح الدين جميع ما ملكه باستيلائه على سنجار فانها أصبحت عليها كالسور[6]، كما انها غدت قاعدة لة بجوار الموصل[7]، وقد فشلت أمامها محاولات عز الدين مسعود لاسترداد البلاد من يد صلاح الدين[8].

سار السلطان من سنجار الى حران بعد ان مر بنصيبين، وعندما علم بتحالف عز الدين مسعود حاكم الموصل وشاه ارمن حاكم خلاط وقطب الدين حاكم ماردين، توجه اليهم بعد ان استدعى ابن أخيه الملك المظفر، وما ان علم المتحالفون بتوجهه اليهم حتى تفرقوا وعادوا الى بلادهم، وعلى مقربة من ماردين سار الى آمد[9] فاستولى عليها بعد ان حاصرها، وبعدها توجه الى الشام

---

(١) النوادر ص٥٧.
(٢) التاريخ ص٥٠٢.
(٣) الاصفهاني: البرق ٣١/٥ – أ – ب حيث يورد منشور التولية، ابن الأثير: الكامل ٤٨٨/١١، ابن واصل: مفرج ١٢٤/٢، أبو الفدا: المختصر ٦٥/٣، ابن خلدون: العبر ٥٦٠/٥.
(٤) ابن شداد: النوادر ص٥٧، الذهبي: تاريخ ق١ ص٧٨، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٧٨، ابن تغرى بردى: النجوم ٢٩/٦.
(٥) ابن شاهنشاه: مضمار ص١١٠، ابن واصل: مفرج ١٢٣/٢.
(٦) ابن الأثير: الكامل ٤٨٨/١١، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص١٧٩ – ١٨٠، ابن خلدون: البر ٢٦٠/٥.
(٧) القزاز: الحياة ص٢٦٠.
(٨) سليمان الصائغ: تاريخ الموصل ١٨٨/١.
(٩) عن موقع آمد انظر: الخارطة المرفقة.

قاصدا حلب وفي طريقه استولى على تل خالد[1]، ثم نزل على حلب[2] وجرى قتال لم يكن كلا الطرفين راغبا فيها ذلك ان صلاح الدين كان يرى في المماليك النورية رفاق السلاح القدامى في الجهاد[3] والذين سوف يصبحون حلفاءه في المستقبل، اما عدم رغبة عماد الدين في القتال ونزوله عند مطلب السلطان بالتخلي عن حلب فكانت له أسباب عديدة، منها انه كان متشوقا للعودة الى سنجار[4]، كما انه ضجر من طلبات الأمراء والجيوش للأموال[5] الى حد كره معه حلب[6]، خاصة اذا علمنا ان المصادر كانت تصفه بالبخل[7]، في الوقت الذي كان يصرف في الشهر الواحد ثلاثين الف دينار فخاف ان يطول الحصار وتنفذ الأموال[8]، ويتفرق عنه الأمراء، لأنه عندما اعتذر بقلة المال أجابه بعضهم ((من يريد ان يحفظ مثل حلب يخرج الأموال ولو باع حلي نسائه، فمال حينئذ الى تسليم حلب واخذ العوض))[9] كما ان عز الدين مسعود عندما بادل حلب بسنجار سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م افرغ خزائن الأموال والأسلحة وحملها معه الى الموصل بحيث لم يترك فيها ما يعتمد عليه في الدفاع عنها[10]، ويمكن إضافة سبب اخر وهو تأثير الأمير حسام الدين طمان الياروقي على عماد الدين زنكي، حيث كان يميل الى السلطان وهواه معه ويرغب الدخول في طاعته[11]، حيث أرسله عماد

---

(١) تل خالد انظر: نفس الخارطة.
(٢) ابن الأثير: الكامل ٤٨٨/١١ – ٤٨٩، ٤٩٣ – ٤٩٦، وعن مسير السلطان إلى حلب انظر كذلك: ابن شاهنشاه: مضمار ص ص١١٣ – ١١٤، ١٣٦– ١٤٠، ابن شداد: النوادر ص ص٥٧ – ٥٩.
(٣) الاصفهاني: البرق ٨١/٥ – ب.
(٤) نفسه: ٨٠/٥ – ب، وينقلها عنه: جب: صلاح الدين ص١٣٨،
Setton: The Crusades ١/٥٧٨.
(٥) ابن شداد: النوادر ص٥٩، ابن واصل: مفرج ١٤٢/٢، ابن الوردي: تتمة ١٣٣/٢.
(٦) أبو الفدا: المختصر ٦٦/٣.
(٧) الغساني: العسجد ٢٤٣/٢، عبدالقادر بن محمد النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٦١٨/١، أبو الفدا: المختصر ١٩٣/٣.
(٨) الاصفهاني: البرق ٨٥/٥ – أ، ابن شاهنشاه: مضمار ص١٤٢.
(٩) ابن الأثير: الكامل ٤٩٧/١١.
(١٠) أبو شامة: الروضتين ٢٢/٢، ابن شاهنشاه: مضمار ص٦٠، ابن ابي الدم: التاريخ ص٩٤٧، سبط: مرآة ق١ ج٨ ص٣٦٧، ابن العديم: زبدة ٥٧/٣.
(١١) الاصفهاني: البرق ٨٥/٥ – أ – ب، ابن الأثير: الكامل ٤٩٧/١١.

الدين سرا الى صلاح الدين للتصالح وتسوية الأمر معه، على ان يأخذ عماد الدين الأموال التي في القلعة[١] ويعوضه عن حلب بسنجار فوقع له السلطان بسنجار والخابور ونصيبين والرقة وسروج[٢] على ان يدخل عماد الدين في الخدمة ويحضر الى الجهاد بنفسه وجيشه[٣] واستقر الأمر على ذلك وتسلم السلطان حلب في الثامن عشر من صفر سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م[٤]، وتلقى زنكي إهانات كثيرة من الناس لتخليه عن حلب لصلاح الدين، ونظموا فيه إشعارا وتغنوا بها في الأسواق[٥].

ومما تجدر الاشارة اليه ان سنجار قدمت خدمة كبيرة لحركة الافاقة الاسلامية ومستقبل الصراع مع الصليبيين، حيث اعترف المؤرخ الصليبي وليم الصوري عن هذه المبادلة بقوله ((ان ذلك كان أسوأ حدث يمكن ان يحدث للفرنجة))[٦]، فصلاح الدين كسب من هذه المبادلة حلب في الوقت الذي لم يخسر فيه سنجار وما اقطعه لعماد الدين زنكي[٧]، محققا بذلك وحدة مصر وسوريا[٨] مع جزء كبير من الجزيرة التي تشكل كوردستان معظمها، وبذلك أصبح تطويق الصليبيين كاملا[٩]، كما غدا بمقدور صلاح الدين النيل منهم في القدس، ولم يبق الا التهيؤ للجهاد ((والسعي في تملك القدس وافتتاحه))[١٠]، وهكذا نجد ان سنجار اقترنت بالحوادث المهمة في مجرى الصراع مع الصليبيين، كما تبين لنا مما تقدم.

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم ٦/٢٨ – ٢٩.
(٢) عن مواقع هذه المدن انظر: الخارطة المرفقة.
(٣) الاصفهاني: البرق ٥/٨٦ – ب، ٥/٩٩ – ب، ابن الأثير: الكامل ١١/٤٩٧، ابن واصل: مفرج ٢/١٤٢، أبو الفدا: المختصر ٣/٦٦، ابن كثير: البداية ١٢/٣١٣، ابن الوردي: تتمة ٢/٣٣، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج٢ ص ص١٣٩ – ١٤٠، ابن قاضي شهبه: الاعلام ورقة ٥٤ – ب.
(٤) ابن شاهنشاه: مضمار ص١٤٣، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٨١.
(٥) سبط ابن الجوزي: مرآة ق١ ج٨ ص٣٧٦، ابن الأثير: الكامل ١١/٤٩٧.
(٦) سعيد عبدالفتاح عاشور: الحركة الصليبية ٢/٧٨٠.
(٧) الاصفهاني: البرق ٥/٨٨ – أ.
(٨) عاشور: الحركة ٢/٧٨١.
Grousset: Croisades ٣/٧٢١.
(٩) Setton: The Crusades I/٥٩٩.
(١٠) الاصفهاني: البرق ٥/٨٩ – ب.

- دور سنجار في الصراع بين الموصل والسلطان صلاح الدين ٥٨١هـ/ ١١٨٥م

في عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م سار السلطان صلاح الدين من حلب متوجها الى الموصل مع من انضم اليه من جيوش الجزيرة[١] وعلى الرغم من التهديدات التي تلقاها من شاه أرمن (قلج ارسلان بن مسعود) يطالبه فيها بالتخلي عن الموصل والا فانه سيواجه بتحالف ملوك الشرق ضده وتوجههم اليه، الا انه لم يلتفت لمثل هذه الأقوال ونزل على الموصل[٢].

وكان سبب الخلاف بين السلطان والموصل في هذه المرة هو انضمام حاكم اربل (اربيل) وحاكم جزيرة ابن عمر وحاكمي تكريت وحديثة الى السلطان والدخول في طاعته بعد ان كانت هذه البلاد من أعمال الموصل، وتعهد السلطان بالدفاع عنها، بعد ان رفض طلبات حاكم الموصل بشأن اعادتها اليه[٣]، وقيام الأخير بالتحالف مع (قزل ارسلان) حاكم أذربيجان والتعرض لقرى اربل ونهبها، وعلى الرغم من فشل العملية الا ان حاكم اربل زين الدين يوسف استدعى السلطان وطلب منه تنفيذ التزامه بالدفاع عنه[٤]فوجدها السلطان فرصة سانحة ومبررا كافيا للتوجه الى الموصل من جهة، ولكسب ثقة حلفائه وتعزيز موقفهم من جهة أخرى، الا ان السلطان لم ينل من الموصل شيئا، وعندما علم بوفاة شاه أرمن وليس له من يخلفه، رفع الحصار عن الموصل وسار الى قاعدته في خلاط، الا انه غادرها الى ميافارقين[٥] التابعة لاراتقة ديار بكر فأستولى عليها[٦]، ثم عاد لحصار الموصل من جديد ونزل في كفر زمار[٧]، فحاول عز الدين مسعود التصالح معه، اما السلطان فاظهارا منه لحسن النية، وتقديرا للصداقة المتينة

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٥١١/١١، ابن شداد: النوادر ص ص ٦٧-٦٨.
(٢) ابن شداد: النوادر ص٦٨، أبو شامة: الروضتين ٦١/٢، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٨٩.
(٣) الاصفهاني: البرق ١٣٠/٥ – ب – ١٣١– أ.
(٤) ابن شداد: النوادر ص٦٧.
(٥) عن موقع ميافارقين انظر: الخارطة المرفقة.
(٦) ابن الأثير: الكامل ٥١٥/١١ – ٥١٦، ابن شداد: النوادر ص٦٩، الذهبي: مخطوطة تاريخ الاسلام ق١ ص ص ٢ – ٣، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٨٩.
(٧) كفر زمار: من قرى الموصل، تقي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق: مراصد الاصلاع على اسماء الامكنة والبقاع ٥٠٣/٢.

وحسن التفاهم القائم بينه وبين عماد الدين زنكي حاكم سنجار، اخ حاكم الموصل فقد استدعاه وفوض اليه امر الصلح بينه وبين الموصل، فأرسل عماد الدين وزيره شمس الدين بن عبد الكافي الذي جاء الى السلطان فأرسله الى الموصل برفقة شمس الدين قاضي عسكره، الا ان السلطان ما لبث ان أصيب بمرض فرحل عن الموصل الى حران[1]، دون انتظار نتيجة المفاوضات، فأرسل عز الدين مسعود اليه القاضي بهاء الدين بن شداد[2] حيث تمت المصالحة على ان يتنازل عز الدين مسعود للسلطان عن ولايات واسعة كانت خاضعة لحكم الموصل، وان تكون الخطبة والسكة باسم السلطان[3]، واقر السلطان من جهته عز الدين على الموصل وان يدخل في طاعته[4]، وبذلك تحقق الحلف الكبير[5].

اما فيما يتعلق بدور سنجار في هذا النزاع فيرى البعض الآخر من المؤرخين، ان الذي قام بالوساطة هو عماد الدين زنكي شخصيا وليس وزيره[6]، الا انه لا يمكن الأخذ بهذه الرواية وذلك لتعارضها مع معطيات المصادر المعاصرة للأحداث وابتعادها عنها نسبيا، ومما يلاحظ ان الخلافة في هذه المرة تخلت عن الموصل ولم تحاول منع صلاح الدين عنها، وعلى الرغم من استنجاد حاكم الموصل بها[7].

- تحالف الموصل وسنجار ضد الملك العادل ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م

توفي السلطان صلاح الدين في صفر سنة ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣م، وتكاتب بكتمر شاه أرمن حاكم خلاط وعز الدين حاكم الموصل وعماد الدين زنكي حاكم سنجار وحاكم ماردين، واتفقوا على الخروج على الملك العادل الذي خلف صلاح

---

(١) الاصفهاني: البرق ١٣٢/٥ – ب– ١٣٣ – أ، ابن شاهنشاه: مضمار ص ص ٢٢٣ – ٢٢٤، ابن واصل: مفرج ١٧١/٢.

(٢) القاضي بهاءالدين بن شداد: هو مؤلف سيرة صلاح الدين المسماة النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية.

(٣) ابن الأثير: الكامل ٥١٧/١١، ابن واصل: مفرج ١٧٢/٢، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص ص ٨٩– ٩٠، الذهبي: تاريخ ق١ ص٣.

(٤) الذهبي: تاريخ ق١ ص٣.

(٥) Setton: The Crusades I/٥٨٠.

(٦) سبط: مرآة ق١ ج٨ ص٣٨٤، الذهبي: تاريخ ق١ ص٣.

(٧) ابن شداد: النوادر ص٧٠، ابن واصل: مفرج ١٧١/٢.

الـدين[1]، غـير ان بكتمـر قتـل في خـلاط في جمـادي الأولى مـن السـنة نفسـها وكـان حـاكم مـاردين اول مـن خـرج علـى الملـك العـادل وسـار الى حصـن المـوزر[2] ونـزل عليها[3].

امـا عـز الـدين مسـعود حـاكم الموصـل فقـد وجـد في وفـاة السـلطان الفرصـة المناسـبة لاسـتعادة سـلطة البيـت الاتـابكي الزنكـي الـتي انتزعهـا مـنهم صـلاح الـدين، ولتحقيـق ذلـك شـرع في مكاتبـة ملـوك الأطـراف مثـل حـاكم سـنجار، وحـاكم اربـل وحـاكم جزيـرة ابـن عمـر لغـرض اسـتمالتهم وكسـبهم الى جـانبهم، وإقنـاعهم بـالخروج علـى الملـك العـادل، غـير انـه لم يحصـل الا موافقـة أخيـه عمـاد الـدين زنكـي حـاكم سـنجار[4]، ويبـدو ان الأخـير كـان يتبـع سياسـة الأمـر الواقـع والـتي كانـت النفعيـة تغلـب عليهـا، الا انـه كـان يعمـل علـى تغطيتهـا بالمصـلحة العامـة وإخفائهـا خلـف دوامـة الأحـداث، حيـث كـان مـع السـلطان ((وكـان صـلاح الـدين يحترمـه مثلمـا كـان يحـترم نـور الـدين ويعطيـه الأمـوال والهـدايا والتحـف الكـثيرة))[5]، وبعـد وفـاة السـلطان خشـي ضـعف وتفكـك البيـت الأيـوبي بسـبب التنـافس علـى السـلطة وخـاف ان يبقـى وحـديا امـا أخيـه عـز الـدين مسـعود حـاكم الموصـل وتحالفاتـه لـذلك انضـم اليه الى ان اتضحت الامور.

كـان الملـك العـادل أقـوى شخصـية بـين الأيـوبيين بعـد وفـاة السـلطان صـلاح الـدين، وكـان علـى إطـلاع تـام بـأحوال الولايـات جميعـا وبصـورة دقيقـة، وكـان مـن اولى مهامـه بعـد وفـاة أخيـه السـلطان صـلاح الـدين، هـي إفشـال محـاولات الاتابكـة الـزنكيين في الموصـل وسـنجار لاسـتعادة النفـوذ والسـيطرة الـتي حـد منهـا السـلطان، وتمكـن الملـك العـادل مـن تحقيـق ذلـك بمسـاعدة أبنـاء أخيـه وبـذلك هـدأت الأوضـاع

---

(١) الاصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي ص٤٦٢، ابن واصل: مفرج ١٦/٣.
(٢) عن موقع الموزر انظر: الخارطة المرفقة.
(٣) الاصفهاني: الفتح ص٤٦٢، ابن الأثير: الكامل ١٠٠/١٢، ابن واصل: مفـرج ١٧/٣، ابـن خلـدون: العبر ٢٦٤/٥.
(٤) ابن الأثير: الباهر ص١٨٥، ابن الوردي: تتمة ١٥٥/٢، ابن خلدون: العبر ٢٦٤/٥، ويورد الدواداري رواية مفردة لا يمكن الاخذ بها لتعارضها مع معطيات جميع المصادر عن الحادثة وهـي معارضـة عمـاد الـدين زنكي للحلف وعدم انضمامه اليه، كما انه اخطأ في رواية تاريخ الحادثة أيضا. كنز ١٢٥/٧– ١٢٧.
(٥) سبط: مرآة ق٢ ج٨ ص٤٥٧، أبو شامة: الذيل علـى الروضـتين، أو تـراجم رجـال القـرنين السـادس والسابع ص١٣.

في الشرق[1]، الى حد ما.

وفي الوقت الذي كانت فيه المراسلات مستمرة بين عز الدين مسعود وأخيه عماد الدين زنكي حول طبيعة التحالف، كتب اليهم الملك العادل يخبرهم بوفاة السلطان واستقرار الملك لابنه الأفضل وهو القائم بأمر دولته، وانه سير الى ماردين بجيوش كثيرة لتعرض حاكمها لبعض القرى التي هي خارج اقليمه، مما جعلهم ينتظرون الى ان تحققوا بواسطة الجواسيس من ان العادل في قلة من الجيش في أطراف حران، عندئذ تحرك عز الدين مسعود وأخوه عماد الدين زنكي والتقوا في نصيبين ومنها ساروا الى حران على عزم اللقاء مع الملك العادل الذي وصلته قوات الشام التي أرسلها اليه الملك الأفضل[2]، وتمكن العادل بهذه المناورة من أشغال الزنكيين، وكسب الوقت الى ان وصلته القوات وتعزز موقفه وأصبح بالامكان مواجهتهم.

وعلى الرغم من ذلك حاول الملك العادل التفاهم معهم وحل الخلاف بالطرق السلمية على ((ان تكون البلاد الجزرية: الرها وحران والرقة وما معها بيده على سبيل الاقطاع من .... عز الدين فلم يجبه الى ذلك))[3]، الا ان الموقف الزنكي امتاز بالتشديد والحزم وقالوا له: ((تخرج من بلادنا او تدخل في مرادنا))[4]، وتوافدت الجيوش الى الملك العادل ونزل الجيشان متقاربين الأيوبي في ظاهر حران والزنكي في رأس عين[5]، الا ان مرض عز الدين مسعود وعودته الى الموصل بعد ان ترك لأخيه عماد الدين تولي الأمر خفف التوتر كثيرا بين الجانبين[6]، كما تخلى حاكم ماردين من الحلف وتودد الى الملك العادل وتضرع اليه وتشفع بالأمراء لديه، حتى صفح عنه، وعندما رأى عماد الدين بقاءه وحيدا في الساحة عاد من حيث أتى، ولقد ((رأى عماد الدين ان القوم خانوا

---

(١) جب: صلاح الدين ص٢٠٥.
Setton: The Crusades ٢/٦٩٤ – ٦٩٥.
(٢) ابن الأثير: الكامل ٩٩/١٢ – ١٠١، أبو الفدا: المختصر ٨٨/٣، الغساني: العسجد ٢٢٢/٢، ابن خلدون: العبر ٢٦٤/٥.
(٣) ابن الأثير: الباهر ص١٨٦.
(٤) الاصفهاني: الفتح ص٢٦٣.
(٥) الهامش اعلاه
(٦) ابن الأثير: الكامل ١٠١/١٢، الباهر ص١٨٦، أبو الفدا: المختصر ٨٨/٣، ابن الوردي: تتمة ١٥٥/٢، ابن خلدون: العبر ٢٦٤/٥.

واستكانوا، وما رعوا له العهد كما كانوا، فاضطر الى الانكفاء، وكف عن اللقاء))[1].

وعندما قدم الملك الظافر ابن صلاح الدين الى الفرات بجيوش دمشق نجدة لعمه العادل أمره بالتوجه الى سروج وامتلاكها بعد ان أمده بقوات إضافية فأستولى عليها، بينما سار العادل الى الرقة وتسلمها أيضا حيث انضم اليه الملك الظافر، كما سار الى الخابور واستولى عليها، ثم توجه الى نصيبين ونزل بظاهرها وجميعها من اعمال سنجار، عندئذ أدرك عماد الدين زنكي خطورة الموقف وضياع بلاده لذلك أرسل الى العادل وتودد اليه فاستقر الصلح بين الطرفين وأعاد اليه العادل بلاده[2]، مقابل أموال دفعها له عماد الدين[3]ولم يقتصر الصلح مع العادل على سنجار وحدها وانما شمل الموصل أيضا[4].

ان عدم وقوع القتال يرجع في اغلب الظن الى عدم رغبة الطرفين فيه، حيث كان الصليبيون لا يزالون في مناطق كثيرة من بلاد الشام وكان خطرهم ماثلا للعيان، لذلك فأن الامراء والملوك المسلمين لم يحاولوا تحطيم الحد الأدنى المتبقي من التضامن، وكانوا يعملون على حل نزاعاتهم بالطرق السلمية، او التهديد بالقتال كما لاحظنا قبل قليل، الا ان الأمور ما تلبث ان تأخذ اتجاها آخر ينم عن رغبة حقيقية في السلام، وذلك لوحدة المصير اما الخطر الصليبي.

- الخلاف بين الموصل وسنجار وتدخل الملك العادل ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م

ان سياسة الوفاق والتضامن لم تستمر بين أفراد البيت الاتابكي الزنكي في الموصل وسنجار تلك التي شهدناها في عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م عندما اتحدوا ضد الملك العادل بعد وفاة السلطان صلاح الدين في محاولة لاستعادة سلطتهم، حيث ظهرت الخلافات بينهم ثانية في سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م بين عماد الدين زنكي حاكم سنجار وابن أخيه نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود[5] حاكم الموصل، بسبب

---

(١) الاصفهاني: الفتح ص٤٦٤.
(٢) ابن ابي الدم: التاريخ ص٥٢٨.
(٣) الحنبلي: شفاء ص٢٠٣.
(٤) الاصفهاني: الفتح ص ص ٤٦٤ – ٤٦٥، البرق ٩٥/٥ – ب.
(٥) تولى نور الدين ارسلان شاه الحكم في الموصل بعد وفاة عز الدين مسعود في سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، وكان نائبه والقائم بأمر دوليته مجاهد الدين قايماز. ابن الأثير: الباهر ص١٨٦.

إقدام نواب عماد الدين زنكي في نصيبين على مهاجمة بعض القرى والضياع القريبة منهم والتي تعود للموصل والاستيلاء عليها، وعندما علم مجاهد الدين قايماز نائب نور الدين بالأمر حاول تسوية الخلاف مع عماد الدين زنكي من غير ان يعلم بها نور الدين خوفا من ان يقع ما لا تحمد عقباه، لذلك بادر الى الاتصال بعماد الدين يستنكر ما أقدم عليه نوابه بغير علمه، فكان جواب عماد الدين ان نوابه لم يعملوا شيئا من غير اذنه، وان ما استولوا عليه هو من أعمال نصيبين وانه لن يتخلى عنها، ولم يستقر الأمر بينهم على الرغم من محاولات مجاهد الدين لاقناعه بالمحافظة على وحدة البيت الاتابكي الزنكي، لذلك اضطر الى إخبار نور الدين بالأمر فأرسل هذا الى عماد الدين رسولا مرموقا في الدولة الزنكية وحمله رسالة فيها خشونة، فوصل الرسول الى سنجار وعماد الدين على فراش المرض، فلم يستجب لسفارته، وعندما الح عليه الرسول في الطلب أغلظ عماد الدين له في القول، فعاد الرسول الى الموصل واخبر نور الدين بكل ما جرى، فتجهز هذا للمسير الى نصيبين، الا ان وفاة عمه عماد الدين زنكي حملته على التريث منتظرا نتيجة ذلك، وتولى الحكم بعد عماد الدين ابنه قطب الدين محمد الذي راسله نور الدين طالبا إزالة الخلاف واستعادة ما أخذه نائب نصيبين، الا ان قطب الدين أصر على الالتزام بموقف أبيه تجاه الموضوع، مما حمل نور الدين على المسير الى نصيبين، وعندما علم قطب الدين بذلك تهيأ وسبقه الى المسير اليها ونزل بظاهرها ليمنع نور الدين عنها[1]، وكان بين العسكرين نهر[2]، اتخذه قطب الدين خطا دفاعيا وتحصن به وذلك ((بارسال المياه حولهم))[3]، الا ان الجيوش النورية تمكنت من العبور وألحقت الهزيمة بقطب الدين الذي التجأ هو ونائبه مجاهد الدين يرنقش الى قلعة نصيبين واحتموا بها، وفي الليل ساروا منها الى حران مستنجدين بالملك العادل وبذلوا له الأموال الكثيرة لينجدهم ويعيد لهم نصيبين، بينما نزل نور الدين في نصيبين

(١) ابن الأثير: الباهر ص ص١٩١– ١٩٢، الكامل ١٣٢/١٢– ١٣٣، الغساني: العسجد ٢٤٣/٢ –٢٤٤، ابن خلدون: العبر ٢٦٥/٥.
(٢) ابن الأثير: الباهر ص١٩٢، الكامل ١٣٣/١٢.
(٣) ضياء الدين محمد بن عبد الكريم ابن الأثير: رسائل ابن الأثير ص١٠٩.

ووقع المرض في عسكره، كما تحرك الملك العادل من الشام نحو الجزيرة لنجدة قطب الدين لذلك اضطر نور الدين الى التخلي عن نصيبين والعودة الى الموصل، فرجع قطب الدين اليها واستعادها[١]، وكسب الملك العادل قطب الدين الى جانبه بعد هذه الحادثة[٢]، ودخل في طاعته[٣].

- تحالف سنجار والموصل وجزيرة ابن عمر (جزيرة الاكراد) مع مصر ضد الملك العادل ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م

عندما توجه قطب الدين الى نصيبين ودخلها- كما رأينا- غير الملك العادل اتجاهه فسار الى ماردين وحاصرها[٤] وقد استمر الحصار احد عشر شهرا فأصابها الوهن وشحت الأرزاق فيها بحيث لم يبق أمامها غير الاستسلام، الا انه حدث ما لم يكن في الحسبان، حيث توفي حاكم مصر الملك العزيز وتولى بعده اخوه الملك الأفضل حكمها وكان بينه وبين عمه الملك العادل نفرة، لذلك أرسل الى الجيوش المصرية التي كانت مع العادل في حصار ماردين يأمرها بمفارقة الملك العادل والعودة الى مصر[٥]، مسببا بذلك نقصا كبيرا في عسكر العادل، وثمة سبب أخر لهذا الاجراء الذي أقدم عليه الملك الأفضل، ذلك هو مراسلة أخيه الملك الظاهر حاكم حلب وأسد الدين شيركوه بن محمد حاكم حمص له يحرضانه على التوجه الى الشام واستغلال غياب العادل عن دمشق وامتلاكها، كما تعهدا له بتقديم كل مساعدة ممكنة، وعندما علم العادل بالأمر ترك ابنه الكامل محمد على حصار ماردين وعاد هو على جناح السرعة الى دمشق وذلك سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م[٦].

---

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٩٣، الكامل ١٣٤/١٢، الغساني: العسجد ٢٤٤/٢، ابن خلدون: العبر ٢٦٥/٥، انظر كذلك ابن واصل: مفرج ٧٩/٣، وابو شامة: الروضتين ٢٣٤/٢، وابو الفدا: المختصر ٩٣/٣.

(٢) الذهبي: تاريخ ق١ ص٩٥.

(٣) Lane- Poole: The coins classes X-XIV p.٢٢١.
الحسيني: العملة ص١٣٠.

(٤) ابن الأثير: الباهر ص١٩٣، ابن واصل: مفرج ٧٨/٣ –٨٠، الغساني: العسجد ٢٤٤/٢.

(٥) ابن الأثير: الباهر ص١٩٤، أبو شامة: الروضتين ٢٢٧/٢.

(٦) ابن الأثير: الكامل ١٤٣/١٢.

كان الملك الأفضل قد اعد للأمر عدته وسعى الى تكوين تحالف كبير من ملوك الجزيرة ضد الملك العادل، وأبدى هؤلاء استعدادا للتعاون معه ضد عمه، لخوفهم من الملك العادل بعد حصاره لماردين بسبب قوته المتزايدة وتمكنه من البلاد واعتقادهم انه متى فرغ من أمر ماردين سار اليهم[1].

عمل الملك الأفضل حاكم مصر على حصر عمه العادل بين قواته وقوات الجزيرة ليتمكن منه، لذلك كاتب نور الدين حاكم الموصل لينضم اليه فأجابه نور الدين وسار من الموصل الى ماردين لينجدها وبرفقته ابن عمه معز الدين سنجر شاه بن غازي حاكم جزيرة ابن عمر، وابن عمه الآخر قطب الدين محمد حاكم سنجار[2] بعد مصالحته[3] ونزلوا على ماردين متفقين مع أهلها على ان يحملوا على الجيش العادلي في وقت واحد، في محاولة لرفع الحصار ودفع المهاجمين عن البلد، وصادف ان ارتكب الملك الكامل محمد خطأ كبيرا ينم عن عدم خبرته بشؤون الحرب بأن جعل نفسه هدفا سهل المنال للقوات المتحالفة التي تفوقه، لذلك انهزم الجيش العادلي عند اللقاء وتخلى عن ماردين التي كانت على وشك الاستسلام قاصدا حران[4].

كان قطب الدين محمد حاكم سنجار متفقا في السر مع الملك الكامل محمد على ان ينهزم من المعركة عند اللقاء، الا ان الضرورة أجبرته عند الاشتباك ان يكون في مكان بعيد من القتال ولم يكن للجيش العادلي اليه طريق[5]، وبذلك فاتت الفرصة على الكامل محمد وفشلت الخطة.

---

(١) ابن خلدون: العبر ٥/٢٦٥- ٢٦٦.
(٢) ابن الأثير: الباهر ص١٩٤، الكامل ١٢/١٤٨، أبو طالب علي بن انجب تاج الدين ابن الساعي: الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ٩/٤.
(٣) ابن الأثير: رسائل ص٢٢، ابن واصل: مفرج ٣/١٠٢، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج٢ ص ص ١٦٤-١٦٥.
(٤) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٤٨-١٤٩، الباهر ص ص ١٩٣-١٩٤، ابن واصل: مفرج ٣/١٢، ابن خلدون: العبر ٥/٣٣٦، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج٢ ص ص ١٦٤-١٦٤.
(٥) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٤٩، الباهر ص١٩٥.

ويبدو ان قطب الدين محمد ظل محافظا على التزامه تجاه الملك العادل الذي انجده في السنة الماضية ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م ضد ابن عمه سيف الدين غازي على نصيبين[١]، وان انضمامه الى جيش الجزيرة ضد العادل ربما كان بسبب الخوف من ان يتخذ حاكم الموصل من معارضته مبررا للنيل منه.

- تحالف سنجار والموصل وماردين وحلب ضد الملك العادل ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م

اندلع النزاع بين الملك العادل بعد امتلاكه للديار المصرية في سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م وبين الملك الظاهر حاكم حلب وأخيه الملك الأفضل حاكم ميافارقين وغيرها[٢]، حيث ظهرت مخاوفهما من الملك العادل بعد امتلاكه للديار المصرية وما ترتب عليها من تنامي قوته وتزايدها وشاركهما في هذه المخاوف امراء وملوك الجزيرة مثل حاكم الموصل[٣] وحاكم ماردين[٤] وغيرهما، لذلك سعى كل من الظاهر والأفضل الى توسيع رقعة النزاع مع عمهم العادل بقصد تشتيت قواه، فأقدموا على مكاتبة حاكم الموصل وحاكم ماردين واتفقوا على ان يكونوا يدا واحدة ضد الملك العادل ويمنعوه اذا قصد احدهم[٥].

وفي عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م اتفق الظاهر والأفضل على انتزاع دمشق من العادل وتجهزا للمسير اليها، وفي الوقت نفسه أرسلا الى نور الدين حاكم الموصل يشيرون عليه بالمسير الى البلاد الجزرية التابعة للملك العادل، فتحرك نور الدين وبرفقته كل من حاكم سنجار وحاكم ماردين ووصلوا الى رأس عين[٦].

ويبدو ان قطب الدين محمد اخذ يدور في فلك نور الدين حاكم الموصل وذلك لقربه منه واحاطته بحلفاء نور الدين لذلك اضطر الى مسايرته واتباع الخط السياسي الذي ينتهجه بغض النظر عن اتجاهاته.

---

(١) انظر ص٧٥ من نفس البحث.
(٢) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٥٥-١٥٦، ابن كثير: البداية ١٣/٢٧، ابن خلدون: العبر ٥/٣٣٧-٣٣٨.
(٣) هو نور الدين ارسلان شاه. لين بول: طبقات ص١٥٣.
(٤) هو حسام الدين يولق ارسلان. نفسه ص١٥٨.
(٥) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٦٧، ابن خلدون: العبر ٥/٣٣٨.
(٦) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٦٨، ابن واصل: مفرج ٣/١٢٦-١٢٧، ابن كثير: البداية ١٣/٢٧، ابن خلدون: العبر ٥/٣٣٨، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج٢ ص٢٠٦.

ومما يشار اليه ان انضمام الاتابكة الى هذه التحالفات والمشاركة الجدية فيها لم يكن استجابة لطلبات ورغبات أبناء صلاح الدين ضد عمهم بقدر ما كان يتماشى مع مصالحهم السياسية، حيث وجدوا أنها الوسيلة التي تمكنهم من استعادة البلاد التي كانوا يطمحون إليها[1].

وعندما وصلت القوات المتحالفة الى رأس عين، جاءتهم رسل الملك الفائز ابن العادل متولي حران يعرضون عليهم الصلح، ولعل الذي حمل نور الدين على تغيير موقفه والموافقة على الصلح هي تلك الاخبار التي وصلته عن تحسن العلاقات بين الملك العادل وأبناء أخيه صلاح الدين حلفاء نور الدين وان الصلح بدأ ينتظم بينهم[2]، لذلك خاف نور الدين ان يسير اليه العادل بعد ان يأمن جانب أبناء اخيه، وربما انضم هؤلاء الى عمهم بعد الصلح مما يشكل تهديدا خطيرا عليه، ويضيف ابن الأثير سببا اخر حمل نور الدين على الصلح هو المرض الذي وقع في الجيوش وما ترتب عليه من تغيير الحالة[3].

- اشتراك سنجار والموصل مع جيش الملك العادل في حصار ماردين ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م

يتضح لنا من دراسة التطورات السياسية التي حدثت في بلاد الشام والجزيرة بعد وفاة السلطان صلاح الدين في عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م عدم وجود خط سياسي واضح، بسبب صراع المصالح الشخصية، على الرغم من قوة شخصية الملك العادل، الا أنها لم تكن قادرة بأي حال من الأحوال على سد الفراغ الذي حصل في القيادة بعد وفاة السلطان صلاح الدين.

ومما يلاحظ أيضا في هذه الحقبة هو ظهور سياسة التحالفات المتناقضة، أي ان صديق اليوم قد يصبح عدو الغد، وعدو اليوم يصبح حليف الغد، وقد لاحظنا في سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م اشتراك سنجار والموصل وجزيرة ابن عمر في فك

---

(١) ابن واصل: مفرج ١٢٧/٣، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج٢ ص٢٠٦.
(٢) ابن الأثير: الكامل ١٦٨/١٢، ابن واصل: مفرج ١٢٧/٣، ابن خلدون: العبر ٣٣٨/٥، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج٢ ص ص ٢٠٦-٢٠٧، ويوردها باختصار ابن كثير: البداية ٢٧/١٣.
(٣) ابن الأثير: الكامل ١٦٨/١٢،
Setton: The Crusades ٢/٦٩٤.

الحصار الذي ضربه الجيش العادلي على ماردين[1]، بينما شاركت الموصل وسنجار في سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م مع الجيش العادلي بقيادة ابنه الملك الاشرف موسى في حصار ماردين[2] والتي اتبع حاكمها[3] سياسة دفاعية ناجحة وهي العمل خلف القوات المحاصرة وقطع خطوط تموينها، بواسطة القوة المقيمة في قلعة البارعية والتابعة له[4]، كما ثار التركمان ضد الجيش العادلي وقطعوا الطرق وعاثوا في المنطقة فسادا، بحيث تعذر الانتقال فيها من غير حماية، وربما كان ذلك ايضا بتحريض من حاكم ماردين على الرغم من عدم اشارة المصادر الى ذلك صراحة، واذا كانت القوات المتحالفة قد تمكنت في الحد من هذه النشاطات المعادية خلف خطوطها[5]، الا أنها لم تتمكن في النيل من ماردين التي استعصت عليهم، ولمعالجة الموقف تدخل الملك الظاهر حاكم حلب لعقد الصلح بين الطرفين وارسل عمه العادل لتحقيق هذا الهدف، فوافق على ان يحمل اليه حكام ماردين من الأموال مائة وخمسين ألف دينار، وان تكون الخطبة والسكة فيها بأسمه، وان يرسل جيشه للخدمة عند الطلب، واستقر الصلح على هذه القاعدة[6] وتفرقت الجيوش.

- انضمام سنجار الى الملك العادل والخلاف مع الموصل ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م

كان نور الدين ارسلان شاه حاكم الموصل يمثل مركز المقاومة لسلطة الملك العادل، ومحور التحالفات التي كانت تقام ضده في الجزيرة، والذي مكنه الى هذا الحد هو الصلح الذي عقده مع ابن عمه قطب الدين محمد حاكم سنجار في عام

---

(١) انظر ص ص ٧٧–٧٨ من نفس البحث.
(٢) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٧٩، ابن واصل: مفرج ٣/١٣٩، ابن كثير: البداية ١٣/٣٤، الغساني: العسجد ٢/٢٧٥، ابن خلدون: العبر ٥/٣٣٨، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج٢ ص٢٤٨.
(٣) هو نصير الدين ارتق ارسلان المنصور احد أمراء السلالة الارتقية في دياربكر. لين بول: طبقات ص١٥٨.
(٤) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٧٩، ويسميها ابن خلدون البازعية: العبر ٥/٣٣٨.
(٥) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٧٩.
(٦) نفسه: ١٢/١٧٩، ابن واصل: مفرج ٣/١٣٩، ابن كثير: البداية ١٣/٣٤، الغساني: العسجد ٢/٢٧٥، ابن خلدون: العبر ٥/٣٣٩، ويشير ابن الفرات إلى وساطة الملك الظاهر ولكن دون ذكر التفاصيل: تاريخ م٤ ج٢ ص٢٤٨.

٥٩٥هـ/ ١١٩٨م[١]، حيث امن نور الدين بهذا التحالف جانب قطب الدين أولا، وضمن مساعدة جيشه له ثانيا.

ومن الجانب الآخر أدرك الملك العادل حقيقة الأمر وعمل على مواجهة هذا التحالف وحله، لذلك اخذ يتودد الى قطب الدين محمد ويعمل على استمالته الى ان تمكن من كسبه في سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م حيث خطب قطب الدين له في بلاده وأثار بذلك حنق ابن عمه نور الدين الذي تجهز وسار بجيشه الى نصيبين التابعة لقطب الدين وتمكن من المدينة ما عدا قلعتها التي امتنعت عليه، فأقام على حصارها وكانت على وشك الاستسلام، الا ان الذي حدث هو قيام مظفر الدين بن زين الدين حاكم اربل بمهاجمة أعمال الموصل مما اضطر نور الدين الى التخلي عن نصيبين والعودة الى الموصل لمدافعة مظفر الدين عنها[٢]، ولعل عمل مظفر الدين هذا كان جزءا من العمليات المشتركة التي اتفق عليها مع الملك الاشرف بن العادل حاكم حران الذي تولى قيادة التحالف ضد الموصل، وذلك لاجبار نور الدين على سحب قواته من نصيبين للدفاع عن مقر حكمه (الموصل)[٣].

وعندما عاد نور الدين من نصيبين قاصدا الموصل رجع مظفر الدين الى اربل، فسار نور الدين الى تلعفر التي هي من أعمال سنجار واستولى عليها عنوة، بينما كان قطب الدين قد استنجد بالملك الاشرف الذي سار صوب الموصل بعد ان تحالف مع حاكم اربل وحاكم آمد وحاكم جزيرة ابن عمر[٤] وحاكم ميافارفين[٥] وغيرهم[٦].

---

(١) انظر: ص٧٧ من نفس البحث.
(٢) ابن الأثير: الكامل ١٩٢/١٢، ابن واصل: مفرج ١٥٦/٣، ابن خلدون: العبر ٢٦٦/٥-٢٦٧، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٤، كما ورد اسم الملك العادل على العملة السنجارية المضروبة في السنة نفسها. الحسيني: العملة ص١٣١.
(٣) وللزيادة انظر: محسن محمد حسين: اربيل في العهد الاتابكي ص ص ٩٩-١٠١.
(٤) ابن الأثير: الكامل ١٩٢/١٢، ابن واصل: مفرج ٥٦/٣-٥٩، ابن خلدون: العبر ٢٦٧/٥.
(٥) سبط: مرآة ق٢ ج٨ ص٥١٨، أبو الفدا: المختصر ١٠٥/٣، الذهبي: تاريخ ق١ ص١٤٦، ابن الوردي: تتمة ١٧٤/٢.
(٦) ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٦.

غير ان نور الدين انخدع بتقارير عيونه المفتقرة الى الدقة والصواب[1] وتوجه قاصدا الملك الاشرف واشتبك الجيشان في بوشري[2]، حيث انكسر جيش نور الدين ودخل الموصل منهزما سار الملك الاشرف الى كفر زمار[3]، وترددت الرسل بينهم واستقر الصلح في عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م على ان يعيد نور الدين تلعفر لقطب الدين حاكم سنجار وتفرقت الجيوش[4]، وبذلك استقرت بلاد قطب الدين محمد عليه[5]، وهدأت الامور نسبيا بين هذه القوى ذات المصالح المتناقضة، لتثور من جديد وبصورة اعنف عندما تجد لها سبيلا.

ولقد تعزز هذا التحالف بعد انضمام الموصل اليه حيث شاركت بمعية سنجار وجزيرة ابن عمر في عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م مع الملك الاشرف في حصار خرت برت[6]، وامتلاكها ومنحها لحاكم آمد الذي اشترك مع الاشرف في قتال حاكم الموصل سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م اثناء الخلاف بين الموصل وسنجار[7] كما تقدم.

- حصار العادل لسنجار والتحالف ضده وتدخل الخلافة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م

استمرت سياسة المحاور والتحالفات المضادة، حيث لم يدم الصفاء والوفاق بين حكام البيت الاتابكي الزنكي في الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر، كما لاحظنا آنفا بسبب الطبيعة المتغيرة للعلاقات التي كانت قائمة بين الموصل وسنجار التي هي موضوع هذا البحث حيث كان الخلاف يهدأ حينا ويثور أحيانا منذ سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م، وكان الطرفان يستنجدان بهذا وذاك من حكام الأقاليم الأخرى في سبيل تحقيق مآربه على حساب الآخر، متخلين عن التضامن العائلي

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٩٣.
(٢) لم تشير الخرائط والمعاجم الجغرافية إلى موقعها، وهي احدى المواقع التي تقع في شمال شرقي الموصل.
(٣) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٩٣، ابن واصل: مفرج ٣/١٥٧، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٧، ويورد سبط ابن الجوزي ذلك ضمن احداث سنة ٦٠٠هـ: مرآة ج١ ق٨ ص٥١٨.
(٤) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٩٤، ابن واصل: مفرج ٣/١٥٩، ابن خلدون: العبر ٥/٣٤٠، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص١٢.
(٥) أبو الفدا: المختصر ٣/١٠٥، ابن الوردي: تتمة ٢/١٧٤.
(٦) خرت برت: حصن في اقصى ديابكر من بلاد الروم. ياقوت: معجم ٢/٣٥٥. وهي نفس خربوط، انظر كذلك الخارطة المرفق.
(٧) ابن الأثير: الكامل١٢/٢٠٢-٢٠٣.

الزنكي ومحاولة استعادة سلطتهم المفقودة غير أن مسألة سنجار سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م أثارت ردود فعل قوية وعلى مستويات مختلفة.

ويبدو ان نور الدين ارسلان شاه حاكم الموصل اخذ يتحسب من الملك العادل بعد ان استقر حكمه، لذلك اخذ يتودد اليه ويتقرب منه ليضمن صداقته ويحفظ به ملكه، وعلى ضوء ذلك استأنف العلاقات معه في عام ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م واتفق الاثنان على المصاهرة بأن يتزوج ابن العادل من بنت نور الدين، وكذلك الاشتراك في اقتسام بلاد قطب الدين محمد حاكم سنجار، ومحمود سنجر شاه حاكم جزيرة ابن عمر، على ان تكون بلاد قطب الدين للملك العادل وجزيرة ابن عمر لنور الدين واستقرت القاعدة بينهم على ذلك، ولاقت اقتراحات نور الدين وطلباته استجابة حسنة من قبل الملك العادل، ولكي يطمئن العادل حليفه اكثر ويكسب ثقته اكد له بانه سوف يتنازل عن البلاد التي يحصل عليها لابنه الذي هو صهره والذي يقيم في خدمة نور الدين في الموصل، وسبب اقدام نور الدين على هذا العمل، هو وزراؤه الذين أرادوا ان ينشغل عنهم، اضافة الى خلافه مع ابن عمه قطب الدين حاكم سنجار[١]، ووجد العادل في طلب نور الدين فرصة لا تعوض لادراكه انه متى ملك هذه البلاد تمكن من الموصل[٢]، ولما كان الكرج[٣] قد تعرضوا لاعمال خلاط في عام ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م[٤]، استنجد الملك الاوحد حاكم ميافارقين وخلاط بوالده الملك العادل لمدافعتهم، فسار العادل من دمشق سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م بعد ان كتب الى الملوك والجيوش للاجتماع عليه في حران، مظهرا قصده في محاربة الكرج، حيث توافدت عليه الجيوش وكثر جمعه[٥]

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٢/٢٨٤-٢٨٥، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ١٨٥-١٨٦، ابن واصل: مفرج ٣/١٩٠-١٩١، الحنبلي: شفاء ص٢١٩، ابن خلدون: العبر ٥/٢٦٨، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٨٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل ١٢/٢٨٤-٢٨٥، ابن خلدون: العبر ٥/٣٤٢.

(٣) الكرج: امة من النصارى كانت تسكن بلاد الانجاز الممتدة من جبال القفقاز إلى شاطئ البحر الاسود وهي الآن جزء من الجمهورية الجورجية السوفيتية. مينورسكي وبارتولد: مادة الانجاز دائرة المعارف الاسلامية.

(٤) ابن الأثير: الكامل ١٢/٢٧٩، ابن واصل: مفرج ٣/١٨٣.

(٥) ابن واصل: مفرج ٣/١٩٠-١٩١، أبو الفدا: المختصر ٣/١١٢، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص١٧٠.

وفيهم ايضا جيش سنجار[1].

ولم تكن دعوة العادل الجيوش لمحاربة الكرج في الحقيقة سوى تغطية لهدفه الحقيقي وهو مهاجمة سنجار حسب الاتفاق مع نور الدين حاكم الموصل، لان الكرج قد تراجعوا عندما علموا باستعدادات الملك العادل ومسيره الى حران[2].

وعندما اكتملت استعدادات العادل ارسل الى قطب الدين محمد يطلب منه التخلي عن سنجار على ان يعوض عنها ببلاد أخرى، فوافق قطب الدين على ذلك الا ان نائبه مجاهد الدين احمد بن يرنقش[3] تمكن من حمله على الامتناع فتحصن في سنجار واحسن يرنقش الدفاع عنها[4]، حيث كان قطب الدين موصوفا بالعجز السياسي والاداري ومسلما الامور الى نوابه[5]، كما انه كان متخوفا من قوة العادل وكثرة جيوشه، وكان هذا قد تذرع بعدم حضور قطب الدين الى خدمته شخصيا مع جيشه التي أرسلها[6].

وبعد ان يئس العادل من جواب قطب الدين بالموافقة على تسليم سنجار له مقابل تعويضه عنها، أرسل قسما من جيشه وعلى رأسها الملك الاشرف الى نصيبين والخابور فأستولى عليها[7] وهما من أعمال سنجار، وبعدها سار العادل بجيوشه الكثيرة من الشام ومصر والجزيرة[8]، ونزل بها على سنجار في ربيع الأول من سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م[9]، واذ امتنعت عليه اخذ في حصارها ونصب عليها احد عشر منجنيقا وتواتر عليها الضرب مدة ثلاثة اشهر[10] امتدت الى شهر رمضان[11] وكادت المدينة ان تسقط في يد العادل[1]، وامام المضايقة الشديدة اقدم

---

(١) الحموي: التاريخ ص ص ٢٦٢-٢٦٣، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٨٧.
(٢) ابن واصل: مفرج ١٦٢/٣، الواداري: كنز ١٦٧/٧.
(٣) كان مملوكا لعماد الدين زنكي بن مودود واصبح نائب قطب الدين محمد والقائم بأمر دولته. ابن الأثير: الباهر ص ص ١٩١-١٩٢.
(٤) ابن واصل: مفرج ١٩١/٣، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٨٧.
(٥) ابن الأثير: الكامل ٣٥٥/١٢، ٢٨٦، ١٣٢، الباهر ص١٩١، ابن واصل: ١٩١/٣، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٨٧.
(٦) الحموي: التاريخ ص٢٦٣، ويتقلها عنه ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٨٨.
(٧) الحموي: التاريخ ص ص ٢٦٣-٢٦٤، ابن واصل: مفرج ١٩٢/٣.
(٨) ابن الأثير: الباهر ص١٩٦، أبو شامة: الروضتين ٢٢٨/٢.
(٩) سبط: مرآة ق٢ ج٨ ص٥٤١، الحنبلي: شفاء ص٢١٩.
(١٠) أبو شامة: الروضتين ٢٢٨/٢.
(١١) سبط: مرآة ق٢ ج٨ ص٥٤١، أبو شامة: الذيل ص٦٧.

قطب الدين محمد الى إخراج نسائه يتضرعن اليه لكي يبقى سنجار عليهن، الا انه امر باعتقالهن عندما وصلن اليه، عندئذ اضطر قطب الدين الى الاذعان بشأن تسليم سنجار الى العادل على ان يعوض عنها ((الرقة وسروج وضياع من بلد حران)) فاطلق العادل النسوة، وامر بادخال علمه الى البلد، وما ان دخلت النسوة حتى كسر قطب الدين العلم وأغلق الابواب واستعد للحصار وارسل الى العادل يقول له: ((غدرة بغدرة والبادئ اظلم)) واستبسل اهل سنجار في الدفاع عن المدينة واقدم العادل على تخريب البساتين والجواسق[٢] التي على البلد[٣].

اما الحموي فيرى ان قطب الدين ارسل نساءه الى العادل عندما علم بعزمه على مهاجمة سنجار في الشفاعة له، الا ان العادل لم يقبل شفاعتهن وارسل الجيش وعلى رأسها ابنه الملك الاشرف الذي استولى على نصيبين والخابور، وتوجه العادل الى سنجار وعندما قاربها جاءته رسل حاكمها بشأن تسليمها اليه على ان يعوض عنها فوافق، الا انهم ما لبثوا ان تراجعوا عن قرارهم، لذلك حنق عليهم العادل فأقدم على قطع أشجارهم ونصب على المدينة المنجنيقات وجد في حصارها[٤].

اما قطب الدين محمد فأقدم على مراسلة الخليفة الناصر لدين الله (ت ٦٢٢هـ)[٥]، والملك الظاهر حاكم حلب، وكيخسرو بن قلج ارسلان حاكم الروم[٦] ومظفر الدين كوكبوري حاكم اربل[٧]، والاستنجاد بهم لدفع الملك العادل عنه، اما نور الدين حاكم الموصل فأنه احس بخطئه الذي مكن العادل من البلاد بعد ان استولى على نصيبين والخابور ونزل على سنجار، ولم يكن بمقدوره مخالفته بعد ان اصبح على مقربة من الموصل خوفا من ان يتخذ ذلك حجة ويبدأ

---

(١) الذهبي: تاريخ ق١ ص١٧٤.
(٢) الجواسق: جمع جوسق وهو الحصن أو ما شبيه به. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ٣٣١/٤.
(٣) ابن واصل: مفرج ١٩٣/٣، وينقلها عنه ابن الفرات باختصار: تاريخ م٥ ج١ ص ص ٨٩-٩٠.
(٤) التاريخ: ص ص ٢٦٢-٢٦٣.
(٥) ابن واصل: مفرج ١٩٣/٣، المقريزي: السلوك ق١ ج١ ص١٧٠، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٩٠.
(٦) المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص١٧٠.
(٧) ابن الأثير: الكامل ٢٨٦/١٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٨٩، ابن واصل: مفرج ١٩٤/٣، الحنبلي: شفاء ص ص ٢١٩-٢٢٠، وينفرد ابن الأثير في ذكر استنجاد حاكم سنجار بنور الدين حاكم الموصل في محاولة لتحسين صورته واظهار اهميته كما هو واضح من تحيزه للبيت الاتابكي في الموصل، ولا يشير نهائيا إلى تحالف نور الدين مع العادل. الباهر ص١٩٧.

بالموصل، ولكي يبرهن نور الدين للعادل على حسن نيته والتزامه بالاتفاقية المعقودة بينهما اقدم على تجهيز جيش بقيادة ابنه الملك القاهر لارساله الى خدمة الملك العادل، غير ان الذي حدث قد غير الامور رأسا على عقب، ذلك هو اتصال مظفر الدين كوكبوري حاكم اربل بنور الدين واتفاقهما على مقاتلة العادل ومنعه عن سنجار، وكان سبب ذلك ان قطب الدين محمد حاكم سنجار ارسل ولده الى مظفر الدين يستنجد به ليشفع له عند العادل، وكان مظفر الدين يظن انه لو شفع في نصف ملك العادل لشفعه لما قام به من خدمة العادل وحفظ ملكه[1] ولاعتبارات أخرى[2]، الا ان العادل خيب ظنه حيث لم يقبل شفاعته لاعتقاده انه بعد اتفاقه مع نور الدين لم يعد بحاجة الى مظفر الدين مما أثار غضبه، وأقدم على الاتفاق مع نور الدين ضد العادل وتحالفا على ذلك، وسارا بجيوشهما الى أطراف الموصل، وأرسلا الى الخليفة الناصر لدين الله ان يرسل الى العادل في الصلح وترك سنجار لقطب الدين، وكذلك راسلا الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين حاكم حلب، وكيخسرو بن قلج ارسلان حاكم بلاد الروم واتفقوا جميعا على التحرك وقصد بلاد العادل ان امتنع عن الصلح والتخلي عن حصار سنجار ((فقويت حينئذ نفس صاحب سنجار على الامتناع))[3]، كما انضم الى التحالف ضد العادل مغيث الدين طغرل شاه حاكم ارزن[4] اخو كيخسرو المذكور[5]، وحاكم ماردين فيما بعد[6].

ان حركة العادل هذه جوبهت باستياء عام من قبل الأطراف كافة، لان المنطقة كانت بحاجة الى التضامن والاتحاد للوقوف بوجه الغزو الصليبي، وليس الانصراف الى النزاعات الجانبية والصراع من اجل المصالح الشخصية، لذلك كان هناك استعداد نفسي لدى معظم الملوك والامراء للتحالف ضده، خاصة بعد ان تعاظم نفوذه واصبح خطرا يخشاه كل واحد منهم، فلاقت دعوة حاكم اربل

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٢٨٦/١٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٨٩.
(٢) وذلك للمصاهرة التي كانت قائمة بينهما، حيث أن ربيعة خاتون اخت العادل كانت زوجة لمظفر الدين كوكبوري. ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٩١.
(٣) ابن الأثير: الكامل ٢٨٦/١٢-٢٨٧، وينقلها عنه ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص ص ١٨٧-١٩١، ويوردها باختصار الحنبلي: شفاء ص٢١٩.
(٤) عن موقع ارزن انظر: الخارطة المرفقة.
(٥) ابن واصل: مفرج ١٩٥/٣، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٩١.
(٦) الذهبي: تاريخ ق١ ص١٧٤، ١١١/٢، وهو نجم الدين الغازي الأول السعيد ت٦٥٨هـ. لين بول: طبقات ص١٥٨.

وحاكم الموصل آذانا صاغية، حيث اجاب الملك الظاهر وكيخسرو وغيرهما واتفقوا جميعا على التحرك ومهاجمة بلاد العادل ان لم يستجب للشفاعة ويترك سنجار لحاكمها[1]، وارسل الملك الظاهر الى العادل اخاه الملك المؤيد مسعود بالهدايا لكي يطلب الشفاعة في سنجار، وامر المؤيد ان يعلن للعادل خروج الظاهر عليه اذا لم يقبل شفاعته، وان يأمر جيش حلب التي صحبت العادل والبالغ عددها خمسمائة فارس على مفارقته والمسير الى الموصل او الى حلب، كما حمله رسائل الى الملك المنصور حاكم حماه والملك المجاهد حاكم حمص في ذلك، الا ان العادل امتنع عن الاجابة واغلظ في القول، عندئذ اكد المؤيد خروج الظاهر عليه وامر عساكر حلب بمفارقته، كما دسوا الى جماعة من الامراء والملوك الذين مع العادل وأفسدوهم عليه، وأرسلوا الى اهالي البلد وساستها ان يكثروا من الشفاعات لدى الامراء والملوك المحاصرين لهم[2]، فمال اليهم البعض وفارقوا العادل بعد ان دسوا بدورهم الى جماعة أخرى من امراء العادل وجيشه مفسدين عليه الأمور[3]، فتقاعسوا وكانوا لا يناصحونه في القتال وخاصة الملك المجاهد أسد الدين شيركوه الذي كان يدخل الأقوات الى سنجار[4]، ووصل به الأمر ان جاهر بخلافه مع العادل في ذلك[5].

عندئذ أحس الملك العادل بحراجة الموقف وعدم جدوى الحصار حيث أخذت الدائرة تضيق عليه، فضلا عن ان جيش اربل والموصل كانتا على وشك المسير اليه ومحاربته[6] كما أبدت الخلافة تجاوبا تجاه مسألة سنجار وأرسلت الى العادل وفدا رفيع المستوى جاءته وهو على حصار سنجار، طالبين منه قبول الشفاعة في سنجار وصاحبها، الا ان العادل طاول وغالط كسبا للوقت، ولما يئس من ذلك استجاب لشفاعة رسل دار الخلافة وترددت الرسل بينهم واستقر الصلح على ان

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٢٨٧/١٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٩٠، ابن واصل: مفرج ١٩٥/٣، ابن خلدون: العبر ٢٦٨/٥.
(٢) ابن واصل: مفرج ١٩٦/٣– ١٩٧، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص ص ٩٣–٩٤.
(٣) المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص ص ١٧٠–١٧١.
(٤) ابن الأثير: الكامل ٢٨٧/١٢، ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٩١، ابن واصل: مفرج ١٩٧/٣، ابن خلدون: العبر ٢٦٨/٥، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٩٤.
(٥) ابن خلدون: العبر ٢٦٨/٥.
(٦) ابن الأثير: الباهر ص١٩٧.

يكون للعادل الخابور ونصيبين وما استولى عليها، وان يتخلى عن سنجار التي تبقى لحاكمها قطب الدين وحلفوا على ذلك[1]، وان يكونوا يدا واحدة على الناكث[2].

ويبدو ان موافقة العادل على الصلح والرحيل عن سنجار من غير امتلاكها، لم يكن استجابة لدعوة الخلافة ولا لشفاعة رسلها، بقدر ما كانت وسيلة مكنت العادل من الخروج من المأزق الذي وضع نفسه فيه، بعد ان اخطأ في حساباته، وذلك لتحالف الأمراء والملوك ضده، وتخلي حاكم الموصل عن التزاماته تجاهه، واختلاف جيوشه عليه، وعلى هذا الأساس وجد في شفاعة رسل الخلافة ووساطتها في الصلح وسيلة لتغطية فشله امام حصار سنجار والمحافظة على اعتباره، فاظهر الطاعة والخضوع للخلافة والاستجابة لمساعيها.

- التحالف مجددا ضد الملك العادل ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م

في سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م بلغ الملك الظاهر حاكم حلب عزم العادل على غزو حلب وانتزاعها منه، لذلك بادر الى جمع الجيوش ومكاتبة الملوك لمنع العادل من عبور الفرات وتحقيق هدفه[3]، كما اتضحت للملوك اطماع العادل التي لا تنتهي ورغبته في انتزاع البلاد منهم، فأتفقوا على مواجهته كأهون الشرين.

وعلى هذا الاساس انضم الى حاكم حلب حاكم الروم وحاكم الموصل وحاكم سنجار وحاكم اربل وحاكم جزرة ابن عمر وتحالفوا للخروج على العادل الذي كان بظاهر حران وجعل الخطبة بالسلطنة لحاكم الروم خسرو شاه بن قلج ارسلان، ولتعزيز تحالفهم كاتبوا الكرج للخروج في جهات خلاط، كما بدأ

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٢٨٧/١٢، ابن واصل: مفرج ١٩٧/٣، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٩١، ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص٩٤، ويوردها بأختصار كل من سبط: مرآة ج٨ق٢ ص٥٤١، أبو شامة: الروضتين ٢٢٨/٢، الذيل ص٦٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٢٨٧/١٢، ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٩٢، الحنبلي: شفاء ص٢٢٠ وثمة ملاحظة لابد من الاشارة إليها وهي خطأ المؤرخ اسطيفان الدويهي في التاريخ والحدث حيث يقول في سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م: ((نزل العادل بجيوشه على سنجار وضربها بالمناجيق فأخذها)) مخطوطة تاريخ المسلمين ص١٢٦. مع أن حصار العادل لسنجار كان في سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م كما لاحظنا وانه لم يأخذها.

(٣) ابن واصل: مفرج ٢٠١/٣.

المتحالفون بالمسير الى حدود بلاد العادل للاجتماع هناك ومهاجمته غير انه حدث ما لم يكن في الحسبان وهو وقوع ملك الكرج في اسر الملك الاوحد ابن العادل والتصالح معه بعد تقديم تنازلات كبيرة، وعندما علم المتحالفون بذلك فترت عزائهم واختلفت اراؤهم وراسلوا العادل كل على انفراد متوددين اليه ومعتذرين فقبل العادل اعتذارهم وعقد معهم صلحا[1]، واصبحت سلطة الايوبيين بعد هذه الفترة امرا لابد منه في المنطقة[2].

- سقوط اتابكية سنجار وقيام الحكم الايوبي فيها ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م

توفي قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي حاكم سنجار في عام ٦١٦هـ/ ١٢١٩م وتولى بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه الذي قتل في تلعفر التي كانت تابعة لسنجار على يد اخيه بعد بضعة اشهر من توليه وقيام الاخير بالحكم من بعده في سنجار[3].

ويمكن اعتبار وفاة قطب الدين النهاية الحقيقية لحكم الاتابكة في سنجار الذي لم يدم بعد وفاته اكثر من سنة كما سنرى، ومما يشار اليه ان هناك اختلافا لدى المؤرخين حول اسم ابن قطب الدين الذي قتل اخاه عماد الدين شاهنشاه، وتولى الحكم بعده حيث يشير البعض الى انه كان يسمى عمراً[4]، ويسميه الآخرون محموداً[5]، ومحمود فروخ شاه[6]، وعمر فروخ شاه[7]، وفروخ شاه[8].

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بان (فروخ شاه) كان لقبا له، وان اسمه كان عمراً، نزولا عند رواية ابن الأثير وذلك لقربه من الموضوع زمانيا ومكانيا، في الوقت الذي لا يبدي لين بول رأيا قاطعا في ذلك حيث يقول ان اسمه كان

---

(١) أبو شامة: الذيل ص٧٥، وينقلها عنه ابن كثير: البداية ١٣/٥٦-٥٧.
(٢) جب: صلاح الدين ص٢٠٨
Setton: The Crusades I/٦٩٦.
(٣) ابن الأثير: الكامل ١٢/٣٥٥، وينقلها عنه ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ١٩٤-١٩٥، ابن خلدون: العبر ٥/٢٧١، الغساني: العسجد ٢/٣٦٦.
(٤) انظر الهامش رقم (٣) اعلاه.
(٥) أبو الفدا: المختصر ٣/١٢٢، ابن الوردي: تتمة ٢/١٩٦.
(٦) ابن واصل: مفرج ٤/٧٣.
(٧) ابن خلدون: العبر ٥/٢٤٨.
(٨) ابن الأثير: الكامل ١٢/٣٤٢-٣٤٣.

((محمود اوعمر))[1]، غير ان الأمور لم تستقر في سنجار بعد ذلك لاشتراك امرائها في النزاع بين الاخوين وتعرضهم لنقمتهما[2]، مما حمل بعضهم على الالتجاء الى اعدائهم والعمل على اسقاط حكمهم فيها[3].

وفي سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م خرج عماد الدين احمد بن سيف الدين المشطوب[4]، على الملك الاشرف موسى بن العادل[5]، بعد ان نفى من مصر الى الشرق لاتفاقه مع الملك الفائز بن العادل وتحليف الجيش له في محاولة لتنحية اخيه الملك الكامل عن الحكم في مصر وجعلها فيه، على الرغم من اكرام الاشرف له الا انه ما لبث ان خرج عليه أيضا[6]، بعد ان تحالف مع حاكم اربل وحاكم آمد وحصن كيفا وحاكم ماردين وكيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان حاكم بلاد الروم للوقوف جميعا ضد الملك الاشرف واطماعه الذي اتفق مع بدر الدين لؤلؤ[7] حاكم الموصل، غير ان هذا التحالف انحل بعد وفاة كيكاوس حاكم بلاد الروم الذي دخل المتحالفون في طاعته في السنة نفسها، وكذلك عودة حاكم آمد الى طاعة الملك الاشرف، ولم يبق على عصيانه غير ابن المشطوب الذي طارده الاشرف فالتجأ الى سنجار وتمكن حاكمها من اسره، الا انه استطاع استمالته واقناعه ايضا بالخروج على الاشرف[8] وخوفه من الاخير واكد له انه عازم على اخذ سنجار منه، واذا ما أطلق سراحه فانه سوف يقوم بمشاغلة الاشرف عن سنجار[9]، واطلق حاكم سنجار سراحه على هذا الاساس وشرع ابن المشطوب في

---

(١) طبقات: ص١٥٤

(٢) ابن الأثير: الكامل ٣٤٤/١٢، ابن واصل: مفرج ٧٤/٤، ابن خلدون: العبر ٢٧٢/٥.

(٣) الحميري: الروض ص٣٢٦.

(٤) انظر ترجمته في الصفدي: الوافي ٢٢٥/٧-٢٢٦.

(٥) اقره والده الملك العادل في حياته على ((بعض ديار الجزيرة وميافاقين وخلاط وأعمالها)) ابن الأثير: الكامل ٣٥١/١٢-٣٥٢.

(٦) أبو شامة: الذيل ص١١٦.

(٧) كان يتولى تدبير أمر دولة نور الدين ارسلان شاه وابنه القاهر من بعده، واوصى القاهر قبل وفاته سنة ٦١٥هـ/ ١١١٨م بالملك من بعده لابنه نور الدين وكان عمره عشر سنوات وان يكون بدر الدين لؤلؤ المدبر لدولته، غير انه ما لبث أن استقل بحكم الموصل سنة ٦١٩هـ/ ١١٢٢م ولقب بالملك الرحيم وانضم إلى الملك الاشرف. أبو الفدا: المختصر ١١٨/٣، ١٣١، وانظر ترجمته في ابن تغرى بردى: الدليل الشافي على المنهل الصافي ٥٦٨/٢، سوادي عبد محمد الرويشدي: امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ٦٠٦-٦٦٠هـ/ ١٢٠٩- ١٢٦١م.

(٨) ابن خلدون: العبر ٢٧١/٥-٢٧٢.

(٩) الصائغ: تاريخ ٢٠٥/١

مهاجمة أعمال الموصل ونهبها، غير ان بدر الدين لؤلؤ ارسل اليه جيشا تمكن من حصره في تل أعفر[١]، بالاشترك مع قوات نصيبين التي ارسلها الاشرف[٢]، ثم سار اليه بنفسه فأستسلم ابن المشطوب بعد ان امنه لؤلؤ، الا انه ما لبث ان غدر به حيث سلمه للملك الاشرف الذي سجنه في حران الى ان مات فيها[٣].

اما الاشرف فعندما كان في طريقه الى الموصل، جاءته رسل حاكم سنجار تعرض عليه تسليم سنجار اليه على ان يعوض عنها بالرقة، فأجابه الاشرف وتسلم سنجار في اوائل جمادى الاولى سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م وسار الاتابك مع اهله واخوته الى الرقة[٤]، وهناك اكثر من سبب حمل حاكم سنجار على الاتصال بالملك الاشرف والتنازل له عن سنجار منها، الخوف من الاشرف بعد ان خرج عليه وانضم الى ابن المشطوب، وكذلك اسر حليفه ابن المشطوب واستيلاء لؤلؤ على تل اعفر كما تقدم، والتي هي من أعمال سنجار وعلى مقربة منها، لذلك خاف حاكم سنجار من ان يقع بين بدر الدين لؤلؤ والملك الاشرف، فحاول معالجة الموقف وانقاذ ما يمكن انقاذه بمبادلتها بالرقة، ويمكن اضافة سبب آخر، وهو الخوف من خيانة اصحابه له حيث كان كثير التهديد لهم بعد مقتل اخيه[٥]، وهرب بعضهم الى الملك الاشرف وانضموا اليه حيث ساروا معه الى سنجار حتى استولى عليها، غير ان حكم الاتابكة في الرقة لم يدم الا اشهرا بعد سقوط سنجار[٦]، حيث سار اليها الاشرف سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م واخذها منهم[٧].

بدأت مرحلة أخرى من تاريخ سنجار بخضوعها لحكم الملك الاشرف بن العادل الايوبي في سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠ كم تقدم.

واصبحت سنجار مركزا لحكمه وقاعدة لمواجهة التحالفات التي كانت تقام

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٣٤٣/١٢، سبط: مرآة ج٨ق٢ ص٦٠٩، ابن واصل: مفرج ٧٢/٢، ابن الوردي: تتمة ١٩٩/٢.
(٢) ابن العديم: زبدة ١٨٩/٢.
(٣) انظرالهامش رقم (٢) اعلاه.
(٤) ابن الأثير: الكامل ٣٤١/١٢-٣٤٤، ابن واصل: مفرج ٧٢/٤-٧٤، ابو الفدا: المختصر ١٥٢/٣، ابن خلدون: العبر ٢٧١/٥-٢٧٢، ابن الوردي: تتمة ٢٠٠/٢.
(٥) ابن الأثير: الكامل ٣٤٤/١٢، ابن واصل: مفرج ٧٤/٤، ابن خلدون: العبر ٢٧٢/٥.
(٦) الحميري: الروض ص٣٢٦.
(٧) ابن واصل: مفرج ١٠٥/٤، أبو الفدا: المختصر ١٣٠/٣.

ضده في المنطقة.

وكان الاشرف في سنجار عندما خرج عليه اخوه الغازي حاكم خلاط سنة ٦٢٠هـ/ ١١٢٣م فراسله يدعوه الى الطاعة ونبذ الخلاف الا انه لم يستجب لذلك، فسار اليه الاشرف[١] متحديا التحالف[٢] الذي قام ضده، وبعد ان تمكن من اخذ خلاط عاد الى سنجار في رمضان سنة ٦٢١هـ/ ١١٢٤م ليقضي فيها فصل الشتاء[٣].

وفي سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م كان الاشرف في سنجار عندما جاءته رسل حاكم اربل، فتصالحوا وارسل الى الخليفة المستنصر بالله (ت ٦٤٠هـ) يعلمه بالامر في السنة نفسها[٤] الا انه ما لبث عاد الى دمشق عندما استنجد به ابن اخيه الملك الناصر حاكم دمشق على الملك الكامل حاكم مصر الذي سار الى الشام واخذ بعض ممتلكاته[٥].

وفي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م نقل الاشرف وزوجته بنت اتابك الموصل من سنجار الى دمشق، ونقل زوجته الأخرى بنت الملك العزيز ابن عمه الى سنجار[٦]، الأمر الذي يبين لنا كيف ان سنجار كانت مركزا رئيسيا لحكم الاشرف في المنطقة، الا ان الاشرف بعد الانتصار على جلال الدين خوارزم شاه[٧] عاد الى سنجار[٨]، واتفق مع اخيه الملك الكامل على التنازل له عن البلاد الشرقية مقابل الحصول على دمشق فتمت المبادلة، وولى الكامل ابنه الملك الصالح نجم الدين ايوب على تلك البلاد وذلك في سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م[٩]، وكانت سنجار ايضا ضمن تلك البلاد التي خضعت للملك الكامل قبل هذا التاريخ بفترة طويلة، كما هو مثبت على

---

(١) ابن ابي عذيبه: مختصر ورقة ١٣٦.
(٢) عن هذا التحالف انظر: ابن الأثير: الكامل ٤٢١/١٢-٤٢٤، ابن واصل: مفرج ١٣٧/٤-١٤٠.
(٣) ابن واصل: مفرج ١٤١/٤.
(٤) الحموي: التاريخ ٣٤٢، ٣٤٥-٣٤٦.
(٥) ابن الأثير: الكامل ٤٧٩/١٢-٤٨٠، ابن واصل: مفرج ٢٢٨/٤، أبو الفدا: المختصر ١٤١/٣-١٤٢.
(٦) الحموي: التاريخ ص٣٧٤.
(٧) للمزيد من التفاصيل عنه انظر: محمد بن احمد النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي.
(٨) ابن الأثير: الكامل ٤٩١/١٢، الحموي: التاريخ ص ص ٤٢١-٤٢٢، ابن خلدون: العبر ٣٥٣/٥.
(٩) ابن خلدون: العبر ٣٥٣/٥.

العملة السنجارية المضروبة في سنة ٦١٧هـ/ ١٢٠٠م[١].

وكان المتولي على حكم سنجار اسماعيل بن العادل الذي نافس ايوب بن الكامل حاكم آمد على امتلاك اربل بعد وفاة حاكمها مظفر الدين كوكبري في سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م وسار اليها الاثنان وجرى بينهما ما لا يليق، الا ان جيش الخليفة سبقهم اليها وتسلمها وعاد الاثنان من حيث اتيا[٢].

- وصول المغول الى سنجار ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م

في الوقت الذي كان الشرق الإسلامي يتعرض للغزو الصليبي الاوربي الغربي، ويعمل جاهدا على دفعه او ايقاف خطره على الاقل من خلال تحقيق التوازن معه، تعرض لهجمة اشد عتوا وهي الهجمة المغولية التي كان هدفها القتل والتخريب والسيطرة، واستخدمت في سبيل تحقيقه حربا نفسية القت الرعب في النفوس، وبسقوط الدولة الخوارزمية انفتح الطريق امامهم الى الديار الاسلامية، وطاردوا سلطانها الأخير جلال الدين خوارزم شاه الى بلاد الجزيرة وتفرقت عنه عساكره ووصل فريق منهم الى سنجار حيث اوقع بهم[٣].

وأصبحت البلاد مسرحا مفتوحا لغارات المغول الذين وصلوا الى سنجار وأعمالها وأوقعوا بأطرافها[٤] ولم تنقطع غاراتهم على هذه الجهات، حيث وصلوا سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م الى سنجار في ((مائة طلب كل طلب خمسمائة فارس)) الا ان أهل سنجار لم يستكنوا لغاراتهم واعتداءاتهم، حيث خرج اليهم حاكمها معين الدين بن مهاجر[٥] وجرت معركة خلف أسوار سنجار أسفرت عن استشهاد معين الدين وعودة المغول، فكتب بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل الى الملك الكامل والملك الاشرف اللذين كانا بدينسر[٦] يعلمهما بالأمر في الوقت الذي كان المغول قد

---

(١) المتحف العراقي: المسكوكات ٣١٦٧مس م.
(٢) سبط: مرآة ق٢ ج٨ ص٦٨٣.
(٣) الغساني: العسجد ٤٤٤/٢.
(٤) ابن الأثير: الكامل ٥٠٠/١٢، الحموي: التاريخ ص٤٢٨، ابن واصل: مفرج ٣٢٦/٤، ابن كثير: البداية ١٨٢/١٣، الغساني: العسجد ٤٤٥/٢، ابن خلدون: العبر ٢٧٥/٥.
(٥) لم اعثر له على ترجمة.
(٦) عن موقع دينسر انظر: الخارطة المرفقة.

عادوا[1].

ومما تجدر الاشارة اليه ان غارات المغول في هذه المرحلة كانت ذات طابع استطلاعي وذلك للوقوف على القوة الحقيقية للمنطقة التي ستصبح الهدف المقبل للغزو، اضافة الى اثارة الرعب والخوف في النفوس لما كانوا يقومون به من أعمال القتل والنهب.

- حصار بدر الدين لؤلؤ لسنجار ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م

كانت عساكر السلطان جلال الدين خوارزم شاه بعد مقتله سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م قد اصبحت مرتزقة تدخل في طاعة هذا الملك او ذاك ممن يدفع لهم عطاء أكثر أو اقطاعا أوسع، وأصبحوا عاملا من عوامل عدم الاستقرار في المنطقة.

وقد التحقت الخوارزمية في اول الأمر بخدمة السلطان كيقباد[2] الا انه ما لبث ان قتل في سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م وتولى ابنه كيخسرو الحكم من بعده حيث أقدم على اعتقال زعيم الخوارزمية مما ادى الى مفارقتهم له، والدخول في طاعة الملك الصالح نجم الدين ايوب الذي كان نائبا عن ابيه الملك الكامل على حران وحصن كيفا وآمد بعد ان اذن له والده في استخدامهم[3]، كما خضعت سنجار ايضا للملك الصالح بعد وفاة أخيه الاشرف موسى حيث سار اليها واستلمها من ابن عمه الملك المنصور[4]، غير ان الملك الكامل توفي في السنة نفسها وهي سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م واضطربت الأمور في الجزيرة والشام على اثر وفاته، وذلك لعدم وجود شخصية لها من القوة والنفوذ ما يمكنها من السيطرة على الوضع، فاجتمع الأمراء وولوا عليهم ابنه العادل على البلاد[5].

بينما اتفق سلطان الروم مع حاكم حلب وحاكم آمد وحاكم ماردين على

---

(١) سبط: مرآة ق٢ ج٨ ص٦٩٥، الدواداري: كنز ٣١٧/٧، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٢٥١.
(٢) هو علاء الدين كيقباد الأول ت ٦٣٤هـ، من حكام سلاجقة الروم في آسيا الصغرى لين بول: طبقات ص١٤٦.
(٣) ابن خلدون: العبر ٢٧٥/٥، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٢٥٥.
(٤) ابن واصل: مفرج ١٥٣/٥.
(٥) ابن واصل: مفرج ١٧٢/٥.

اقتسام بلاد الجزيرة التي كانت للملك الصالح، وكانت سنجار ونصيبين حسب ما اتفق عليه من نصيب الملك المنصور حاكم ماردين على ان يكون الخطبة لغياث الدين سلطان الروم[1].

هذا في الوقت الذي خرجت الخوارزمية الذين كانوا في خدمة الملك الصالح عليه، والارجح ان ذلك كان بتحريض من التحالف المذكور ودخلوا في خدمة حاكم ماردين وطاعته[2]، وكان الملك الصالح في حصار الرحبة عندما علم بوفاة والده[3] وسار عنها حيث طمع فيه الخوارزمية الذين كانوا معه[4]، وهموا بالقبض عليه فهرب منهم والتجأ الى سنجار بينما نهبت الخوارزمية أثقاله وخزائنه[5].

اما بدر الدين لؤلؤ فقد وجدها فرصة مناسبة للسيطرة على البلاد الشرقية[6]، والنيل من الملك الصالح، وذلك بسبب الخلاف الذي كان بينهما والذي يرجع الى قيام الملك الصالح بمن معه من الخوارزمية بالاغارة على بلد الموصل ونهبها، واضطرار بدر الدين الى مصانعته وتقديم الهدايا له لدفعه عنها[7]، والسبب الآخر هو كره بدر الدين وتلك الجهات للملك الصالح لما عرف عنه من الظلم والتكبر والتجبر[8]، لذلك سار لؤلؤ الى سنجار وحاصر الملك الصالح الذي راسله بشأن الصلح، الا ان هذا اصر على اسره وحمله الى بغداد[9]، ويبدو ان لؤلؤاً كان يهدف من وراء ذلك الحصول على دعم وتأييد الخلافة لتحقيق أهدافه بشأن السيطرة على تلك البلاد، وعندما يئس الملك الصالح من تجاوب لؤلؤ معه

---

(١) نفسه: ١٨٦/٥، وينقلها عنه المقريزي: السلك ج١ ق٢ ص١٧٠، ويوردها باختصار ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص٢٠٠.
(٢) ابن واصل: مفرج ١٨٧/٥، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص٢٠٠، موسى بن محمد بن احمد اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٣٣٣/٢.
(٣) ابن واصل: مفرج ١٧٨/٥.
(٤) المقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص٢٠٧.
(٥) سبط: مرآة ج٨ق٢ ص٧٠٤، الذهبي: دول ١٣٨/٢، ابن تغرى بردى: النجوم ٢٩٩/٦، ويوردها باختصار: اليونيني: ذيل ٣٣٢/٢.
(٦) ابن واصل: مفرج ١٨٧/٥، اليونيني: ذيل ٣٣٢/٢
(٧) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص٢٠٠.
(٨) سبط: مرآة ج٨ق٢ ص٧٠٤، ابن كثير: البداية ١٥٠/١٣، ابن تغرى بردى: النجوم ٣٠٠/٦، المقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص٢٧٠.
(٩) سبط: مرآة ج٨ق٢ ص٧٠٤، ابن تغرى بردى: النجوم ٢٩٩/٦.

بشأن الصلح، أرسل الى ولده الملك المغيث عمر الذي كان بحصن كيفا يأمره بالمسير الى حلب مستنجدا بعمته[1]، وعندما عبر المغيث الفرات سمعت الخوارزمية بمسيره وحالوا بينه وبين حلب، لذلك اضطر الى العودة، الا انه التقى بقاضي سنجار بدر الدين ابي المحاسن يوسف السنجاري الذي أرسله الملك الصالح[2] وساروا الى سلطان الروم غياث الدين فحاول المغيث التقرب منه بالانتماء اليه والخطبة له بعد والده، الا انه لم يصل معه الى نتيجة[3].

ولعل لجوء الملك الصالح الى سلطان الروم دون الخوارزمية كان بسبب الخلاف العميق الذي نشب بينه وبين الخوارزمية، ولاشتطاتهم في الطلبات والشروط، لذلك لم يلجأ اليهم الا كمحاولة اخيرة لانقاذ مستقبل حكمه.

لذلك سار القاضي بدر الدين السنجاري الى الخوارزمية ورافقه الملك المغيث ابن الملك الصالح حيث اجتمعا بهم في أطراف حران، وتمكن بدر الدين من استمالتهم وبذل لهم حران والرها وغيرهما، وبذلك تخلت الخوارزمية عن حاكم ماردين ودخلوا في طاعة الملك الصالح نجم الدين ايوب وحلفوا له ولولده الملك المغيث، وساروا صوب سنجار، وعندما علم بدر الدين لؤلؤ بقربهم من سنجار اثر الانسحاب عنها، الا ان الخوارزمية ادركت قواته وأوقعوا بهم حيث نهبوا أثقالهم وخيلهم وخيامهم، وعاد بدر الدين الى الموصل منهزما، وتقوى الملك الصالح بهم وارتفع شأنه[4].

ويمكن اعتبار هذا الحدث بداية ظهوره وقيام حكمه، بينما كان غياث الدين سلطان الروم قد ارسل الجيش الى آمد التي يحكمها الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح، فسير اليهم الملك الصالح الخوارزمية الذين اوقعوا بجيش غياث

---

(١) هي ضيفة خاتون، ام الملك العزيز، صاحب حلب، وعمة الملك الصالح، المقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص٢٧١، وتوفيت في حلب سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م. ابن خلدون: العبر ٢٧٦/٥.

(٢) عنه انظر ص ص١٣٣-١٣٤ من نفس البحث.

(٣) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ١٩٩-٢٠١، ويوردها باختصار ابن واصل على اعتبار أنها كانت قبل حصار بدر الدين لؤلؤ لسنجار: مفرج ١٧٩/٥.

(٤) ابن واصل: مفرج ١٨٥/٥-١٨٩، وينقلها عنه اليونيني: ذيل ٣٣٣/٢، والمقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص ص ١٧٠-١٧٢، ويوردها باختصار كل من سبط: مرآة ج٨ق٢ ص٧٠٤، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص٢٠٠، ابن كثير: البداية ١٥٠/١٣، أبو الفدا: المختصر ١٦٢/٣.

الدين وهزموه[1]، ويبدو ان غياث الدين كان يبغي من حركته هذه انتزاع آمد من توران شاه ان امكن، أو اشغاله على الاقل ومنعه من انجاد والده في سنجار.

واخيرا ترددت الرسل بين بدر الدين لؤلؤ والملك الصالح واستقر الأمر بينهما على ان يكون لكل واحد منهما مما في يده والا يتجاوز احدهما على الآخر[2].

- مبادلة سنجار بدمشق ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م

توفي الملك الكامل بن العادل حاكم مصر والشام سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، واتفق أمراء دولته على تولية ابنه الملك العادل مكانه، وتوليه الملك الجواد ابن عم العادل نائبا عنه بدمشق[3]، غير ان الملك الجواد أقدم على مبادلة دمشق بسنجار وغيرها مع ابن عمه الملك الصالح نجم الدين ايوب لاسباب عديدة منها خوف الجواد من العادل لقيامه بما يكرهه الأخير من الانفاق الكثير واستمالة الأمراء والأجناد في محاولة للانفراد بحكم دمشق[4].

وقد أرسل العادل اليه واحدا من أكابر امرائه وهو عماد الدين ابن الشيخ ليأخذ دمشق من الجواد على ان يعوض عنها باقطاع في مصر، فأشار عماد الدين الى الجواد بذلك واكد له بمسير جيش مصر اليه في حالة امتناعه، وانها سوف تؤخذ منه عنوة الا ان الجواد رفض الطلب وغالطه[5]، وأقدم بالاتفاق مع أسد الدين حاكم حمص على اغتيال عماد الدين ابن الشيخ، الا انه تخوف من أسد الدين بعد ذلك ان يقوم بانتزاع دمشق منه[6]، هذا من جهة وثارت مخاوفه من

---

(١) اليونيني: ذيل ٣٣٣/٢، المقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص ص ٢٧١-٢٧٢، ويوردها باختصار: الدواداري: كنز ٣٣١/٧.

(٢) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص٢٠١، ويوردها باختصار كل من: ابن واصل: مفرج ٢٠٢/٥، المقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص٢٧٩.

(٣) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص٢٠٢، ابن واصل: مفرج ١٥٥/٥، ١٥٣، ١٧٢، ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ص١١٤.

(٤) ابن واصل: مفرج ١٩٢/٥.

(٥) ابن واصل: مفرج ١٩٩/٥-٢٠٠، ويوردها باختصار كل من: أبو الفدا: المختصر ١٦٣/٣، ابن الوردي: تتمة ٢٤٠/٢، الحنبلي: شفاء ص٣٦٧.

(٦) سبط: مرآة ج٨ق٢ ص٧١٨، وكذلك انظر: نفسه ص ص ٧٢١-٧٢٢، الدواداري: كنز ٣٣٢/٧.

فخر الدين ابن الشيخ اخو عماد الدين الذي كان في مصر من جهة أخرى[1]، ومن الأسباب التي حملته على التخلي عن دمشق ايضا تصميم العادل على انتزاع دمشق منه في الوقت الذي لم يكن بمقدور الجواد مواجهته عسكريا، خاصة بعد ان تخلى عنه معظم الأمراء والتحقوا بخدمة الملك العادل في مصر[2]، كما ان الجواد ضاق ذرعا بالأمر وعجز عن ((القيام بمملكة الشام))[3] المشحونة بالصراعات حيث كان يقول ((بازو كلب أحب الى من ملك الأرض))[4]، ومما شجعه على ذلك أيضا كره أهل دمشق له لسيرته السيئة فيهم[5].

وللاسباب التي سبق ذكرها أرسل الجواد الى الملك الصالح في سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م في سنجار يعرض عليه تنازل الجواد له عن دمشق على ان يعوض عنها بسنجار والرقة وعانه فأجابه الصالح الى ما طلب[6]، ولكي يبرهن الصالح للجواد حسن نيته زاد الجديدة[7] على ما طلبه[8]، وذلك لرغبته في العودة الى الشام، بسبب انزعاجه لما حدث بعد وفاة والده الكامل من تولية اخيه العادل على مصر والشام وابن عمه الجواد على دمشق في الوقت الذي تجاهله الأمراء مع انه الابن الاكبر للكامل[9]، لذلك تحسب الملك الصالح لهذه العملية كثيرا، وربما كان ينوي خداع الجواد، حيث استدعى نجدة من بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل بعد ان تصالحا كما تقدم، وكتب الى الملك المظفر حاكم حماه بمرافقته في دخول دمشق فأنضما اليه[10]، الا ان الخلاف وعدم الثقة بين الاثنين طهر لاول وهلة،

---

(١) ابن كثير: البدية ١٣/١٥٢.
(٢) ابن واصل: مفرج ٥/١٩٨-١٩٩.
(٣) سبط: مرآة ج٨ق٢ ص٨١٧، الدواداري: كنز ٧/٣٣١، ابن تغرى بردى: النجوم ٦/٣٠٥، ويوردها مع بعض الاختلافات كل من: الذهبي: دول ٢/١٤٠-١٤١، والدويهي: تاريخ ص١٣٣.
(٤) الدواداري: كنز ٧/٣٣١.
(٥) الذهبي: دول ٢/١٤٠-١٤١، تاريخ ق٢ ص٣٩٠، ابن كثير: البداية ١٣/١٥٢، الدواداري: كنز ٧/٣٣٢-٣٣٣، ابن تغرى بردى: النجوم ٦/٣٠٦.
(٦) ابن واصل: مفرج ٥/٢٠٠، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ٢٠١-٢٠٢، ابن الوردي: تتمة ٢/٢٤٠، الدويهي: تاريخ ص ١٣٣، الحنبلي: شفاء ص٣٦٨.
(٧) الجديدة: قلعة حصينة بين الموصل ونصيبين متصلة باعمال حصن كيفا لها قرى ومزارع واسعة. ابن عبد الحق: مراصد ١/٢٤٤.
(٨) ابن واصل: مفرج ٥/٢٠٠.
(٩) ابن تغرى بردى: النجوم ٦/٣٠٥.
(١٠) ابن واصل: مفرج ٥/٢٠٢-٢٠٣، الحنبلي: شفاء ص٣٦٨.

لكن الأمر ما لبث ان استقر بينهما بوساطة الملك المظفر[1].

وينفرد ابن الفوطي في رواية مفادها ان الملك الصالح هو الذي راسل الملك الجواد وطلب منه التنازل عن دمشق على ان يعوض عنها بسنجار[2]، وسار الجواد من دمشق باموالـه في سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م وفي طريقه الى الرقة التقى برسول من الصالح الى الخوارزمية ومعه كتاب اليهم يأمرهم فيها بالقبض على الجواد، لذلك اسرع الى عانه وتسلمها خوفا من ان يسبقه الرسول إليها[3].

- استيلاء بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل على سنجار وخضوعها لحكم الموصل ٦٣٧ – ٦٥٩هـ/ ١٢٣٩ – ١٢٦٠م

لم يتخل بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل عن رغبته في ضم سنجار اليه وذلك لاهميتها بالنسبة لامن الموصل ومستقبل حكمه، غير ان هناك اكثر من رأي حول طريقة استيلائه عليها.

فيرى ابن شداد المتوفي سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م باعتباره اقرب المؤرخين الى زمان الحدث، ان بدر الدين لؤلؤ استغل الفراغ السياسي في سنجار بخروج الملك الصالح منها الى دمشق في الوقت الذي كان الملك الجواد في عانه كما تقدم، اذ سار الى سنجار وحاصرها على امل ان يستولي عليها، الا ان الجواد بادر الى الاتصال بالخوارزمية وبذل لهم الاموال فساروا الى سنجار وعندما علم لؤلؤ بقربهم عاد الى الموصل فسار الجواد الى سنجار ودخلها، كما انه تقوى بالخوارزمية وخاف لؤلؤ ان يسير بهم الجواد الى الموصل، لذلك اخذ يتودد اليه ليأمن جانبه، بينما اخذ يعمل في الخفاء للنيل من الجواد وامتلاك سنجار، حيث شرع بمراسلة الخليفة المستنصر بالله يطلب منه الاذن له بأخذ سنجار، وبين له ان الجواد يروم تسليمها الى الخوارزمية فأذن له، والراجح ان لؤلؤ كان يبغي من مراسلته للخلافة ان يحصل على الشرعية في امتلاك سنجار ويحضى بدعمها وتأييدها

---

(١) ابن واصل مفرج ٢٠٤/٥–٢٠٥، الدواداري: كنز ٣٣٢/٧–٣٣٣، ويوردها باختصار كل من: ابن كثير: البداية ١٥٢/١٣، وابن تغرى بردى: النجوم ٣٠٥/٦–٣٠٦، الحنبلي: شفاء ص٣٦٨.

(٢) الحوادث: ص١١٥.

(٣) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص٢٠٣.

المعنوي، غير ان كل من الجواد ولؤلؤ عمدا الى الحيلة مع الآخر، حيث كاتب الجواد لؤلؤاً مظهرا له انه عازم على تزويج ابنته من احد أبنائه في الوقت الذي لم يكن للجواد بنت وكان لؤلؤ يعرف ذلك، الا انه تجاهل الأمر، وأرسل من يخطبها وحمل اليه الأموال مهرا لها، وأرسل الجواد الى لؤلؤ يعلمه بمسيره الى عانه وان يرسل ابنه الى سنجار حيث تقيم زوجه، فسير لؤلؤ ابنه بعد ان جهزه وبصبته بعض العساكر، كما استمال اليه رئيس سنجار ويدعى (جنقر) وبذل له الأموال لمساعدته في الاستيلاء عليها، في الوقت الذي تقدم الجواد الى نوابه بسنجار ان يقبضوا على ابن لؤلؤ متى دخل المدينة، ويبدو انه كان يريد ان يتخذ منه وسيلة للضغط على لؤلؤ، وورقة رابحة للمساومة معه، واوعز الى واليي المدينة والقلعة لتنفيذ الخطة وامرهما بالخروج لاستقباله واخذه الى القلعة لاعتقاله فيها، الا انه ما ان فتح الباب حتى دخل ابن لؤلؤ ومن معه وتمكنوا من اسر والي القلعة والاستيلاء عليها وملك البلد عنوة[1].

في الوقت الذي يرى آخرون ان أهل سنجار استغلوا فرصة غياب الجواد وخروجه للصيد فراسلوا بدر الدين لؤلؤاً واستدعوه، وذلك لسيرة الجواد السيئة فيهم، فسار اليهم لؤلؤ وفتحوا له الابواب فدخل البلد[2]، وكان لؤلؤ قد استمال جماعة من أهل سنجار اليه فتآمروا على الجواد[3]، بينما يروي ابن واصل ان لؤلؤاً استغل غياب الجواد عن سنجار فأستولى عليها دون الخوض في ذكر التفاصيل[4].

وهناك من يرى ان الجواد هو الذي راسل لؤلؤاً وعرض عليه تسليم سنجار اليه على مال يؤديه، فأجابه لؤلؤ الى ذلك، وأرسل ابنه ركن الدين اسماعيل ومعه المال، فتسلم الجواد المال ولكنه ماطل في تسليمه البلد، وسار الى بغداد بعد ان استناب احد امرائه في سنجار، وترك ابن لؤلؤ في سنجار الذي تمكن من استمالة جماعة من الأمراء وحدث خلاف بينهم وبين الموالين للجواد الى قتال

---

(١) الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ٢٠٤-٢٠٥.
(٢) سبط: مرآة ج٨ق٢ ص٧٢٩، الذهبي: دول ١٤٣/٢، ابن كثير: البداية ١٥٤/١٣، الحنبلي: شفاء ص٣٩١، الدويهي: تاريخ ص١٣٣.
(٣) ابن الفوطي: الحوادث ص١٩٠.
(٤) ابن واصل: مفرج ٢٨٢، أبو الفدا: المختصر ١٦٩/٣.

بين الطرفين وانتهى بسيطرة ركن الدين اسماعيل ومؤيديه على الموقف في سنجار وصعد الى القلعة واستقر امره وتسلم البلد[1].

والذي يمكن استنتاجه على الرغم من اختلاف الروايات هو ان أهل سنجار كانوا مركز الثقل في الموضوع، وان استيلاء لؤلؤ عليها كان بموافقتهم وتعاونهم معه.

ان الحياة السياسية في بلاد الشام والجزيرة تميزت بالفوضى والاضطراب بعد وفاة السلطان صلاح الدين في سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، بحيث تعذر تحديد خط سياسي واضح لهذا الامير أو ذاك الملك بالنظر لسياسة التحالفات التي كانت قائمة بينهم على المصالح الشخصية، وكانت سنجار أيضا ضمن هذه الدائرة لتلك الصراعات كما تقدم.

وفي جمادى الاولى من سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م تعرضت سنجار والموصل لغارات الخوارزمية الذين تحالفوا مع الملك الغازي بن العادل بن ايوب حاكم ميافارقين فكتب بدر الدين لؤلؤ الى الخلافة يطلب منها التدخل ومنع اعتداءاتهم وتجاوزاتهم وتمكنت الخلافة من وقف هذه التجاوزات بعد ان أرسل اليهم سفارتين في ذلك الوقت، وأدرك لؤلؤ انه ليس بمقدوره ان يحافظ على ملكه امام هذه التحالفات لوحده، لذلك تودد الى هذه القوى وسعى الى التقرب منها اتقاء لشرها أولا، وتعزيز موقفه ثانيا، وعلى هذا الأساس امر في صفر سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م بالخطبة ((ليوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب على منابر سنجار تبرعا منه وتقربا اليه))[2].

وفي شعبان سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م توفي بدر الدين لؤلؤ وكان قد ((صانع التتر ودخل في طاعتهم))[3]، منذ سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م[4]، وشملت هذه التبعية للمغول سنجار أيضا على وجه التحديد ويؤكد ذلك ورود اسم خان المغول على العملة المضروبة فيها[5].

وتولى الحكم في سنجار بعد وفاته ابنه الملك المظفر علاء الدين، الا انه ما لبث ان تخلى عنها بعد اسابيع وسار الى الشام قاصدا الملك الناصر صلاح الدين

---

(١) ابن الفوطي: الحوادث ص ص ١٢١-١٢٢، الغساني: العسجد ٢/١٩٠-١٩١.
(٢) الغساني: العسجد ٢/٥٠١-٥٦٢، ٥٠٢.
(٣) أبو الفدا: المختصر ٣/١٩٨.
(٤) المقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص ص ٣١٥، ٣٢٠.
(٥) الحسيني: العملة ص١٢٠، مهاب درويش لطفي: الالقاب على المسكوكات الايلخانية، مجلة سومر، المجلد الحادي والعشرون، سنة ١٩٦٥، الجزء الأول والثاني، ص١٦١.

يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الظاهر صلاح الدين[1]، وذلك لتخوفه من المغول الذين اخذوا يتذرعون بالحجج للايقاع به[2]، لذلك توجه الى الشام كما تقدم، ومنها الى مصر واشترك مع الملك المظفر قطز في معركة عين جالوت[3] التي انكسر فيها المغول سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٨م[4]، وأقدم قطز بعد ذلك على تولية الأمراء ومنحهم الاقطاعيات في الشام، وجعل لعلاء الدين ابن لؤلؤ حاكم سنجار نيابة حلب للاستعانة به ضد المغول[5]، ذلك ان الملك الصالح ركن الدين اسماعيل كان في الموصل وكانت البلاد لا تزال تدين له بالطاعة، لذلك اراد ان يتخذ من آل لؤلؤ مركزا متقدما في الصراع مع المغول، الا ان علاء الدين أساء السيرة في حلب[6]، حيث انصرف الى التجارة وجمع الأموال ((ولم يتسم عندهم بالامارة))[7].

- خضوع سنجار للمماليك وسقوطها بيد المغول ٦٥٩ – ٦٦٠هـ/ ١٢٦٠ – ١٢٦١م

في سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م أرسل الملك المظفر علاء الدين من الشام الى اخيه الملك الصالح ركن الدين اسماعيل في الموصل يستدعيه للذهاب بصحبته الى مصر[8]، فأستجاب الملك الصالح وسارا اليها بعد ان خافا ان ينكشف أمر اتصالهما بالمماليك للمغول[9]، وأرسل الملك الصالح الى اخيه الملك المجاهد سيف الدين اسحاق حاكم جزيرة ابن عمر بما عزم عليه[10]، ولحق الأخير به أيضا وقصدوا الظاهر بيبرس الذي اكرمهم ومنحهم الاقطاعات في مصر[11]، وكتب لهم التقاليد بالبلاد التي كانت لهم، وكانت سنجار من نصيب الملك المظفر علاء الدين بطبيعة

---

(١) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص٢٠٧، ويوردها باختصار المقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص٤٢١.
(٢) اليونيني: ذيل ٤٥٢/١.
(٣) وللاستزادة عن معركة عين جالوت انظر: عماد عبد السلام رؤوف: معركة عين جالوت.
(٤) سالم يونس محمد: العراق في السياسة المملوكية ص٩٥.
(٥) ابن تغرى بردى: الدليل ٤٦٨/١-٤٦٩، ويوردها المقريزي باختصار: السوك ج١ ق٢ ص٤٣٣.
(٦) ابن تغرى بردى: الدليل ٤٦٩/١.
(٧) ابن الفوطي: تلخيص ج٤ ق٢ ص١٠٥٤.
(٨) ابن العبري: تاريخ ص٤٩٢.
(٩) ابن العبري: تاريخ ص ص ٤٩٣-٤٩٤، العمري: منهل هامش رقم (١٣) ص١٢٦.
(١٠) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص٢٠٨.
(١١) أبو الفدا: المختصر ٢١٣/٣.

الحال[1]، وبذلك اصبحت خاضعة للسيطرة والارادة المملوكية غير المباشرة.

وورد الى مصر في السنة نفسها ابو القاسم احمد بن الظاهر بأمر الله العباسي حيث ثبت نسبه ولقب بالمستنصر بالله وخطب له بعد ان بويع بالخلافة[2]، وسار الخليفة والملك الظاهر واولاد بدر الدين لؤلؤ من مصر الى الشام، وفي دمشق اشار الملك الظاهر على الخليفة بالمسير الى العراق بعد تجهيزه وبرفقته اولاد حاكم الموصل الذين رغبوا في العودة الى بلادهم، وفي الرحبة فارق اولاد لؤلؤ الخليفة، الذي كان يرغب في مرافقتهم له متذرعين بعدم امتلاكهم أي مرسوم بذلك[3]، وسار اولاد لؤلؤ من الرحبة الى سنجار، ومنها توجه الملك الصالح الى الموصل لدعوة أهلها له، وبعد ان دخلها احكم المغول الحصار عليها، وعندما قتل الخليفة على يد المغول قبل الوصول الى بغداد، عاد الملك المظفر علاء الدين حاكم سنجار واخوه الملك المجاهد اسحق حاكم جزيرة ابن عمر[4].

ويبدو ان الملك الظاهر كان يبغي من ارسال الخليفة واولاد لؤلؤ الى العراق والجزيرة ان يتولوا حركة المقاومة ضد المغول في تلك الجهات ولتكوين قاعدة مملوكية متقدمة في ذلك الصراع ومعتمدة على أهل البلاد، الا ان الخطة فشلت كما تبين، ويمكن اضافة سبب آخر دفع الملك الظاهر الخليفة بالمسير الى العراق اذ ربما تخوف على مستقبل حكمه من بقاء الخليفة في مصر.

وبعد ان خرج ابناء لؤلؤ من سنجار بقيت من غير حاكم يتولى امرها، فأجمع أهلها على تفويض أمرهم الى فخر الدين قاضي سنجار[5].

---

(١) محي الدين عبدالله بن نشوان ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ص ص ١١٥-١١٦، ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص٢٠٩، المقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص ص ٤٦٠-٤٦١.

(٢) اليونيني: ذيل ١٢٣/٢، الصفدي: الوافي ٣٨٤/٧، ابن تغرى بردى: المنهل ٧٦/٢.

(٣) اليونيني: ذيل ١٠٧/٢-١٠٩، ابن تغرى بردى: النجوم ١١٥/٧، المقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص٤٦٢.

(٤) اليونيني: ذيل ١٥٦/٢، ابن تغرى بردى: المنهل ٣٦٥/٢-٣٦٦، ويوردها باختصار كل من ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص٢٠٩، والدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة الزنكية في اخبار الدولة التركية) ٩٠/٨.

(٥) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص٢٠٩.

- معركة سنجار وسقوطها بيد المغول ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م

في اوائل محرم سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م حاصر المغول الموصل بقيادة صندغون وكان يحكمها الملك الصالح ركن الدين اسماعيل ابن لؤلؤ، وكانت المدينة تفتقر الى الاسلحة والاقوات لادامة الدفاع[١].

اما الملك المظفر حاكم سنجار واخوه الملك المجاهد اسحق فانهما بقيا في سنجار لمراقبة الوضع وتطور الاحداث وتقديم المساعدة الممكنة، وبعد ان قتل الخليفة على مقربة من بغداد واحكم المغول الحصار على الموصل كما تقدم، سار الاثنان الى مصر ملتمسين النجدة من الملك الظاهر حاكم مصر، فارسل الظاهر الجيش بقيادة الأمير سنقر الرومي في جمادى الأولى من السنة نفسها وكتب الى الأمير علاء الدين الطيبرسي[٢] ان ينضم اليه بجيش دمشق وسارت الجيوش من دمشق في جمادى الآخرة[٣]، كما ان الملك الصالح أرسل الى شمس الدين البرلي في حلب يستنجده لدفع المغول عن الموصل، فكتب البرلي الى الملك الظاهر في مصر يستأذنه في المسير لمواجهة المغول فأذن له[٤]، وامره ان ينتظر في حران لحين وصول الجيش التي أرسلها لينضم اليها، الا ان البرلي خاف ان يقبض عليه من قبل ذلك الجيش، حيث كان متشككا في نوايا الملك الظاهر نحوه، فتخلى عنها في تل السلطان، وسار الى سنجار، كما ظهر الخلاف بين بقية الجيش التي أرسلها الظاهر، لذلك امرها بالعودة الى الشام[٥]، بينما وصل البرلي الى سنجار واستولى عليها حيث أقدم على اعتقال حاكمها القاضي فخر الدين وصادره[٦].

الا ان حملة البرلي هذه اصابتها الفشل، واختلفت الروايات حول سببها، هناك من يرى ان المغول عندما علموا بوصول البرلي الى سنجار عزموا على رفع الحصار عن الموصل والتخلي عنها، الا ان وصول احد عملائهم وهو الزين

---

(١) اليونيني: ذيل ٤٩٢/١، الدواداري: كنز ٨٨/٨، الصفدي: الوافي ١٩٣/٩.
(٢) كان الطيبرسي نائب الملك الظاهر في دمشق. اليونيني: ذيل ١٥٢/٢.
(٣) المقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص٤٦٨.
(٤) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص٢١٠، ويوردها باختصار كل من الدواداري: كنز ٨٨/٨، الصفدي: الوافي ١٩٣/٩، ابن تغرى بردى: المنهل ٤١٩/٢.
(٥) اليونيني: ذيل ١٥٢/١-١٥٣.
(٦) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص٢١٠، ويشير إلى وصول البرلي إلى سنجار باختصار كل من اليونيني: ذيل ٤٩٢/١، والصفدي: الوافي ١٩٣/٩، وابن تغرى بردى: المنهل ٤١٩/٢.

الحافظي[1] قلب الموقف رأسا على عقب حيث اخبرهم بقلة جيش البرلي وقلل من شأنها، لذلك تشجع صندغون وسار الى سنجار ومعه عشرة الآف فارس، والتقى مع البرلي الذي لم يكن جيشه يتجاوز الفا وأربعمائة فاس في سنجار، وما لبث ان حلت الهزيمة به وقتل معظم جيشه وانهزام من ساحة المعركة مجروحا وقصد الشام[2].

ويرى رشيد الدين فضل الله الهمذاني سبب مسير صندغون الى سنجار ومباغتة البرلي كانت الرسالة التي أرسلها البرلي الى الملك الصالح في الموصل والتي يذكر فيها وصوله الى سنجار نجدة له، ووقعت الرسالة في أيدي المغول عندما حطت الحمامة على منجنيق للمغول فأمسك بها المنجنيقي، وعندما علم صندغون بالأمر سار بالجيش المغولي بعد ان تلقى امدادا جديدا عززت قواته، وعلى مقربة من سنجار عمد صندغون الى الخديعة بان قسم قواته الى ثلاثة أقسام واعد كمينا، وتظافرت الطبيعة مع المغول حيث هبت ريح عاصفة في وجه القوات الشامية محملة بالأتربة والرمال، فدارت الدائرة عليها وقتل معظم أفرادها، وهرب البرلي، فدخل المغول سنجار[3] يوم الأحد رابع عشر جمادى الآخرة، وخربوا قلعتها، ونصبوا الأمير علم الدين قيصر الموصلي نائبا بها[4].

وبعد هزيمة البرلي وسقوط سنجار تمكن المغول من خداع الملك الصالح ركن الدين اسماعيل بعد ان أمنوه فخرج اليهم وفتح لهم الأبواب، فدخلوا الموصل في السادس والعشرين من شعبان السنة نفسها[5]، وأصبحت المدينة هدفا للقتل والنهب والتخريب.

---

(١) انظر ترجمته في: محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها ص ص ٧٧-٧٨.
(٢) اليونيني: ذيل ٤٩٢/١-٤٩٣، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ٢١٠-٢١١، الصفدي: الوافي ١٩٣/٩-١٩٤، ويرى الدواداري انه كان مع البرلي تسعمائة فارس فقط. كنز ٨٨/٨.
(٣) جامع التواريخ (تاريخ المغول) م٢ ج١ ص ص ٣٢٨-٣٢٩.
(٤) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص ص ٢١١-٢١٢.
(٥) عن ذلك انظر: اليونيني: ذيل ٤٩٤/١-٤٩٥، الدواداري: كنز ٨٩/٨، الصفدي: الوافي ١٩٤/٩، ابن تغرى بردى: المنهل ٤١٩/٢.

الفصل الثاني
التاريخ العسكري

دور سنجار في الحروب الصليبية
- المراحل المبكرة

تعرض المشرق الإسلامي للغزو الاوربي الصليبي لمدة قرنين من الزمان تقريبا، وهو القرن السادس والسابع الهجرين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين)، وكان لاقليم الجزيرة القدح المعلى في هذا الصراع المرير، حيث لعبت سنجار دورا بارزا فيه، لا سيما وانها غدت في فترة من تاريخها اتابكية واسعة كما تقدم في الفصل الاول.

كانت لسنجار مساهمة متميزة في محاربة الصليبيين منذ فترة مبكرة، ففي سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م تحالف كل من الغازي بن ارتق شحنة بغداد واصبهبذ صباوة حاكم ماردين والبي ابن ارسلان تاش حاكم سنجار على محاربة الصليبيين، غير انهم حادوا عن الهدف وشرعوا بمهاجمة البلاد التي كانت تابعة لجكرمش حاكم الموصل وذلك لتوسيع قاعدة التحالف، فحاصروا نصيبين، الا ان البي حاكم سنجار اصيب بجرح بالغ فعاد الى سنجار ليموت فيها، في الوقت الذي وقع فيه الخلاف بين المتحالفين وعاد كل واحد منهم الى بلاده، وتولى الحكم بعد وفاة البي عمه تميرك بعد ان صالح جكرمش ودخل في طاعته[1].

وفي سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م استجاب الأمير مودود حاكم الموصل لنداء الاستغاثة التي وجهها اليه طغتكين حاكم دمشق لدفع الصليبيين عنها بعد ان تعددت تجاوزاتهم وكثرت استفزازاتهم، فسار مودود الى الشام بعد ان انضم اليه تميرك حاكم سنجار وجيش ماردين الارتقي، وتمكنت الجيوش الاسلامية المتحالفة من الحاق الهزيمة بالصليبيين في طبرية ونهبوا بلادهم التي بين عكا[2] والقدس، وبعد هذا الانتصار عادت الجيوش المتحالفة الى دمشق حيث اغتيل فيها مودود،

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١٠/٤٠٥-٤٠٧، ويختلف معه رنسيمان حيث يرى أن جكرمش كان منظما أيضا إلى ذلك التحالف، الا أنهم ما لبثوا أن خرجوا عليه. تاريخ ٢/١٧٧-١٧٨.
(٢) عن موقع عكا انظر: الخارطة المرفقة.

وحمل تميرك خزائن مودود وما خلفه الى السلطان محمد[1]، وبعد مقتل مودود ولى السلطان محمد في سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م على الموصل وأعمالها اقسنقر البرسقي وامره بمحاربة الصليبيين، فسار وبصحبته تميرك، حيث اخضع جزيرة ابن عمر وماردين أولا ليضمن بذلك سيطرته على شمال العراق، ثم سار الى الرها[2] وحاصرها الا انه لم ينل منها، فانصرف عنها بعد ان اغار على المناطق المحيطة بها واوقع بها[3].

وفي سنة ٥٠٩هـ/ ١٠١٥م انضم جيش سنجار بقيادة تميرك نفسه الى القوة التي أرسلها السلطان محمد بقيادة الأمير برسق بن برسق لمحاربة طغتكين وايلغازي الخارجين على السلطان في الشام أولا ومن ثم محاربة الصليبيين ثانيا، عندما توجهت الجيوش الى الشام خاف طغتكين وايلغازي ودفعهما ذلك الى التحالف مع الصليبيين، كما انضم اليهم حاكم حلب، وتمكن الصليبييون من الايقاع بعسكر برسق بعد ان تفرق عنه معظم اصحابه ولم يبق معه غير حاكم الرحبة وتميرك الذي صمد في وجه الصليبيين بعض الوقت وتمكن من رد قسم من قواتهم، الا انهم ما لبثوا ان طوقوه ووقعت جيوشه بين القتل والاسر وانهزم من تبقى[4].

وهذه المحاولة كانت الأخيرة من قبل السلاجقة لاستعادة الشام، لانهم أدركوا عدم جدواها بالنظر لتفكك القوى الاسلامية وتناحرها من جهة، وتحالف بعضها مع الصليبيين من جهة أخرى.

- عصر الناصر صلاح الدين

بعد ان اكمل السلطان صلاح الدين وحدة مصر والشام مع بلاد الجزيرة كما رأينا ذلك في الفصل الأول أصبح تطويق الصليبيين كاملا، لذلك بدأت صفحة جديدة من العمل المنظم القائم على الجهاد ضد العدوان الصليبي على البلاد

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١٠/٤٩٥-٤٩٧، ويوردها باختصار ابن كثير: البداية ١٢/١٧٥-١٧٦.
(٢) عن موقع الرها انظر: الخارطة المرفقة.
(٣) ابن الأثير: الكامل ١٠/٥٠١-٥٠٢، رنسيمان: تاريخ ٢/٢٠٨-٢٠٩، انظر كذلك الشيخ: الجهاد ص ص ٢٤٥-٢٤٨.
(٤) الشيخ: الجهاد ص ص ٢٥٢-٢٥٩، رنسيمان: تاريخ ٢/٢١٢-٢١٦.

الاسلامية، وكانت لسنجار فيه صفحة مشرفة كما سنرى، ففي سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م كان وفد عماد الدين زنكي حاكم سنجار ضمن الوفود التي حضرت لدى السلطان صلاح الدين في دمشق ((لتقرير امور الفرنج))[١].

وفي سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م بعد انتهاء فصل الشتاء[٢]، عزم السلطان صلاح الدين على قصد الكرك[٣] ومحاربة الصليبيين لذلك أقدم على مكاتبة حكام الاطراف واستدعائهم، فجاءته الجيوش المصرية والشامية والجزرية وفيهم جيش سنجار وعلى رأسها حسام الدين طمان[٤]، وكان السلطان قد سبق وان اشترط على عماد الدين زنكي حاكم سنجار في سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م اثناء مبادلة سنجار بحلب ان يحضر بجيشه الى خدمة السلطان للجهاد وقتال الصليبيين[٥]، وكذلك الحال بالنسبة لبقية الأطراف[٦]، والذي حمل السلطان على الابتداء بالكرك هي اعتداءاتها المتكررة وقطع الطريق الى مصر، بحيث تعذر الانتقال من غير حماية الجيش، لذلك اراد السلطان ان يجعل الطريق الى مصر مفتوحا[٧] بصورة دائمة وذلك لاهميتها بالنسبة لمشروعاته، فسار الى الكرك وحاصرها في ربيع الأول من السنة نفسها ونصب عليها المنجنيقات واوشكت على السقوط بيده[٨]، الا انه كان يفتقر الى ادوات الحصار الكافية لذلك الحصن المنيع واستمر في حصارها الى شعبان[٩]، وامام هذا الخطر المحدق بالكرك أقدم القائمون بالدفاع عنها على مكاتبة ملوكهم وفرسانهم يستنجدون بهم[١٠]، فتوجه هؤلاء واجتمعوا بالوالة[١١]،

---

(١) أبو شامة: الروضتين ٥٣,١/٢
(٢) ابن واصل: مفرج ١٥٧/٢.
(٣) عن موقع الكرك انظر: الخارطة المرفقة.
(٤) ابن شاهنشاه: مضمار ص٢٠٠، أبو شامة: الروضتين ٥٦/٢، ابن كثير: البداية ٣١٥/١٢، ويوردها باختصار المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٨٥.
وحسام الدين طمان لم اعثر على ترجمته، الا أن ابن شداد يشير إلى وفاته في تل العياضية ويصفه بالشجاعة: النوادر ص١٠٨.
(٥) الاصفهاني: البرق ٨٦/٥ – ب، ٩٩/٥ – ب، ابن الأثير: الكامل ٤٩٧/١١.
(٦) ابن واصل: مفرج ١١٧/٢.
(٧) ابن شداد: النوادر ص٦٦، أبو شامة: الروضتين ٥٥/٢، ويوردها باختصار ابن كثير: البداية ٣١٥/١٢.
(٨) ابن شاهنشاه: مضمار ص١٨٩، أبو الفدا: المختصر ٦٨/٣.
(٩) ابن الأثير: الكامل ٥٠٢/١١.
(١٠) نفسه ٥٠٦/١١، ابن واصل: ١٥٨/٢.
(١١) الوالة: احدى المواقع القريبة من الكرك.

مصممين على الدفاع عن الكرك[1]، فحاول السلطان استدراجهم بان رحل عنها بعد ان ترك عليها من يوافيه باخبارهم[2]، الا أنهم لم يخرجوا اليه لخوفهم منه[3]، فجاءتهم النجدات عبر المسالك الوعرة بين الوالة والكرك وبذلك فاتت الفرصة على السلطان الذي سار عنها الى نابلس[4]، واوقع بها[5] وذلك لخلوها من الجيش[6]، كما انه قام بعمليات أخرى[7]، وعاد بعدها الى دمشق حيث وجد رسولي الخلافة بانتظاره، وذلك لاقرار الصلح بينه وبين عز الدين مسعود حاكم الموصل، غير ان المباحثات بين الطرفين لم تسفر عن نتيجة، فعاد الرسولان بعد ان استاذنا من السلطان[8]، الذي أمر حسام الدين طمان مقدم جيش سنجار بمرافقتهما، الا انهما توفيا في طريق العودة[9]، كما اذن السلطان للجيوش بالعودة الى اوطانها[10]، اذ كانت العمليات القتالية يومذاك موسمية الطابع تبدأ باعتدال المناخ وتتوقف عند دخول الشتاء.

غير ان السلطان لم يتخل عن عزمه بالاستيلاء على الكرك والايقاع بها، بالنظر لاعتداءاتها المتكررة على الحجاج والتجار والجنود على حد سواء لذلك صمم على الانتقام من حاكمها ارناط لغدره[11]، حيث بلغ السلطان عزم الأخير على الايقاع بالحجاج أولا، ومن ثم منع الجيش المصري من الوصول اليه[12] ثانيا، لذلك كتب الى الجيوش يستدعيها، بينما سار هو ونزل في بصرى[13] ليمنع ارناط

---

(١) ابن شاهنشاه: مضمار ص١٨٩، ابن شداد: النوادر ص ص ٦٦-٦٧، أبو شامة: الروضتين ٥٥/٢، ابن واصل: مفرج ١٥٨/٢.
(٢) ابن شاهنشاه: مضمار ص١٨٩، ابن واصل: مفرج ١٥٨/٢.
(٣) ابن واصل: مفرج ١٥٨/٢.
(٤) عن موقع نابلس انظر: الخارطة المرفقة.
(٥) ابن شاهنشاه: مضمار ص١٨٩، ابن شداد: النوادر ص٦٧، ابن واصل: مفرج ١٥٩/٢، أبو الفدا: المختصر ٦٨/٣، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٨٤.
(٦) أبو شامة: الروضتين ٥٥/٢، ابن كثير: البداية ٣١٥/١٢.
(٧) عن تفاصيل ذلك انظر: ابن الأثير: الكامل ٥٠٦/١١-٥٠٧.
(٨) نفسه: ٥٠٩/١١، ابن واصل: مفرج ١٦٢/٢.
(٩) ابن شاهنشاه: مضمار ص٢٠٠، أبو شامة: الروضتين ٥٦/٢.
(١٠) ابن شداد: النوادر ص٦٧، ابن كثير: البداية ٣١٥/١٢.
(١١) ابن خلدون: العبر ٣٠٥/٥، ويوردها باختصار أبو الفدا: المختصر ٧١/٣.
(١٢) ابن الأثير: الكامل ٥٣٠/١١.
(١٣) عن موقع بصرى انظر: الخارطة المرفقة.

من التعرض للحجاج[1]، وبعد وصول هؤلاء سالمين[2]، فتوجه السلطان الى الكرك وحاصرها، في الوقت الذي لزم فيه بقية الأمراء الصليبيين بلادهم ولم يغادروها خوفا عليها من الجيوش الاسلامية التي اجتمعت في رأس الماء[3] بقيادة الملك الأفضل ابن السلطان[4]، وكان فيهم جيش سنجار[5] بقيادة عماد الدين زنكي حاكم سنجار نفسه[6].

اما عدد جيش سنجار، فتبين لنا من الدراسة المقارنة التي اجراها جب عن جيوش الجزيرة والتي قدرت بخمسة الاف مقاتل[7]، أنها كانت تقدر بالفي مقاتل على اغلب الظن، خاصة اذا علمنا ان جيش سنجار كان يضم جيش كل من نصيبين والخابور والرقة سروج وهي البلاد التي كانت تابعة لاتابكية سنجار[8]، اضافة الى جيش سنجار نفسها.

وقد اشترك جيش سنجار مع السلطان في الانتصارات الكبيرة والفتوحات الكثيرة التي حققها في ذلك العام، حيث تم فتح ((طبرية. عكا. الزيب. معليا. اسكندرونة. تبنين. هونين. الناصرة. الطور. صفورية. الفولة. جينين. زرعين. دبورية. عفر بلا. بيسان. سمطة. نابلس. اللجون. اريحا. سنجيل. البيرة. يافا. ارسوف. قيسارية. حيفا. صرفد. صيدا. قلعة ابي الحسن. جبل جليل. بيروت. جبيل. مجدل يابا. مجدل حباب. الداروم. غزة. عسقلان. تل الصافية. التل الاحمر. الاطرون. بيت جبريل. جبل الخليل. بيت لحم. اللد. الرملة. قرتيا. القدس. صوبا. هرمس. السلع. عفرا. الشقيف. ولم نذكر ما تخللها من القرى والضياع والابراج الحصينة الجارية مجرى الحصون والقلاع، ولكل واحدة من

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٥٣٠/١١، ابن ابي عذيبة: مختصر ورقة ١٢٨.
(٢) ابن شداد: النوادر ص٧٤.
(٣) راس الماء: احدى المواقع القريبة من الكرك والمؤدية إليها.
ابن شداد: النوادر ص٦٦.
(٤) ابن الأثير: الكامل ٥٢٩/١١-٥٣٠، ويوردها باختصار كل من ابن واصل: مفرج ١٨٦/٢، وابن خلدون: العبر ٣٠٥/٥-٣٠٦، الاصفهاني: الفتح ص٩٠، ابن واصل: مفرج ٢٤٦/٢.
(٥) ابن ابي عذيبة: مختصر ورقة ١٣٠.
(٦) صلاح الدين ص١٧٠، العريني: الشرق ص١٦٤.
(٧) الاصفهاني: البرق ٨٦/٥ – ب، ٩٩/٥ – ب، ابن الأثير: الكامل ٤٩٧/١١.
(٨) الاصفهاني: الفتح ص١١١.

البلاد التي ذكرناها أعمال وقرى ومزارع، وأماكن ومواضع))[1] اما دور جيش سنجار في معركة حطين الحاسمة، فكان عاما شأنها في ذلك شأن بقية الجيوش الاسلامية الاخرى حيث لم اعثر على ما يشير الى تميزها عن غيرها فيها.

وبالنظر لحلول الشتاء وكثرة الاصابات في صفوف الجيوش ازداد الالحاح على السلطان في السماح لها بالرجوع الى بلادها للاستراحة، واستعادة النشاط لحين انقضاء الشتاء على ان يعودوا في الربيع، فأذن لهم بذلك فقفلت الجيوش عائدة الى اوطانها وفيهم أيضا جيش سنجار[2].

وبعد انقضاء شتاء سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م توجه السلطان من عكا الى كوكب[3] ومنها الى دمشق حيث كتب الى الأطراف يستنفر الجيوش ويستدعيها للجهاد[4]، ومن دمشق توجه السلطان الى حمص ونزل في غربيها على بحرية قدس حيث توافدت عليه الجيوش الاسلامية من الأطراف واولهم كان جيش سنجار بقيادة حاكمها عماد الدين زنكي وتلاحقت بقية الجيوش في الوصول[5].

وكان مع عماد الدين جيشا كبيرا[6]، ربما كان السبب فيما يراه رنسيمان في التعجيل بحركة السلطان لقتال الصليبيين[7]، وكان لعماد الدين مكانة كبيرة عند السلطان حيث كان يحترمه كثيرا ويعطيه الأموال لانه كان معه (في غزواته مجاهدا))[8] ويتجلى ذلك في الاستقبال الكبير الذي اجراها له السلطان شخصيا حيث وقف لاستقباله ((الأمراء والحجاب والعظماء والاصحاب على مراتبهم))،

---

(١) بعض هذه المواقع موجودة على الخارطة المرفقة بالبحث، والبعض الآخر لم تشر الخرائط والمعاجم الجغرافية اليه، وللاستزادة عن هذه الفتوحات انظر: ابن الأثير: الكامل ١١/٥٣١-٥٥٧، الاصفهاني: الفتح ص ص ١٨-٩٠، ابن شداد: النوادر ص ص ٧٥-٨٤، ابن واصل: مفرج ٢/١٨٨-٢٤٦، ابن خلدون: العبر ٥/٣٠٦-٣١٢.

(٢) الاصفهاني: الفتح ص٩٠، ابن واصل: مفرج ٢/٢٤٦، ابن ابي عذيبة: مختصر ورقة ١٣٠.

(٣) عن موقع كوكب انظر: الخارطة المفرفقة.

(٤)ابن الأثير: الكامل ١٢/٦، ابن واصل: مفرج ٢/٢٥٥، أبو الفدا: المختصر ٣/٧٤، الذهبي: تاريخ ق١ ص٢١.

(٥) ابن الأثير: الكامل ١٢/٦، ويورد وصول عماد الدين زنكي أيضا كل من ابن شداد: النوادر ص٨٦، أبو شامة: الروضتين ٢/١٢٤، ابن ابي الدم: التاريخ ص٥١٤، ابن واصل: مفرج ٢/٢٥٥.

(٦) الاصفاهني: الفتح ص١٢٦.

(٧) تاريخ ٢/٧٦٠.

(٨) أبو شامة: الذيل ص١٣، وينقلها عنه ابن تغرى بردى: النجوم ٦/١٤٤.

ومدت موائد الطعام واقيمت الاحتفالات الادبية التي انشد فيها الشعراء والقيت الخطب، كما قام السلطان بتقديم العديد من الهدايا لحليفه القادم من سنجار[١].

وبعد ان تجمعت الجيوش على بحيرة قدس سار السلطان ومعه عماد الدين زنكي ونزل عند حصن الاكراد[٢] وكان السلطان قد استعد للحرب وجعل عماد الدين حاكم سنجار على الميمنة ومظفر الدين بن زين الدين حاكم اربل على الميسرة[٣]، وقامت الجيوش باعمال الاغارة حتى وصلوا الى طرابلس[٤].

كما توجه السلطان بالجيوش الى جهة الساحل وفتح انطرسوس[٥] برمتها ماعدا احد حصونها، وفتح جبلة[٦] وحصن بكسرابيل[٧] كما اتم فتح اللاذقية[٨] وصهيون[٩]،وقلعة العيذو[١٠] والجماهريين[١١] وحصن بلاطنس[١٢] وبكاس[١٣] والشغر[١٤] وسرمانية[١٥] كما توجه السلطان بالجيوش الى قلعة برزية[١٦] التي تقع

---

(١) الاصفهاني: الفتح ص ص ١٢٦-١٣٠.
(٢) عن موقع حصن الاكراد انظر: الخارطة المرفقة.
(٣) ابن شداد: النوادر ص٨٧، وينقلها عنه ابن خلكان: وفيات ١٨٩/٦، الذهبي: تاريخ ق١ ص٢١.
كما أن زنكي كان مشتركا مع السلطان في اختيار المواقع التي تبدأ منها القتال: الاصفهاني: الفتح ص١٣٠.
(٤) الاصفهاني: الفتح ص١٣٢، ابن الأثير: الكامل ٦/١٢.
(٥) عن انطرسوس انظر: الخارطة المرفقة.
(٦) عن جبلة: نفسه.
(٧) بكسرابيل: حصن لم تشر الخرائط والمعاجم الجغرافية إلى موقعه والغالب أنها تقع بين جبلة واللاذقية.
(٨) عن اللاذقية انظر: الخارطة المرفقة.
(٩) عن صهيون: نفسه.
(١٠) العيذو: لم تشر الخرائط والمعاجم الجغرافية إلى موقعه، ولكن يبدو أنها كانت تقع بين صهيون وبكاس.
(١١) الجماهريين: لم تشر الخرائط والمعاجم الجغرافية إلى موقعه، ولكن يبدو أنها كانت تقع بين صهيون وبكاس.
(١٢) بلاطنس: لم تشر الخرائط والمعاجم الجغرافية إلى موقعه، ولكن يبدو أنها كانت تقع بين صهيون وبكاس.
(١٣) عن بكاس انظر: الخارطة المرفقة.
(١٤) عن الشغر انظر: الخارطة المرفقة.
(١٥) الاصفهاني: الفتح ص ص ١٤٦-١٤٨، ابن شداد: النوادر ص ص ٨٧-٩٢، ابن الأثير: الكامل ٧/١٢-١٤، ابن واصل: مفرج ٢٥٦/٢- ٢٦٤، ابن خلدون: العبر ٣١٢/٥-٣١٤، ويوردها باختصار كل من ابي الفدا: المختصر ٧٤/٣-٧٥، وابن كثير: البداية ٢٣٠/١٢. وعن موقع سرمانية انظر: الخارطة المرفقة.
(١٦) وسميت بالبرزية نسبة إلى بانيها أو حاكمها. شهاب الدين العمري: التعريف بالمصطلع الشريف

على سن جبل عال يضرب بها المثل لمناعتها وحصانتها[1]، وانها تقع في اقصى الجنوب من نهر العاصي[2]، وتمتاز بصعوبة الارتقاء إليها[3]، وفي يوم الأحد الخامس والعشرين من جمادى الآخرة بدأ السلطان حصاره للقلعة واخذت المنجنيقات تصب عليها وابلا من الحجارة[4] ولكن دون جدوى[5]، وكسبا للوقت[6] قرر السلطان القيام بالهجوم عليها بعد ان قسم الجيوش الاسلامية الى ثلاثة أقسام، ليقاتل كل قسم شطرا من النهار، ثم يستريح ويسلم القتال للقسم الآخر وهكذا حتى لا يتوقف عنها القتال ليل نهار[7] ولما لم يكن لدى الصليبيين العدد الكافي من المقاتلين للتناوب، فانهم يصابون بالكلل والاعياء ويضطرون الى الاستسلام[8].

وكانت النوبة الأولى لعماد الدين زنكي حاكم السنجار ((فقاتلها قتالا شديدا حتى استوفى نوبته، وضرس الناس من القتال))[9]، الا أنهم لم ينالوا منها لصعوبة مسالكها، وتسلط الصليبيين عليهم حيث كانوا يرمونهم بالنشاب ويدحرجون عليهم الحجارة من الاعلى[10]، لذلك تراجعوا عنها عندما بلغ منهم التعب والاعياء مبلغهما، وكانت النوبة الثانية للسلطان نفسه الذي قاتلها حتى كلَّ اصحابه وتراجعوا، فصاح في الجيش حيث نهضت النوبة الثالثة ووثبوا، كما ان نوبة جند عماد الدين قد استراحوا فانضموا الى اخوانهم واحاطوا بالقلعة من كل الجهات، حيث أدرك الصليبييون استحالة الاستمرار في القتال[11]، لذلك

ص١٩٦.

(١) ابن شداد: النوادر ص٩٢، وينقلها عنه باختصار ابن كثير: البداية ٣٣٠/١٢.

(٢) رنسيمان: تاريخ ٢٦١/٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل ١٤/١٢، ويذكرها باختصار ابن خلدون: العبر ٣١٤/٥.

(٤) ابن شداد: النوادر ص٩٢.

(٥) ابن الأثير: الكامل ١٥/١٢، ابن خلدون: العبر ٣١٤/٥.

(٦) الاصفهاني: الفتح ص١٤٩.

(٧) ابن شداد: النوادر ص٩٣، ابن الأثير: الكامل ١٥/١٢، ابن واصل: مفرج ٢٦٦/٢، ابن كثير: البداية ٣٣٠/١٢.

(٨) ابن الأثير: الكامل ١٥/١٢.

(٩) ابن شداد: النوادر ص٩٣.

(١٠) ابن الأثير: الكامل ١٥/١٢، وينقلها عنه ابن خلدون: العبر ٣١٥/٥.

(١١) الاصفهاني: الفتح ص ص ١٥٠-١٥١، ابن شداد: النوادر ص٩٣، ابن الأثير: الكامل ١٥/١٢-١٦.

تراجعوا الى الداخل ولحق بهم المسلمون، كما أنهم اهملوا الجانب الشرقي من القلعة وركزوا الدفاع على الجهة التي يقاتل عندها السلطان وبذلك هيأوا للمسلمين فرصة استغلوها، حيث تسلقوا تلك الجهة ولم يكن هناك من يمنعهم عنها وصعدوا الى سطح القلعة[١]، واندفع المسلمون الى داخل القلعة فأستغاث جندها بالسلطان طالبين الامان[٢] فافرج عن حاكمها وعدد من اهله وارسلهم الى انطاكية وذلك لاستمالتهم[٣].

وبعد هذا النصر تيمم السلطان جنوب دربساك[٤] وبغراس[٥] واستولى عليهما[٦]، وبعد ان فرغ من أمر الحصون المحيطة بانطاكية عزم على قصدها، الا ان بوهمند حاكم انطاكية[٧]، راسله بشأن الصلح فوافق السلطان على عرضه لانه لم يكن راغبا في مواصلة القتال بسبب ما اصاب قواته من اعياء ورغبتها في العودة الى بلادها[٨]، وكان عماد الدين زنكي من اكثر قادة السلطان الحاحا بالعودة[٩]، كما اشترط السلطان على حاكم انطاكية ان يطلق سراح جميع الاسرى المسلمين الذين عنده[١٠]، ومن العوامل الاخرى التي حملت السلطان على

---

(١) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٦، وينقلها عنه كل من ابن واصل: مفرج ٢/٢٦٦-٢٦٧، ابن خلدون: العبر ٥/٣١٥.

(٢) الاصفهاني: الفتح ص١٥١.

(٣) ابن شداد: النوادر ص٩٣، وكذلك انظر: الاصفهاني: الفتح ص١٥٢. بينما يحاول رنسيمان أن يقلل من قيمة هذا الانتصار، ومن تسامح السلطان مع حاكم انطاكية، عندما يلوح أن سبب خسارة الصليبيين هو انضمام البعض منهم إلى السلطان حيث يقول ((قائد حامية برزية قد تزوج من شقيقة اميرة انطاكية، التي كانت عميلا سريا لصلاح الدين فتقررا اطلاق الحرية له ولزوجته)) تاريخ ٢/٧٦١. وليس هناك ما يدعم قول رنسيمان سوى رواية مفردة لابن خلدون: العبر ٥/٣١٥. وان صح ذلك فانه دليل على نشاط جهاز الاستخبارات في دولة صلاح الدين.

(٤) عن دربساك انظر: الخارطة المرفقة.

(٥) بغراس: الخارطة اعلاه.

(٦) الاصفهاني: الفتح ص ص ١٥٥-١٥٧، ابن شداد: النوادر ص ص ٩٣-٩٤، ابن الأثير: الكامل ١٢/١٨-١٩، ابن واصل: مفرج ٢/٢٦٨- ٢٦٩، ابن خلدون: العبر ٥/٣١٥، ويوردها باختصار كل من ابي الفدا: المختصر ٣/٧٥، ابن كثير: البداية ١٢/٣٣٠.

(٧) رنسيمان: تاريخ ٢/٧٦١.

(٨) الاصفهاني: الفتح ص١٥٨، ابن الأثير: الكامل ١٢/١٩، ابن كثير: البداية ١٢/٣٣٠، ابن تغرى بردى: النجوم ٦/٤١.

(٩) ابن شداد: النوادر ص٩٤، ابن واصل: مفرج ٢/٢٦٩، الذهبي: تاريخ ق١ ص٢٣، رنسيمان: تاريخ ٢/٧٦١.

(١٠) ابن شداد: النوادر ص٩٤، ابن الأثير: الكامل ١٢/١٩، ابن واصل: مفرج ٢/٢٦٩، أبو الفدا: المختصر ٣/٧٥، الذهبي: تاريخ ق١ ص٢٣، ابن كثير: البداية ١٢/٣٣٠، ابن خلدون: العبر ٥/٣١٦.

الموافقة هي ان مدة الهدنة تنتهي ((قبل ادراك الغلة واوان حصادها، فلا يقدر الفرنج على تحصيلها ونقلها واعدادها))[1]، كما اتفق حاكم انطاكية مع السلطان على تسليم البلد اليه اذا لم يأت من ينجدهم قبل انتهاء الهدنة والتي امدها سبعة اشهر[2]، وان يعترف من جهته بجميع ((الفتوحات الاسلامية))[3] والتي تمت، واستقر الأمر بين الطرفين على هذه القاعدة، وعاد السلطان الى دمشق، واعطى لعماد الدين زنكي حاكم سنجار وغيره من الجيوش الاسلامية اذنا بالعودة الى بلادهم[4].

وفي سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م خرج السلطان من دمشق الى شقيف ارنون[5]، وذلك لانتهاء مدة الهدنة مع حاكم انطاكية، واجتماع الفرنج وتنامي قوتهم باستمرار نتيجة لوصول الامدادات اليهم[6]، ذلك ان تحرير السلطان لبيت المقدس ومساحات واسعة من فلسطين والشام اثار ردود فعل قوية في اوربا، حيث قام القساوسة والرهبان بحملة دعائية واسعة لاستنفار النصارى واثارتهم[7]، في دعوة لحملة صليبية ثالثة بتنسيق بين ملوك اوربا ورجال الدين وبلغ بهم الحماس حدا تناسوا معها خلافاتهم وفرضوا ضرائب عالية على من لم يشأ التطوع، وحرمت الكنائس من بركاتها كل من يتأخر عن دفعها، وتجمع الصليبيون في صور التي اصبحت قاعدة الانطلاق صوب عكا[8]، ومنها توجهوا الى عكا في البر والبحر، وسبقوا السلطان اليها، فنزل الأخير على تل كيسان[9] ورتب جيوشه، فأصبح الصليبيون المحاصرون لعكا محاصرين أيضا من قبل السلطان الذي أرسل الى الأطراف في استدعاء الجيوش للجهاد[10]، فجاءته الجيوش من سنجار

---

(١) الاصفهاني: الفتح ص١٥٨.
(٢) ابن شداد: النوادر ص٩٤.
(٣) رنسيمان: تاريخ ٢/٧٦١-٧٦٢.
(٤) ابن الأثير: الكامل ١٢/٢٠، أبو الفدا: المختصر ٣/٧٥.
(٥) عن موقعها انظر: الخارطة المرفقة.
(٦) المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص١٠٢.
(٧) الدواداري: كنز ٧/٩٨-٩٩.
(٨) ابن الأثير: الكامل ١٢/٣٢-٣٣.
(٩) تل كيسان: ((موضع في مرج عكا من سواحل الشام)) ياقوت: معجم ٢/٤٣.
(١٠) الاصفهاني: الفتح ص ص ١٨٦-١٩١، ابن شداد: النوادر ص١٠٤، ابن الأثير: الكامل ١٢/٣٤، الدواداري: كنز ٧/٩٩.

والموصل وديار بكر وأماكن أخرى[1]، ثم رتب السلطان الجيوش للقتال، وكان جيش سنجار بقيادة مجاهد الدين يرنقش في الميسرة[2]، وجرت معارك بين الجانبين الا أنها لم تسفر عن نتيجة[3]، غير ان الصليبيين اعادوا الكرة بالحملة على قلب جيش السلطان الذي انهزم من امامهم، ووصل الصليبييون الى خيم السلطان في الوقت الذي وصل فيه بعض المنهزمين الى دمشق[4]، ولم يصمد امام الهجمة ((الا عسكر سنجار فكله... مجرب للامور، سديد ساد الثغور... وحملت عليهم ميمنة الفرنج فكانما مرت بالجبال الرياح))[5]، كما حمليت ميسرة جيش السلطان التي فيها جيش سنجار على الصليبيين ومنعت امداد الذين وصلوا الى خيم السلطان، وعندما أحس هؤلاء بانفصالهم عن اصحابهم وانقطاع المدد عنهم عادوا الى معسكرهم وفي الطريق اوقع بهم المسلمون[6]، ورحل السلطان بعد ذلك من تل العياضية[7] الى الخروبة[8] بعد ان أمر الطلائع بملازمتهم[9] وموافاته باخبار تحركاتهم، بينما شرع الصليبييون بحفر خندق حول معسكرهم من البحر الى البحر وبذلك انقطع الطريق نهائيا الى عكا[10].

ومما يمكن ملاحظته ان سنجار تميزت عن سائر المدن والاقاليم الاخرى في هذا الصراع المرير ضد العدوان الصليبي على الديار الاسلامية، وانها خرجت عن المالوف في ذلك بان اقدمت عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م على تجهيز جيوشها وارسالها الى ميدان القتال في الشتاء وقت تفرق الجيوش وطلبها للراحة، حتى ان امينا على شؤون هذه الامة في ذلك الصراع مثل صلاح الدين أمر باعادتها الى سنجار

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٣٤/١٢، ابن خلدون: العبر ٣١٨/٥.
(٢) ابن شداد: النوادر ص١١٠، ابن واصل: مفرج ٢٩٥/٢-٢٩٦، ويوردها باختصار الدواداري: كنز ١٠٠/٧.
(٣) الاصفهاني: الفتح ص١٩١.
(٤) ابن شداد: النوادر ص ص ١١٠-١١٢، ابن واصل: مفرج ٢٩٦/٢- ٢٩٧، ويوردها باختصار كل من ابي الفدا: المختصر ٧٧/٣، ابن خلدون: العبر ٣١٩/٥.
(٥) الاصفهاني: الفتح ص ص ٢٠٠-٢٠٤.
(٦) ابن الأثير: الكامل ٣٧/١٢-٣٨.
(٧) تل العياضية: وهو تل ((مشرف على عكا)) ابن شداد: النوادر ص٤٠٨.
(٨) عن موقع الخروبة انظر: الخارطة المرفقة.
(٩) ابن شداد: النوادر ص١١٤.
(١٠) ابن واصل: مفرج ٣٠٣/٢.

والعودة في الربيع وقت النزال وعنها يقول الاصفهاني: ((وورد الخبر بان عماد الدين قد جهز عسكره، وقدم عليه قطب الدين ولده وسيره، فقال السلطان هذه ايام الشتاء ولا ينتصف فيها من الاعداء، ونحن محتاجون الى العسكر في الربيع، واستنهاض الجموع،....، فكتب بتأخيره، والتمهل في تسييره فتأثر قلب عماد الدين برد ولده، ورجوعه بعد المسير من بلده))[1] فكتب اليه السلطان تطييبا لخاطره ((.... وعرف مسير قطب الدين ادام الله له مضاعفا العلا ... اشفق عليه من التعب، ليكون عسكره مستريحا عند الطلب، فأن الحاجة اليه في الربيع ادعى ومصلحة الاسلام في ذلك الاوان ان تراعى...))[2].

كما ان الجيوش التي كانت في خدمة السلطان، ومنها جيش سنجار بقيادة مجاهد الدين يرنقش لم يعودوا في هذا الشتاء الى بلادهم بالنظر لخطورة الموقف، حيث ورد الخبر الى السلطان بوصول ملك الألمان بجموعه الى القسطنطينية، لذلك أرسل جواسيسه الى بلاد الروم لموافاته بكل جديد عن حركته، كما كتب الى سائر البلاد بالاستنفار للجهاد[3].

وفي رمضان سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م ورد الى السلطان من حلب رسول ولده الملك الظاهر يؤكد له صدق الاخبار عن ملك الألمان ووصوله الى القسطنطينية، لذلك أمر القاضي بهاء الدين بن شداد بالمسير الى حاكم سنجار وحاكم الموصل وحاكم اربل، واستدعائهم للجهاد، والمسير الى الخليفة الناصر لدين الله واعلامه بالأمر[4].

وعندما دخلت سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م توجه السلطان من الخروبة الى تل كيسان، وتلاحقت به الجيوش الاسلامية[5]، لان السلطان كان قد منحها اذنا طيلة شتاء سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م بالاستراحة والاستجمام[6]، وكان اول من اتاه من الجيوش الشرقية عماد الدين زنكي حاكم سنجار[7]،((يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الآخر .. يجر عسكره، ووصل بتجمل حسن وعسكر تام، ولقيه السلطان.. بالاحترام

---

(١) الفتح ص٢٣٣.
(٢) نفسه: ص ص ٢٣٣-٢٣٤.
(٣) الاصفهاني: الفتح ص ص ٢١٥-٢١٦.
(٤) ابن شداد: النوادر ص١١٥، وينقلها عنه ابن واصل: مفرج ٣١٠/٢.
(٥) الاصفهاني: الفتح ص ص٢٤١-٢٤٢، ابن الأثير: الكامل ٤٤/١٢-٤٥.
(٦) الاصفهاني: الفتح ص ص٣١٠-٣١١، ابن شداد: النوادر ص١١٨، ابن واصل: مفرج ٣٤٦/٢.
(٧) ابن الأثير: الكامل ٤٧/١٢.

والتعظيم ورتب له العسكر في لقائه فكان اول من لقيه من العسكر المنصور قضاته وكتابه، ثم لقيه اولاده بعد ذلك، ثم لقيه السلطان... ثم سار به حتى اوقفه على العدو، وعاد معه الى خيمته، وانزله عنده، ... وصنع له طعاما لائقا... وقدم له التحف واللطائف.... وكان قد اكرمه بحيث طرح له طراحة[1] مستقلة الى جانبه... وضرب خيمته على الميسرة على جانب النهر))[2] وكانت جيوشه كثيرة[3]، وتلاحقت بقية الجيوش[4].

وعندما تحقق السلطان من وصول ملك الألمان الى بلاد الارمن واصبح قريبا من بلاد الشام أرسل بعض الجيش لمواجهته وحماية جهات الشام الشمالية[5]، غير أن الملك توفي وحل ابنه محله في القيادة[6]، الذي سار الى انطاكية ومنها الى عكا[7].

وعندما أحس الصليبيون بضعف ميمنة السلطان لانتقال معظم جيوشه، لمواجهة الألمان، باغتوها ووصلوا الى خيام الملك العادل اخ السلطان، الذي تمكن من ردهم، غير ان جيش سنجار الذي كان في الميسرة لم يشترك في هذا الاشتباك، وذلك لبعد المسافة بينهم وبين الميمنة التي تعرضت للهجوم، حيث لم يعلموا بها الا بعد ان تمت هزيمة الصليبيين[8]، وعندما همت بالاشتراك منعها السلطان لان المغيرين كانوا قد انهزموا ((ولو لحقت الميسرة لتكمل قطع دابرهم، واتى القتل على اولهم واخرهم))[9].

---

(١) الطراحة: ((جمعها طراريح– مرتبة يفترشها السلطان اذا جلس)) المقريزي: السلوك هامش رقم (٣) ج١ ق٢ ص٤٤٩.
(٢) ابن شداد: النوادر ص١٢١، للمزيد من التفاصيل عن استقبال السلطان لزنكي انظر: الاصفهاني: الفتح ص ص ٢٥٣–٢٥٤، ويوردها باختصار كل من سبط: مرآة ج٨ق١ ص٤٠٢، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج١ ص٢١٠.
(٣) الاصفهاني: الفتح ص٢٥٤.
(٤) نفسه: ص٢٥٤، ٢٥٦–٢٥٧، ويوردها باختصار كا من: الذهبي: التاريخ ق١ ص٤٠، وابن الفرات: تاريخ م٤ ج١ ص ص ٢١٠–٢١١.
(٥) ابن واصل: مفرج ٣٢٥/٢، وينقلها عنه ابن الفرات: تاريخ م٤ ج١ ص ص ٢٢١–٢٢٢، ويوردها باختصار كل من: ابن الأثير: الكامل ٥١/١٢، الاصفهاني ص٢٦٢.
(٦) ابن شداد: النوادر ص١٢٤، الاصفهاني: الفتح ص٢٦٢.
(٧) ابن واصل: مفرج ٣٢٩/٢، الاصفهاني: الفتح ص ص ٢٦٦–٢٦٧، ٢٨٧–٢٨٨.
(٨) ابن شداد: النوادر ص ص ١٢٩–١٣٠، وينقلها عنه ابن واصل: مفرج ٣٢٥/٢–٣٢٧، ابن الأثير: الكامل ٥١/١٢–٥٢، انظر كذلك الاصفهاني: الفتح ص ص ٢٧٢–٢٧٩.
(٩) الاصفهاني: الفتح ص ص ٢٧٤–٢٧٨.

وفي شوال سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م عزم الصليبيون على الخروج الى جيش السلطان بعد ان ضاق بهم الأمر وملوا[١]، وعندما علم السلطان بحركتهم توجه الى القيمون[٢]، ورتب جيشه للقتال، وكان جيش سنجار في الميسرة الا ان عماد الدين زنكي كان غائبا لمرضه[٣] وعلى الرغم من استعداد الطرفين الا انه لم يقع بينهما قتال، وعاد الصليبيون الى معسكرهم بعد ثلاثة ايام من الحركة[٤].

اما عماد الدين زنكي حاكم سنجار فانه طلب من السلطان اذنا بالعودة بعد ان مل الاقامة وحل الشتاء من غير ان يكون متهيئا لها، الا ان السلطان طلب منه التريث، واخبره بان المباحثات مع الصليبيين بشان الصلح جارية ومستمرة وان عقدها يجب ان يكون بحضورهم جميعا، كما اراد السلطان ان يحمل اليه الخيام وما يحتاجه، غير انه لم يقبل بها واصر على العودة وكتب الى السلطان في الاذن له بالعودة. فاجابه السلطان بان كتب على ظهر طلبه:

من ضاع مثلي من يديه فليت شعري ما استفادا

وعندما قرأها زنكي انقطعت مراجعته نهائيا[٥].

وبعد ان حل الشتاء وهاج البحر أدرك السلطان انه ليس بمقدور العدو القيام بعمل ذو شأن خاصة بعد ان توفر لديه العدد الكافي من المقاتلين لمقابلته، لذلك رأى السلطان ضرورة السماح للجيوش بالعودة الى بلادها للاستراحة، على موعد اللقاء في الربيع للمجاهدة[٦]، واعطاهم بذلك اذنا فسار عماد الدين زنكي حاكم سنجار في الخامس والعشرين من شوال سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م وتلاه الآخرون[٧].

---

(١) ابن شداد: النوادر ص١٤٧.
(٢) القيمون: ((حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين)) ياقوت: معجم ٤/٤٢٤.
(٣) ابن شداد: النوادر ص١٤٧، ابن واصل: مفرج ٢/٣٤٢-٣٤٣.
(٤) ابن شداد: النوادر ص ص ١٤٨-١٥٠، الاصفهاني: الفتح ص ص ٣٠٣-٣٠٤، ابن خلدون: العبر ٥/٣٢٤-٣٢٦، ويوردها باختصار الذهبي: تاريخ ق١ ص٥٠.
(٥) ابن شداد: النوادر ص١٤٦، الاصفهاني: الفتح ص٢٩٩، ابن واصل: مفرج ٢/٣٤٠-٣٤١، أبو شامة: الروضتين ٢/١٦٥، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج١ ص٢٣٧، بينما يروي سبط ابن الجوزي هذه الرواية خطأ، ويرى أن سنجر شاه حاكم جزيرة ابن عمر هو الذي الخ في العودة وكتب له السلطان هذا البيت. مرآة ج٨ق١ ص٤٠٤.
(٦) الاصفهاني: الفتح ص٣١١.
(٧) نفسه: ص ٣١١، ابن شداد: النوادر ص ص ١٥١-١٥٢، ابن واصل: مفرج ٢/٣٤٦، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج١ ص٢٤٣.

وبعد انقضاء شتاء ٥٨٧هـ/ ١١٩١م وصلت الامدادات لكلا الطرفين المسلمين والصليبيين، حيث وصل الى الصليبيين فيليب ملك فرنسا وريتشارد ملك انكلترا[١] الذي تولى قيادة الصليبيين[٢]، وفي الجانب الآخر وصل الى السلطان الجيوش الشامية[٣]، كما قدم اليه في آخر جمادى الأولى جيش سنجار، بقيادة مجاهد الدين يرنقش بجيوش كثيرة يصفها الاصفهاني بقوله: ((وقد سد بسواد عديده النهار، وافاض ببياض حديده الانوار....))[٤]، وكان لحضورها في هذا الوقت اهمية كبيرة، حيث استقبلها السلطان بنفسه، وجعل مكانها في ميسرة الجيوش وفرح بقدومها ((فرحا شديدا في ذلك الوقت))[٥].

وتتجلى لنا اهمية سنجار وحاكمها في حركة الجهاد الإسلامي اضافة الى ما تقدم، في الكتاب الذي أرسله السلطان الى الخلافة يشيد فيها بسنجار وحاكمها ومما جاء فيها: ((وما استمر على مساعدته، وموازرته ومعاقدته، الا صاحبا الموصل وسنجار، وكلاهما عن سنن الاسعاف.... ما جار، فهو يحضر تارة بنفسه وآونة بولده))[٦]، كما انه كان يرسل أحيانا نوابه كما اسلفنا قبل قليل، ومما يؤكد على اهمية سنجار، ان السلطان كان يستشير حاكمها في الأمور المهمة ويرجع الى رايه[٧]، هذا وحدث أن وصلت عساكر مصر والموصل الى الشام[٨].

ورغم ان التوازن في القوى بين الجانبين كان شبه قائم، قبل وصول الامدادات اليهم وبعدها، الا ان السلطان لم يستطيع ازاحة الصليبيين عن عكا الذين احاطوا انفسهم باستحكامات قوية طيلة الشهرين الماضيين من الشتاء الذي توقف فيه القتال بينهم[٩]، ورغم المحاولات التي بذلها السلطان الا أنها لم تمنع من سقوطها وتعرض الاسرى للقتل، وترددت الرسائل بين ريتشارد والملك

---

(١) الاصفهاني: الفتح ص ص ٣٣٥،٣٢٧، ابن شداد: النوادر ص ص ١٥٦، ١٦١، ابن الأثير: الكامل ٦٣/١٢-٦٤.
(٢) رنسيمان: تاريخ ٩٦/٣-٩٧.
(٣) ابن شداد: النوادر ص١٥٦، الاصفهاني: الفتح ص ص ٣٢٦-٣٢٧.
(٤) الاصفهاني: الفتح ص٣٤٣.
(٥) ابن شداد: النوادر ص١٦٥-١٦٦.
(٦) الاصفهاني: الفتح ص ص٣٩٢-٣٩٣.
(٧) ابن شداد: النوادر ص١٤٦، أبو شامة: الروضتين ١٩٣/٢.
(٨) ابن شداد: النوادر ص١٦٦، الاصفهاني: الفتح ص ص٣٤٤-٣٤٥، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج٢ ص١١.
(٩) رنسيمان: تاريخ ٩٨/٣.

العادل اخو السلطان بشأن الصلح الا أنها لم تسفر عن نتيجة[1]، ويبدو ان السلطان اتخذ موقفا دفاعيا بعد ان أدرك استحالة تحقيق نصر حاسم على الصليبيين وطردهم نهائيا، وذلك للتوازن في القوى، لذلك نجده في سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م راغبا في التوصل الى تفاهم مع ريتشارد بسبب ((ما اخذه الناس من تعب مواضبة الغزاة وكثرة الديون والبعد عن الاوطان))[2]، وبالنظر لحلول فصل الشتاء وضجر الجيوش اذن السلطان لها بالعودة الى بلادها[3]، بعد ان استدعى الأمراء الى مجلسه وفيهم مجاهد الدين يرنقش قائد جيش سنجار وخلع عليهم[4].

ان انضمام سنجار الى السلطان لم يكن مقتصرا على المشاركة في محاربة الصليبيين، وانما ساهمت أيضا في النزاعات الداخلية التي واجهت السلطان، كما حدث في سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م عندما أمر السلطان جيش سنجار وغيرها من جيوش الجزيرة بمرافقة ابنه الملك الأفضل واخضاع ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين الذي خرج عليه، غير ان الملك العادل تمكن من تسوية الأمر[5].

اما الصليبييون فحاولوا استغلال انشغال المسلمين بمشاكلهم الداخلية، وقلة الجيش مع السلطان، لذلك ساروا الى القدس حيث اصبحوا على مقربة منها، غير ان السلطان استعد للحصار واستنفر الجيوش، فادرك الصليبييون انه ليس بمقدورهم النيل منها، وخاصة عندما علموا بوصول الملك الأفضل والجيوش الشرقية التي كانت معه الى دمشق[6]، حيث سار جيش سنجار، بقيادة مجاهد

---

(١) للمزيد من التفاصيل عنها انظر: ابن شداد: النوادر ص ص ١٦٨-١٩١، ١٩٣-١٩٦، ٢٠١-٢٠٥، الاصفهاني: الفتح ص ص ٣٥٧-٣٥٩، ٣٧٠-٣٩١، ٣٩٣-٣٩٩، ابن الأثير: الكامل ٦٦/١٢-٧٥، ابن واصل: مفرج ٣٥٥/٢-٣٦١، ٣٦٣-٣٧٥، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج٢ ص١٣-٢٢، ٢٩-٤٢.

(٢) ابن شداد: النوادر ص٢٠٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل ٧٣/١٢.

(٤) الاصفهاني: الفتح ص٣٩٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل ٨٢/١٢-٨٣، انظر كذلك الاصفهاني: الفتح ص ص ٤٢٦-٤٢٨، ويوردها باختصار أبو شامة: الروضتين ١٩٧/٢.

(٦) ابن خلدون: العبر ٣٢٩/٥.

الـدين يـرنقش[1] مـع الجيـوش الاخـرى صـوب غايتهـا الحقيقيـة وهـو الصـراع مـع الصـليبيين، الـذين قـرروا المسـير الى بـيروت بـدلا مـن القـدس، الا ان السـلطان أمـر الأفضـل ان يسـير اليهـا أيضـا بـالجيوش ويمـنعهم عنهـا، عندئـذ أدركـوا عـدم جـدوى حـركتهم ولزمـوا عكـا[2]، واجتمعـت الجيـوش علـى السـلطان الـذي كـان في الرملـة[3]، وتـرددت الرسـل بـين ريتشـارد والملـك العـادل بشـأن الصـلح الـذي لم يعارضـه السـلطان[4]، حيـث أدرك الطرفـان اسـتحالة تحقيـق احـدهما نصـرا حاسمـا علـى الآخـر، لـذلك اتفقـوا علـى الصـلح ((يـوم الثلاثـاء الحـادي والعشـرين مـن شـعبان سـنة ثمـان وثمـانين الموافـق الأول مـن ايلـول لمـدة ثلاثـة سـنين وثمانيـة اشـهر... وعقـدت هدنـة عامـة في الـبر والبحـر...))[5]. وحلـف عـن السـلطان وريتشـارد امـراؤهم علـى اعتبـار ان الملـوك لا يحلفـون[6]، لـذلك لا نسـتبعد ان يكـون مجاهـد الـدين يـرنقش قائـد جـيش سـنجار، كـان أيضـا مـن الـذين حضـروا هـذا الصـلح التـاريخي وحلفـوا عليه.

وبعـدها توجـه السـلطان مـن القـدس الى دمشـق واعطـى لجيـوش اربـل والموصـل وسـنجار والحصـن اذنـا بـالعودة الى بلادهـا[7]، غـير انـه تـوفي في صـفر مـن سـنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م[8]، وبوفاتـه انتهـت مرحلـة مـن مراحـل الصـراع بـين الاسـلام والصليبية لتبدأ مرحلة أخرى.

---

(١) الاصفهاني: الفتح ٤٢٨.
(٢) نفسه: ص ص ٤٢٨-٤٢٩، ابن الأثير: الكامل ٨٣/١٢-٨٤، ابن خلدون: العبر ٣٢٩/٥.
(٣) الاصفهاني: الفتح ص٤٣١.
وعن موقع الرملة انظر: الخارطة المرفقة.
(٤) ابن شداد: النوادر ص ص ٣٣٢-٣٣٣.
(٥) الاصفهاني: الفتح ص٤٣٦.
(٦) ابن شداد: النوادر ص ص ٢٣٤-٢٣٥، ويوردها باختصار ابن كثير: البداية ٣٥٠/١٢.
(٧) أبو شامة: الروضتين ٢٠٤/٢.
(٨) ابن شداد: النوادر ص٢٤٦.

- دور سنجار في الحروب الصليبية بعد وفاة الناصر صلاح الدين

خضعت سنجار للملك العادل سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣ كما تقدم، واشترك جيش سنجار مع غيرها سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م في محاربة الصليبيين وازاحتهم من بعض الاماكن[١]، وكذلك الحال في السنة التالية[٢].

وبالاضافة الى ما تقدم فان دور سنجار في الحروب الصليبية لم يكن مقتصرا على المشاركة العسكرية البحتة، وانما كان لها أيضا حضور ادبي الى جانب المشاركة في القتال ومن الشعراء السنجارين الذين حضروا الى جبهات القتال، وتغنوا بالانتصارات ومدحوا الابطال ابن الهائم السنجاري الذي رافق عماد الدين زنكي الى الشام سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م[٣].

ومن الذين تغنوا بانتصارات المسلمين على الصليبيين أيضا بهاء الدين اسعد بن يحيى السنجاري[٤]، الذي مدح الملك المنصور حاكم حماه عندما تمكن من هزيمة الصليبيين في بعرين[٥] سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م بقصيدة منها:

ما لذة العيش الا صوت معمعة ... ينال فيها المنى بالبيض والاسل
يا ايها الملك المنصور نصح فتى ... لم يلوه عن وفاء كثرة العذل
اعزم ولا تترك الدنيا بغير ملك ... وجد فالملك محتاج الى رجل[٦]

---

(١) الحموي: التاريخ ص ص ٢٥٩-٢٦٠، ابن واصل: مفرج ١٧٣/٣، قينقلها عنه ابن الفرات: تاريخ م٥ ج١ ص ص ٤٩-٥١.
(٢) ابن الأثير: الكامل ٢٧٣/١٢-٢٧٤، ابن خلدون: العبر ٣٤١/٥.
(٣) الاصفهاني: الفتح ص١٢٧.
(٤) انظر ترجمته في ابن خلكان: وفيات ١٩٣/١-١٩٥.
(٥) عن موقع بعرين انظر: الخارطة المرفقة.
(٦) أبو الفدا: المختصر ١٠٣/٣.

الباب الثاني/ النشاط الحضاري

الفصل الأول/ الحياة الاقتصادية
الفصل الثاني/ الحياة الاجتماعية
الفصل الثالث/ الحياة الادارية
الفصل الرابع/ الحياة الفكرية
الفصل الخامس/ فن العمارة وخطط المدينة

الفصل الأول
الحياة الاقتصادية

- الزراعة

اشتهرت سنجار بالزراعة منذ فترة مبكرة لامتلاكها جميع مقومات اللازمة للزراعة الناجحة فتربتها تمتاز بخصوبتها[١]، بل هي من اخصب الترب[٢]، في العراق[٣].

وعرف سنجار بكثرة مواردها المائية وتنوعها، حيث كان يجرى فيها نهران احدهما يسمى بنهر دار العين، والاخر ينبع من عين في داخلها غزيرة المياه يعرف بعين الاحتات[٤]، وكذلك من المرتفعات المحيطة بها[٥]، ويعتمد عليه السكان في الشرب لعذوبته[٦]، ويجرى هذا النهر ليصب في الثرثار[٧]، وكان يجرى في جهات سنجار نهرا اخر سماه سهراب بنهر الثرثار[٨]، حيث كانت السفن تسير فيه بين سنجار والحضر قبل الميلاد[٩] وكانت هناك الجداول الكثيرة التي تنحدر اليها من جبل سنجار في موسم الامطار الا أنها جميعا تنتهي في الاراضي الجبسية المالحة من غير ان تكمل جريانها الى دجلة أو الفرات[١٠]، وتكون أحيانا من الكثرة والغزارة بحيث أنها تشكل سيولا ذات اثار سيئة كما حدث في سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م عندما غرقت سنجار[١١].

---

(١) ابن حوقل: صورة ص١٩٩.
(٢) أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد: الجغرافيا ص١٥٧.
(٣) عبد اللطيف: تاريخ ص١
(٤) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٦.
(٥) بدج: رحلات ١١٢/٢، الحسني: موجز ص١٦٧.
(٦) المقدسي: التقاسيم ص١٤٠.
(٧) ابن سعيد: الجغرافيا ص١٥٧، شيخ الربوة: نخبة ص١٩١، بدج: رحلات ١١٢/٢.
(٨) عجائب الاقاليم السبعة إلى نهاية العمارة ص١٢٦، بدج: رحلات ١١٢/٢.
(٩) سوسة: فياضانات بغداد في التاريخ ٧٠٢/٣.
(١٠): DR. Max Freiherrn von oppenheim: Vom Mittelmeer Zum Persischen Goif Durch Den Havrn, P٢.
(١١) ابن الأثير: الباهر ص٢٠، القلقشندي: صبح ٤٥٦/١-٤٥٧.

وتوجد في سنجار أيضا العيون الكثيرة[1]، والكهاريز[2] التي جددها الاتابكة واسالوا المياه في قنواتها[3] حتى ان سنجار كانت تأخذ الكثير من احتياجاتها من مياه هذه القنوات[4]، وفيها حاليا اكثر من اربعة عيون غزيرة المياه دائمة الجريان.

اضافة الى الموارد المائية التي سبق ذكرها، كانت سنجار تعتمد على مياه الامطار الى درجة كبيرة في الكثير من زراعتها، والتي كانت تتفاوت في مقاديرها من سنة الى أخرى، وما يترتب على ذلك من تفاوت في مساحة الاراضي المزروعة[5]، الا ان ابناء سنجار لم يقفوا مكتوفي الايدي امام الصعوبات الطبيعية، بل عمدوا الى الري الصناعي[6] وايصال المياه بالقنوات الى جهات بعيدة وتحويلها الى اراضي زراعية[7].

وبسبب هذا النشاط الزراعي المتطور اشتهرت سنجار برخائها الاقتصادي وكثرة خيراتها وغناها الزراعي حتى نسجت القصص الخرافية حول ذلك وامتزجت الاسطورة بالحقيقة[8]، كما شبهت بمدينة دمشق[1]، وعرف عنها

---

(١) ابن حوقل: صورة ص١٩٩، الاصفهاني: البرق ١٨/٥– أ، ابن شاهنشاه: مضمار ص١١٠، المقدسي: التقاسيم ص١٤٠، أبو عبدالله محمد بن ابراهيم ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص٢٣٧.

(٢) ((والكهريز عبارة عن نفق يشق على شكل قناة تحت الأرض لسحب المياه الجوفية التي تنبع من سلسلة العيون هنالك واسالت بعد تجمعها إلى الاراضي الزراعية سيحا. والعادة المتبعة هي أن تحفر آبار من سطح الأرض لتتصل بالنفق على مساحات معينة على طول النفق لرفع اتربة المجرى بواسطتها ثم تستعمل هذه الآبار كنوافذ هوائية إلى النفق كما تستعمل أيضا للنزول منها إلى النفق اذا ما اقتضى نزحه أو تنظيفه من الراسبات والعوائق التي قد تحول دون جريان المياه. اما الاراضي الجبلية المتموجة التي ترتفع وتنخفض طورا، فيسير المجرى فيها على شكل نفق تحت الأرض في الاقسام المرتفعة من الاراضي ثم يظهر على سطح الأرض على شكل جدول مكشوف في الاراضي المنخفضة)) العاني: موسوعة ٩٧/١.

(٣) عبداللطيف: تاريخ ص٦.

(٤) أبو الفدا: تقويم البلدان ص٢٨٣، القلقشندي: صبح ٣٢٢/٤.

(٥) جعفر حسين خصباك: احوال العراق الاقتصادية في عهد الايلخانين المغول ٦٥٦–٧٣٧هـ/ ١٢٥٨–١٣٣٦م مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد الرابع، ١٩٦١، ص١٢٢، وعن تذبذب كميات الامطار في سنجار والجزيرة عامة انظر: ابن الأثير: الكامل ٤٥١/١١–٤٥٢، ٤٢٤/١٢، ٤٤٧، ٤٦٧، ٤٧٣، ٥٠٤، الغساني: العسجد ٤٠٠/٢.

(٦) بلنسر: مادة سنجار دائرة المعارف الاسلامية ٢٤٥/١٢.

(٧) عبد اللطيف: تاريخ ص٦.

(٨) القزويني: آثار ص٣٩٣.

الـرخص لكثـرة حاصـلاتها الصـيفية والشـتوية[٢]، واهـم منتوجاتهـا مـن الحبـوب القمـح[٣] والـذرة[٤] والسمسـم[٥]، والسـماق[٦]، امـا فواكهها فكانـت كـثيرة ومتنوعـة وامتـازت بجودتهـا واهمهـا الزيتـون[٧] و ((الجـوز واللـوز اللـذان يكسـران بصـحن الكـف))[٨] وذلـك لجودتهمـا مـن حيـث رقـة قشـورهما، والاتـرنج والنـارنج[٩] وكـذلك الـتين والعنـب اللـذان عرفـا بجودتهمـا[١٠] والرمـان الـذي كـان يجفـف حبـه[١١]، كمـا اشـار البلـدانيون الى وجـود النخيـل في سـنجار[١٢]، مـع انعـدام وجودهـا في الوقـت الحاضـر، وربمـا يعـود ذلـك الى تبـدلات مناخيـة حـدثت في المنطقـة في ((نهايـة القـرن الثالـث عشـر وبدايـة القـرن الرابـع عشـر ادى الى القضـاء علـى اشـجار النخيـل في تلـك المنـاطق))[١٣]، اضـافة الى الحبـوب والفواكـه عرفـت سـنجار زراعـة الخضـروات المختلفـة، وكـذلك قصـب السـكر[١٤] الـذي كـان يسـتفاد منـه في صـناعة السـكر ومما يـدخل في نطـاق الزراعـة أيضـا، العسـل الـذي عرفـت سـنجار بانتاجـه وكـان مـن النـوع الابيض[١٥] المعروف بجودته.

---

(١) ابن بطوطة: رحلة ص٢٣٧، القزويني: آثار ص٣٩٣.
(٢) ابن حوقل: صورة ص١٩٩.
(٣) محمد بن يحيى: قلائد الجزاهر ص٩٦.
(٤) ئەوليا جەلەبى: سياحەتنامه ٧٩/١.
(٥) ابن حوقل: صورة ص١٩٩.
(٦) ابن حوقل: صورة ص٩٩، المقدسي: التقاسيم ص١٤٥، حمدالله بن ابي بكر بن محمد مستوفي قزوين: نزهة القلوب ص١٢٤.
(٧) ابـن حوقـل: صـورة ص١٩٩، حمـدالله المسـتوفي: نزهـة ص١٢٤، الـذهبي: دول ٣٨/٢، القلقشندي: صبح ٤٥٧/١.
(٨) ابن سـعيد: الجغرافيـا ص١٥٧، ويشـير ابـن حوقـل أيضـا إلى زراعتيهمـا في سـنجار: صـورة ص١٩٩.
(٩) الاصفهاني: البرق ١٨/٨ – أ، ياقوت: معجم ٢٦٢/٣، القزويني: آثار ص٣٩٣.
(١٠) حمدالله المستوفي: نزهة ص١٢٤.
(١١) ابن سعيد: الجغرافيا ص١٥٧.
(١٢) الاصـطخري: المسـالك ص٧٣، ابـن حوقـل: صـورة ص١٩٩، يـاقوت: معجـم ٢٦٢/٣، القزويني: آثار ص٣٩٣، المقدسي: التقاسيم ص١٤٠.
(١٣) العاني: موسوعة ٦٤/١.
(١٤) المقدسي: التقاسيم ص١٤٥.
(١٥) الشريشي: شرح ١٣٦/١، ئەوليا جەلەبى: سياحەتنامه ٧٩/١.

ان التوسع الزراعي في سنجار لم يقتصر على مركزها فقط، وانما امتد الى خارج اسوارها وعلى مساحات واسعة[١]، حيث شمل النواحي المحيطة بها مثل كرسي[٢]، والتي اشتهرت فيها البساتين[٣] وجدال[٤] والحيال[٥] التي اشتهرت بزراعة الكروم[٦].

ومن الأمور الاخرى التي تتعلق بالزراعة الطواحين التي كانت تستخدم لطحن الحبوب، وتدار بقوة المياه، وان اغفال المصادر عنها لا يعني عدم وجودها[٧].

اما فيما يتعلق بالثروة الحيوانية، فيمكن القول ان سنجار امتلكت كل الظروف التي تجعل لها ثروة حيوانية تسهم بقسط وافر في دخلها، من تربة خصبة ومياه وفيرة ومناخ معتدل، ساهمت جميعا في نمو الحشائش والاحراش التي ترعى فيها، الاغنام[٨] والابقار[٩] والخيول[١٠] وغير ذلك من المواشي[١].

---

(١) الاصفهاني: البرق ١٨/٥ – أ.

(٢) كرسي: مركز سياحي في الوقت الحاضر ومشهور بزراعة التبغ ضمن ناحية الشمال (سنونىٓ) التابعة لقضاء سنجار.

(٣) ابن الشعار: عقود ٩٨/٣ – ب.

(٤) وجدال: ((قرية كبيرة عامرة على تل عال.... بينها وبين الموصل مرحلتان)) ياقوت: معجم ١١٢/٢.

(٥) الحيال: واد بين شمال سنجار وغربيها، كان مشهورا بخصوبتها وغناها الزراعي. ابن حوقل: صورة ص١٩٩.

(٦) نفسه: ص١٩٩.

(٧) واثناء زيارتي لسنجار والتجول بين اطلال المدينة القديمة، وقفت في محلة بربوش (والتي تعني باللغة الكردية المواجه للشمس) عند باب السور الروماني المطل على الشارع العام الذي يتوسط المدينة، حيث يجري تحتها عين من الماء، وقد بين لي بعض سكانها أن الجهة الواقعة خلف السور أي تلك التي كنت واقفا عليها، قد انهارت سنة ١٩٨٣م وظهرت تحت السور المهدوم آثار اكد المعمرون أنها تعود لطواحين كانت تدار بقوة المياه، مع انه لم يتم تحديد تاريخها وعلى الرغم من ذلك هناك اكثر من سبب يحملنا على الاعتقاد بان سنجار عرفت هذه الطواحين ولاسيما خلال فترة البحث التي وصلت فيها إلى اوج ازدهارها، منها كثرة الموارد المائية في سنجار كما تقدم، والتي تعتبر القوة المحركة لها، وان هذه الطواحين كانت ضرورية للحياة اليومية، ولا تحتاج اقامتها إلى تقنية متطورة ربما يقول قائل أنها كانت غير موجودة في سنجار، حيث عرفتها الموصل وبلد، ابن حوقل: صورة ص١٩٨، وحلب، ابن الأثير: الباهر ص٣٨.

(٨) الاصفهاني: البرق ٢٨/٥ – ب.

(٩) التادفي: قلائد ص٩٦.

(١٠) الاصفهاني: الفتح ص١٢٧.

وعلى الرغم من توفر جميع المقومات اللازمة للزراعة الناجحة في سنجار، الا ان هناك عوامل اثرت فيها سلبيا، ويمكن اجمالها في العاملين البشري والطبيعي.

فالعامل البشري يتمثل في فترات الفوضى وعدم الاستقرار السياسي التي مرت بها سنجار، ففي سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م على سبيل المثال كانت سنجار مسرحا للقتال الذي دار بين البساسيري وحلفائه من جهة، وبين حاكم الموصل قريش بن بدران العقيلي وقتلمش ابن عم السلطان السلجوقي طغرل بك، وانضم أهل سنجار الى البساسيري الذي تمكن من الانتصار، مما عرض سنجار لنقمة السلاجقة، حيث سار اليها السلطان طغرل بك من بغداد في نفس السنة ودخلها عنوة ثم قتل اميرها وكثيرا من أهلها وسبى نساءهم وخربت المدينة[٢].

كما ان السلطان صلاح الدين عندما حاصر سنجار واستولى عليها سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م عجز عن السيطرة على جنوده[٣] وخاصة اذا علمنا انه كان معه بعض حكام الاقاليم الذين دخلوا في طاعته وجنودهم مثل حاكم ماردين وعسكره ((الذي يستحلي الحرام ويستحله... فقطعوا اشجارا... وخربوا عمرانا فكم غصن نارنج للنارنجي وكم شجرة اترج عليها بالاجتثاث))[٤]، فهذا يعكس طبيعة الضرر الذي لحق بالزراعة في سنجار خاصة اذا علمنا ان الشجرة تحتاج من زراعتها الى وقت جني ثمارها ما لا يقل عن ثلاث سنوات.

كما ان الملك العادل الذي حاصر سنجار سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م أمر ان يقطع ما على البلد من الاشجار[٥].

واثر على النشاط الزراعي في سنجار أيضا وصول المغول الذين تفاقم امرهم واستفحل شرهم في الموصل وجهات أخرى من ديار الجزيرة، حيث اصبحت سنجار ونواحيها ضمن الاراضي التي كانت تحرق ((ومن تمام المحروقات... اعالي

---

(١) ابن حوقل: صورة ص١٩٦.
(٢) ابن الأثير: الكامل ٩/٦٢٥، ٦٢٧-٦٢٨، ٦٣٠-٦٣١.
(٣) رنسيمان: تاريخ ٢/٧٠١.
(٤) الاصفهاني: البرق ٥/١٨ – أ.
(٥) ابن واصل: مفرج ٣/١٩٣، الحموي: التاريخ ص٢٦٥.

جبل سنجار وكل ما يقدر عليه في تلك النواحي))[1]، لان المغول كانوا لا يتكلفون بحمل علوفات دوابهم وانما يعتمدون في ذلك على ما تنتجه الأرض فاذا كانت الأرض خصبة معطاء سلكوها، واذا كانت قفراء مجدبة تجنبوها، لذلك عمد المماليك الى اتباع سياسة الأرض المحروقة مع تلك الجهات الخصبة لشل حركة المغول، وكان يتم ذلك بواسطة نيران موثوقة في اذناب الثعالب والكلاب والتي تطلق في يوم يكون ريحه عاصفا بعد ان يتم تجويع الكلاب التي تطلق في اثر الثعالب وبذلك يتم حرق ما تمر به، هذا اضافة لما كان يقوم به الرجال من القاء النيران بايديهم في الليالي المظلمة، لان هذه الأرض كانت ((مجال خيلهم وقرارة سيلهم))[2].

ولقد حمل وصول المغول الى سنجار اكثر من مرة وما كانوا يقومون به من أعمال القتل والنهب والتخريب[3] الكثير من الفلاحين الى ترك قراهم والالتجاء الى سنجار وغيرها من المدن المحصنة لحماية انفسهم، مما ادى الى خراب الريف وتدهور الزراعة لفقدان الايدي العاملة الضرورية للقيام بالاعمال الزراعية.

اما عن بيان اثر العامل الطبيعي على الزراعة في سنجار فسوف نشير اليه ضمن اقليم الجزيرة، وذلك لوحدة سنجار معه جغرافيا ومناخيا، ويتمثل ذلك في تذبذب كميات الامطار الساقطة من سنة الى أخرى[4]، وما يترتب على ذلك من اتساع رقعة الاراضي الزراعية أو ضيقها، مسببة بذلك الغلاء في تلك البلاد[5]، وكان يرافق الغلاء أحيانا الوباء وموت الناس باعداد كبيرة[6]، مسببا هو الاخر نقصا كبيرا في الايدي العاملة الزراعية.

ولقد كان ظهور الجراد في المنطقة بين الحين والحين وباعداد كبيرة من اسباب تعثر النشاط الزراعي في سنجار[7].

---

(١) العمري: التعريف ص٢٠٣.
(٢) العمري: التعريف ص ص ٢٠١-٢٠٣، وينقلها عنه القلقشندي: صبح ١٤/٤٠١-٤٠٢.
(٣) انظر: ص ص ٧١-٧٢.
(٤) ابن الأثير: الكامل ١١/٤٥١، ١٢/٤٢٤، ٤٦٧، ٤٧٣، ٥٠٤.
(٥) نفسه: ١١/٤٥١، ١٢/٤٢٤، ٤٤٧، ابن كثير: البداية ١٣/١١٧، الغساني: العسجد ٢/٤١٣.
(٦) ابن الأثير: الكامل ١١/٤٥٢، ٤٤٨، الباهر ص١٧٩، الغساني: العسجد ٢/٤١٣.
(٧) ابن الأثير: الكامل ١٢/٤١٨، ٤٦٧، ابن واصل: مفرج ٤/١٣٣، الغساني: العسجد

- الصناعة

كانت الصناعة في سنجار متطوة باصنافها المختلفة قياسا على مستوى ذلك العصر، واهمها الصناعات النحاسية والبرونزية التي تطورت الى درجة كبيرة في دقتها واتقانها، ومما ساعد على ذلك وجود النحاس في الخابور وتشجيع الاتابكة للفن والصناعة[١]، حيث استخدام النحاس والبرونز في صناعة الاواني والادوات المنزلية التي كانت تزين بآيات قرآنية ونقوش وزخارف ورسوم حيوانية ونباتية[٢]، كما عرفت سنجار أيضا صناعة الاواني الفضية والزجاجية[٣]، وكذلك الصناعات الخشبية، وخاصة الاواني التي كانت تحفظ فيه المشروبات مثل عصير قصب السكر والعسل[٤].

وكان يستعان بالحجر أحيانا في صناعة الادوات المنزلية وتزخرف أيضا بنقوش وزخارف ورسوم آدمية[٥]، كما استخدم الفخار وبنوعيه العادي والمزجج في صناعة الاواني المنزلية، مثل الجرار[٦]، والجرار الكبيرة (حبب)[٧]، والاواني باحجام مختلفة[٨]، وكذلك تلك المصنوعة من الفخار المزجج الرقيق (سليدون)[٩]، اما الالوان التي كانت مستخدمة فيها فهو اللون البني الغامق والفاتح والازرق الغامق والفاتح والاسود والاصفر[١٠]، وكذلك الازرق ذو البريق المعدني[١١].

٣٩٥/٢، المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص٢١٤.
(١) م. س. ديماند: الفنون الاسلامية ص١٥١.
(٢) متحف الموصل: خزانة رقم (٣٧)، ٢٤٢– م م، ٥٠٦ م م، دليل متحف الموصل ص٤٥.
(٣) ناهدة عبد الفتاح النعيمي: مقامات الحريري ص١٨٠.
(٤) الشريشي: شرح ١٣٦/١.
(٥) متحف الموصل: الجناح الإسلامي خزانة (٤٠)، ١١٠٧٤ – م ع.
(٦) نفسه: خزانة (٤٠)، ٨٤٧– م م.
(٧) نفسه: خزانة (٤٠)، ٢٥٧– م م ، ٢٥٢– م م .
(٨) نفسه: خزانة (٤١)، ٤١٣– م م ، ٨٤٩– م م.
(٩) سجل معروضات متحف الموصل: ص ٩٦، انظر كذلك متحف الموصل: الجناح الإسلامي خزانة (٤٠)، ٤١٦– م م، ١٠٩٧– م م ق.
(١٠) انظر الهامش٦، ٧ اعلاه.
(١١) متحف الموصل: الجناح الإسلامي خزانة (٤٠)، ٤١٩– م م.

ومن الصناعات الاخرى التي عرفتها سنجار صناعة الادوات الزراعية[1]، اما صناعة النسيج فعلى الرغم من عدم وجود ما يخص سنجار على وجه التحديد، الا انه يمكن دراستها فيما يتعلق بهذه الصناعة ضمن اقليم الجزيرة، الذي شهد نهضة كبيرة في صناعة النسيج كسائر البلاد التي خضعت للسلاجقة[2]، والتي كانت متأثرة بالاساليب الاسلامية ((في استخدام الفروع النباتية والاشرطة عوضا عن الموضوعات الزخرفية الساسانية))[3]، كما خضعت للتأثيرات السلجوقية ذات الاصول الصينية في هذا المجال[4]، واشتهرت سنجار أيضا بصناعة الجفنات[5] الحمر اليدوية[6] والطرائف[7].

- التجارة والمواصلات

كانت لسنجار تجارة مزدهرة مع جهات عديدة، ويعود ذلك لموقعها الجغرافي الممتاز[8] وكذلك لسيطرتها على الطريق بين العراق والشام[9]، اما العامل الآخر الذي ساعد على ازدهار تجارتها، فهو وجود شبكة من طرق النقل والمواصلات التي كانت تربط سنجار بجهات عديدة، فالموصل التي تبعد عن سنجار مسيرة ثلاثة ايام[10]، كان فيها باب في الجانب الغربي من البلد يسمى بباب سنجار[11] وحتى الوقت الحاضر، يؤدي منها الى سنجار اكثر من طريق، ومن هذه الطرق:

---

(١) Elisseeff: Nür- din, ٣/٨٩٢-٨٩٣.

(٢) زكي محمد حسن: فنون الاسلام ص ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٣) زكي محمد حسن: الفنون الايرانية في العصر الإسلامي ص٢٤٨.

(٤) الهامش اعلاه.

(٥) هي في الحقيقة الجمدات وانما حرفت. جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطي: انباه النحاة. هامش رقم (١) ص٢٨٣. والجمدات: نوع من المنسوجات. الفيروز آبادي: القاموس ٥٢٥/١.

(٦) القفطي: انباه ص٢٨٣.

(٧) الصفدي: الوافي ١٥٠/٣، نكت الهميان في نكت العميان ص٢٥٤.

(٨) انظر ص ص ٣٠، ٤٥ من نفس البحث.

(٩) باقر وسفر: المرشد، الرحلة الثانية ص٦٣.

(١٠) ياقوت: معجم ٢٦٢/٣، سپاهى زاده: اوضح ص١٥١.

(١١) احمد بن الخياط الموصلي: ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء ص١١٢، سعيد الديوهجي: الموصل في العهد الاتابكي ص١٢٢.

طريق الموصل تلعفر ثم الى سنجار وعرابان[1] وقرقيسيا على الفرات[2]، والطريق الثاني من الموصل الى سنجار عبر بلد وهو طريق البريد الذي يتجه الفرع الايسر منه الى قرقيسيا عبر سنجار[3]، والمسافات فيه موزعة كالاتي: من الموصل الى بلد سبعة فراسخ[4]، ((ومن بلد الى تلعفر خمسة فراسخ، ثم الى سنجار سبعة فراسخ، ثم الى عين الجبال[5] خمسة فراسخ، ثم الى سكير العباس على الخابور تسعة فراسخ، ثم الى الفدين على الخابور خمسة فراسخ، ثم الى ماكسين على الخابور ستة فراسخ، ثم الى قرقيسيا وهي على الفرات والخابور سبعة فراسخ))[6].

والطريق الثالث يسير من الموصل الى سنجار عبر المحلبية[7] ومنها ((الى الشحاجية[8] مرحلة[9] ثم الى تلعفر مرحلة ثم الى سنجار مرحلة))[10] أي ان جميع الطرق المؤدية من الموصل الى سنجار تمر بتلعفر.

كما كان هناك طريق للتجارة والنقل بين بغداد والشام عبر سنجار[11]، اضافة الى الطرق العديدة التي تمر في سهل سنجار ومنها الطريق الذي يسير من دياربكر الى ماردين فمدينة نصيبين ويستمر الى الموصل بعد ان يمر في سهل سنجار[12].

---

(١) عن موقع عرابان انظر: الخارطة المرفقة.
(٢) احمد سوسة: العراق في الخوارط القديمة، خارطة رقم (٢٥).
(٣) لسترنج: بلدان ص ص ١٥٧-١٥٨.
(٤) الفرسخ: يساوي ستة كيلومترات. فالتر هنتس: المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ص٩٤.
(٥) هي الحيال وليس الجبال، ابن حوقل: صورة ص ص ١٩٦، ١٩٩.
(٦) أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله ابن خرداذبه: المسالك والممالك ص ص ٩٥-٩٦، أبو جعفر قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ص٢١٤.
(٧) المحلبية: بلدة صغيرة بين الموصل وسنجار.... ياقوت: معجم ٦٣/٥. وهي الان مركز ناحية تعرف بنفس الاسم.
(٨) الشحاجية: لم اعثر على تعريف لها ويبدو أنها موضع بين المحلبية وتلعفر.
(٩) والمرحلة هي مسيرة يوم.
(١٠) المقدسي: التقاسيم ص ص ١٤٨-١٤٩.
(١١) الشريشي: شرح ١٠٤/١-١٠٥.
(١٢) بكنغهام: رحلتي ٦/١.

ومن الطرق الرئيسية الاخرى طريق سنجار نصيبين ومقدار المسافة بينهما تسعة فراسخ[١]، أو مسير خمسة ايام[٢]، وكان الباب الذي يؤدي الى هذا الطريق في نصيبين يعرف بباب سنجار[٣]، وطريق آخر يصل بين سنجار وماكسين طوله اثنان وعشرون فرسخا[٤].

وكان هناك طريق بين سنجار وتكريت ويعرف في الأخيرة بدرب سنجار[٥]، ومن الطرق المهمة الاخرى طريق الملح الذي يسير من سنجار الى عانة ومنها الى الممالح في عين بوار لجلب الملح المعروف بالبواري[٦]، وكان هذا الطريق أحيانا محفوفا بالمخاطر[٧].

وبسبب هذه الشبكة الواسعة من طرق المواصلات التي تعتبر شرايين الحياة، ازدهرت حركة التجارة والنقل بين سنجار واطراف عديدة، حيث كان يؤمها التجار من حران وديار بكر وحلب[٨] وبغداد[٩]، وبلاد أخرى، كما كانت لها تجارة نشطة مع الشام والموصل[١٠].

وبالنظر لنشاط حركة التجارة والنقل، تطلب الحاجة إلى وجود محطات لاستراحة القوافل وخزن البضائع[١١]، لذلك ظهرت الخانات، وكانت هناك واحدة منها في قرية جدال الواقعة على الطريق بين الموصل وسنجار وعلى مقربة من الأخيرة[١٢].

وظهور هذه الخانات كانت مظهرا من مظاهر الاهتمام بالتجارة وطرق المواصلات، وقد اخذ بنظر الاعتبار في بنائها ((المسافات ... فكانت المسافة بين

---

(١) شرف الدين ابي البركات المبارك بن احمد الاربلي: تاريخ اربل المسمى (بنباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل) ١٦١/٢.
(٢) ابن حوقل: صورة ص١٩٠.
(٣) أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي: الديارات ص١٢١.
(٤) أبو الفدا: تقويم ص٢٨٣.
(٥) ابن الفوطي: الحوادث ص١٥٥، الغساني: العسجد ٥٠٦/٢.
(٦) ابن خلكان: وفيات ٢٥٤/٦، النعيمي: الدارس ٢١٣/٢.
(٧) أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٨٧/٨.
(٨) أبو الحسين محمد بن احمد بن جبير: رحلة ابن جبير ص ص ٢١٨-٢١٩.
(٩) القفطي: انباه ٢٨٢/٢٥.
(١٠) الدواداري: كنز ٢٧١/٨-٢٧٢.
(١١) ارنست كونل: الفن الإسلامي ص ص ٧٢-٧٣.
(١٢) ياقوت: معجم ١١٢/٢، ويشير ابن جبير إلى احد الخانات التي اقام فيها خارج سنجار، ولا نعلم ما اذا كانت هي تلك التي في جدال ام غيرها: رحلة ص٢١٩.

كل محطة واخرى تبلغ تسع ساعات على ظهور الجمال أو ما يعادل ثمانية عشر ميلا، وهي المسافة التي يستطيع قطعها الجمل في النهار الواحد، فكانت القافلة تبدأ سيرها في الصباح الباكر وتصل المحطة التالية مساء))[1]، اما عن خان سنجار على وجه التحديد فلم يبق منه الا مدخله[2] وبعض الاثار التي تدل على انه كان مشيدا فوق قاعدة مربعة ومزودا بابراج للدفاع وحجرات مقبوة[3]، كانت تدور حول الصحن ويستخدم لخزن البضائع[4]، ومع ذلك فاننا سوف نحاول القاء الضوء عليها من خلال بعض الخانات التي اقامها السلاجقة في آسيا الصغرى والتي لا تزال معالمها شاخصة الى الوقت الحاضر، فبالنسبة لتلك التي شيدت على الطرق الخارجية كانت الاقامة فيها مجانا، كما أنها كانت محصنة وذات ابراج للدفاع ومزينة بنقوش وزخارف، اما في الداخل فانها صممت بشكل يحقق معها راحة المسافر، حيث كانت مزودة بالمياه وغرف الراحة، وكانت فيها حمام ومقهى ومحلات لاصلاح احتياجات القافلة لادامتها[5].

ومن العوامل الاخرى التي شجعت التجارة مع سنجار اهتمام الحكام بها مثل قطب الدين محمد الذي كان ((حسن المعاملة مع التجار كثير الاحسان اليهم))[6]، ورغم نشاط حركة التجارة بسبب الدعم والتسهيلات التي كانت تقدم للتجارة، الا ان المرحلة الزمنية موضوع الدراسة، لم تخل من معوقات اثرت على حركتها، وتتمثل هذه في الاضطراب السياسي بسبب كثرة الحروب والاضطرابات التي كان الصليبيون يثيرونها، بحيث ادت الى شل حركة التجارة مع الجهات التي كانت تصلها غاراتهم[7].

ومما تجدر الاشارة اليه أيضا ان المنطقة لم تسلم من غارات الخوارزمية الذين فروا من امام المغول مما ادى الى انقطاع حركة التجارة وارتفاع الاسعار[8]،

---

(١) تامارا تالبوت رايس: السلاجقة تاريخهن وحضارتهم ص ص ١٢١-١٢٢.
(٢) عنها انظر ص ص ٢٠١- ٢٠٢ من البحث.
(٣) كونل: الفن ص٧٢.
(٤) الالفي: الفن ص٢٠٨.
(٥) رايس: السلاجقة ص ص ١٢١-١٢٢.
(٦) ابن الأثير: الكامل ٣٥٥/١٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٩٣، الغساني: العسجد ٣٦٦/٢.
(٧) ابن الأثير: الباهر ص ص ٣٢-٣٣، وينقلها عنه أبو شامة: الروضتين ٣٠/١، ٣٢.
(٨) الذهبي: تاريخ ق٢ ص٣٤٢، الدويهي: تاريخ ص١٣٥.

وازدادت الأمور سوءا بوصول المغول الى هذه الجهات والايقاع بالقوافل[1]، مما حمل التجار على الامتناع عن المجازفة وقصد هذه الجهات، كما ان سقوط بغداد على ايديهم سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ادى في اغلب الظن الى انقطاع حركة التجارة معها مباشرة.

ومن العوامل الاخرى التي اثرت أيضا على حركة التجارة والنقل كثرة الفتن والاضطرابات التي كانت تحدث في جهات مختلفة من البلاد مما ادت الى فقدان الامن وانقطاع الطرق، كما حدث في سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م حيث كثر ((الخلف بديار بكر والجزيرة بين الاكراد والتركمان وبين الافرنج والروم وبين الاسماعيلية والثنوية))[2]، اضافة الى ما كانت تقوم به القبائل البدوية العربية والكردية من قطع الطرق بين الحين والحين[3].

ويمكن اضافة سبب آخر كان له تأثير سلبي على النشاط التجاري، وهي الضرائب الكثيرة التي كانت تسبب ارهاقا لدافعيها[4]، واهمها المكوس[5] التي فرضت على سنجار[6] اكثر من مرة، والمظالم[7] وكذلك العشور[8].

ومن الأمور الاخرى التي يمكن ملاحظتها عن طبيعة التعامل التجاري في سنجار، وجود ظاهرة التعامل بالرهن مثل رهن الاراضي، والاستزادة في الرهن أي (الربا) اذا تجاوزت المدة[9]، ومن الظواهر المالية الاخرى التي عرفتها سنجار

---

(١) سبط: مرآة ج٨ق٢ ص٧٨٧، الغساني: العسجد ٢/٤٤٥، ابن ابي عذيبة: مختصر ورقة ١٤٥.
(٢) الذهبي: تاريخ ق١ ص٧.
(٣) خصباك: احوال، نفس الدورية والعدد ص١٢٨.
(٤) محمد زغلول سلام: الادب في العصر الايوبي ص٥٩.
(٥) المكس: وهو ((دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الاسواق)) المقريزي: الخطط ٣/١٩٧.
(٦) ابن الأثير: الباهر ص١٥٤، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٧٦، ابن ابي الدم: التاريخ ص٥٠٢، مجهول: مخطوط في الدولة الايوبية وغيرها ورقة ٨– ب، ابن ابي عذيبة: مختصر ورقة ١٢٧.
(٧) المظالم: هي اموال مقطوعة تدفع عن المدن:
Elisseeff: Nür – ad- din, ٣/٨٠٤.
(٨) ابن الأثير: الباهر ص١٥٤، ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٧٦، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج١ ص١١٣.
والعشور كانت ضريبة تؤخذ من التجار غير المسلمين الذين يفدون إلى الديار الاسلامية. القلقشندي: صبح ٣/٤٥٩.
(٩) ابن الأثير: رسائل ص١٤٠.

أيضا المصادرة[1] حيث تشير الروايات الى قيام قطب الدين محمد بسجن الأمير احمد بن يرنقش والاستيلاء على جميع امواله[2].

اما صادرات سنجار وواردتها فليس هناك سوى اشارات محدودة عنها، وعموما يمكن القول ان صادراتها كانت من فائض منتوجاتها الزراعية، مثل حب الرمان المجفف الذي كان يصدر منه الى اغلب نواحي العراق[3]، وكذلك عسلها الابيض[4] الذي عرف بجودته، والسكر المستخرج من القصب الذي كان يزرع في سنجار[5]، وكذلك السمسم[6] والزيتون[7] الذين كانا يصدران بهيئتهما المعروفة أو بعد تصنيعها على شكل زيوت، ولما كانت سنجار تقع على نهاية الحد المناخي لزراعة النخيل[8]، فانها كانت المركز الأول لانتاجه وتصدير الفائض منها الى الأطراف، ومن صادراتها أيضا، الطرائف[9]، التي اشتهرت بها سنجار، وكذلك صناعتها النحاسية والبرونزية التي عرفت بالدقة والاتقان[10].

اما وارداتها فكانت الملح بالدرجة الأولى[11]، وقبل انهاء الحديث عن التجارة لابد الاشارة الى المكاييل والموازين التي كانت مستخدمة في سنجار وهي ((المد والمكوك والقفيز والكارة فالمكوك خمسة عشر رطلا والمد ربعه، والكارة مائتان واربعون رطلا والقفيز ربعها والمكوك ربع القفيز وارطالهم بغدادية وفرقهم بغدادي ستة وثلاثون رطلا))[12]، اما وحدات المساحة التي كانت مستخدمة في

---

(١) المصادرة: ويعني المطالبة بالاموال. ويقال ((صودر فلان العامل على مال يؤديه أي قورف على مال ضمنه)) الزبيدي: تاج ٣٢٩/٣.

(٢) أبو البركات كمال الدين المبارك بن ابي بكر ابن الشعار: عقود الجمان في شعراء هذا الزمان ١٤٦/١ – ب، الذهبي: تاريخ ق٢ ص٣٩٤.

(٣) ابن حوقل: صورة ص١٩٩.

(٤) الشريشي: شرح ١٣٦/١، ئةوليا جةلةبي: سياحةتنامة ٧٩/١.

(٥) المقدسي: التقاسيم ص١٤٥.

(٦) ابن حوقل: صورة ص١٩٩.

(٧) نفسه: ص١٩٩، حمدالله المستوفي: نزهة ص ص ١٢٣–١٢٤، الذهبي: دول ٣٨/٢.

(٨) الاصطخري: مسالك ص٧٣، ابن حوقل: صورة ص١٩٩.

(٩) الصفدي: الوافي ١٥٠/٣.

(١٠) متحف الموصل: الجناح الإسلامي خزانة (٣٧)، ٢٤٢– م م، ٥٠٦ م م، دليل متحف الموصل ص٤٥.

(١١) ابن خلكان: وفيات ٢٥٤/٦، النعيمي: الدارس ٢١٣/٢.

(١٢) المقدسي: التقاسيم ص١٤٦. والرطل = ٦/٥ كغم. هنتس: المكاييل ص١٦.

سنجار فهو الجريب[١].

- العملة

للعملة اهمية كبيرة في حياة أي بلد لانها واحدة من الركائز الاقتصادية، حيث تمنح التعامل سيولة وتقوم البضائع والحاجات والخدمات على ضوئها، كما أنها تعتبر مصدرا للدراسة التاريخية، وتعكس حقيقة الناحية الفنية التي توصل اليها المجتمع[٢]، من خلال ما هو موجود عليها.

وعند دراسة عملة اتابكية سنجار يتبين لنا وجود خاصية مشتركة لجميع عهودها، وهي المادة النجاسية التي سكت منها العملة، وهناك اكثر من تفسير لذلك.

فيرى عباس العزاوي ان هذه النقود لم تكن لها ((قدرة التعامل الخارجي فهي محلية ولا تتجاوز محل ضربها في التعامل بها))[٣]، وانها كانت نقود ((مساعدة الى جانب النقود الرئيسية من الذهب والفضة))[٤].

غير ان هناك اكثر من تحفظ ازاء هذا الرأي، ذلك انه لم يعثر لحد الان على قطعة نقدية ذهبية واحدة من اتابكية سنجار لاعتبارها العملة الرئيسية واعتبار النحاسية ثانوية الى جانبها، وان العملة النحاسية اذا كانت عملة محلية فبم كانت تتعامل سنجار مع الأطراف الاخرى والجهات البعيدة التي سبق ذكره، وعلى ضوء ذلك يمكن القول ان كون عملة سنجار نحاسية يعود لافتقارها الى الكميات الكافية من الذهب لسك العملة، خاصة اذا علمنا ان نور الدين محمود عندما استولى على سنجار سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م اخذ معه الى حلب جميع ما في خزائن سنجار من الأموال والذهب البالغ حمله ((ستة وتسعين بغلا))[٥]، والى توفر النحاس في جهات الخابور[٦]، والتي كانت تابعة لسنجار.

لذلك يمكن القول ان العملة النحاسية كانت هي العملة الرئيسية في سنجار،

---

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٤٧، أبو شامة: الروضتين ١/١٨٦– ١٨٧، ياقوت: معجم ٣/٢٦٢.
(٢) عن اهمية النقود بصورة مختصرة انظر: محمود وصفي محمد: دراسات في الفنون والعمارة العربية الاسلامية ص١١٢.
(٣) تاريخ النقود العراقية ص١٩٥.
(٤) الحسيني: العملة ص٩١.
(٥) ابن الأثير: الباهر ص٩٨.
(٦) ديماند: الفنون ص١٥١.

وان قيمتها الشرائية كانت في ضمانتها وليس في معدنها، ويؤيد الحسيني هذا الرأي عندما يشير الى ان الاهتمام بالعملة النحاسية كان يوازي الاهتمام بالعملة الذهبية والعملة الفضية وان بعض الدول كانت ((تتبع نظام المعدن الواحد بان تجعل عملتها الرئيسية دنانير ذهبا أو دراهم فضية أو فلوسا نحاسيا، وكانت بعضها تتبع نظام المعدنين،... وفي عصر المماليك في مصر أيضا اتبع نظام المعدن الواحد النحاس، فلم يعترف بالدنانير الذهب ولا بالدراهم الفضية عملة رئيسية، فكانت الفلوس النحاسية هي النقد الرئيسي الذي تقوم به اسعار البضائع والحاجيات المعاشية وكانت مرتبات الموظفين واجور العمال تحدد وتحسب بالنقد النحاسي أي الفلوس))[1]، كما تعاملت سنجار بالدنانير الذهبية المضروبة في جهات أخرى أحيانا للضرورات التجارية[2].

اما التصوير على العملة الاتابكية النحاسية فربما كان تقليدا للعملة الرومانية البيزنطية[3]، لكي تكتسب هذه العملة رواجا في ممتلكاتها، وتسهل التعامل التجاري معها، وربما يعود ذلك أيضا الى استخدام الاتابكة لفنانين اجانب في النقش على العملة ومما يؤيد هذا الرأي عدم اتقان هؤلاء اللغة العربية وقواعد الخط العربي، أي انه لم تكن هناك قاعدة ثابتة في النقش على العملة النحاسية[4].

وبالنسبة لعملة عماد الدين زنكي بن مودود ٥٦٦- ٥٩٤هـ/ ١١٧٠ – ١١٩٧م اول اتابكة سنجار يمكن تمييز نوعين منها بصورة عامة، الأول خال من التصوير وعليه كتابة على الوجه والظهر[5]، والثاني على احد وجهيه صورة النسر ذو الرأسين كما واضح في الصورة رقم (١)، وعلى الوجه الآخر اسم الخليفة الناصر

---

(١) دراسة تحليلية للمسكوكات النحاسية المضروبة في عهد اتابكة سنجار، مجلة الاقلام، ج٩ ص٤٨.

(٢) القفطي: انباه ٢٨١/٢.

(٣) العزاوي: تاريخ ص١٩٤.

(٤) الحسيني: العملة ص ص ١٠٦، ١٣١، ١٣٣، ١٩٩-٢٠٠.

(٥) Lane- Poole: The coins of the Tokuman hauses (Seljook, Urtuk, Zengce), Classes X- XIV PP.٢١٦-٢١٨.

اسماعيل غالب: مسكوكات اسلامية قسمندن/ مسكوكات تركمانية قتالوغي ص١٢٢، الحسيني: العملة ص ٨٦.

لـدين الله واسـم عمـاد الـدين ومكـان وسـنة الضـرب وتزينـه العلامـة {}{}[1]، الـتي نجهـل حقيقـة امرهـا، كمـا ان هنـاك اكثـر مـن تفسـير حـول معنـى واصـل هـذا النسـر الخـرافي الـذي ورد علـى عمـلات اتابكـة سـنجار، حيـث يـرى كونـل أنهـا ترجـع في اصـلها الى شمـال العـراق[2] وديـار الجزيـرة (كوردسـتان) وكـذلك ورد عنـد الحيثـيين[3]، وان النسـر والرايـة لـدى الحضـر في المائـة الثانيـة الميلاديـة يمـثلان ((الفخـر والنصـر))[4]، وكـان علـى رأس الملـك (سـنطرق الثـاني) سـنة ١٣٠م نسـر ناشـر جناحيـه[5]، كمـا ان النسـر ذا الرأسـين في القـرنين السـادس والسـابع الهجـريين (الثـاني عشـر والثالـث عشـر المـيلاديين) كـان ((مـن بعـض عناصـر الفروسـية الاسـلامية وشـاراتها في تلـك الحقبـة))[6] وان النسـرية عنـد السـلاجقة كانـت ((رمـزا للقـوة والعظمـة))[7]، وان السـلطان صـلاح الـدين الـذي حكـم بعـد الاتابكـة اتخـذ ((النسـر رمـزا لـه ليـدل علـى تحفـزه وانقضاضـه علـى اعـداء الاسـلام))[8] غـير ان الحسـيني يخـالف الـذين يقولـون ان اتابكيـة سـنجار اتخـذت النسـر ذا الرأسـين شـعارا لهـا بـدليل أنهـا لم تـرد علـى جميـع عملاتهـا[9]، كمـا ان النسـر الخـرافي هـذا لم يقتصـر علـى عملـة سـنجار وانمـا ورد أيضـا علـى بعـض عمـلات الاراتقـة الـذين كـانوا معاصرين ومجاورين لاتابكة سنجار[10].

امـا عملـة قطـب الـدين محمـد بـن عمـاد الـدين زنكـي ٥٩٤ – ٦١٦هـ/ ١١٩٧- ١٢١٩م فـيمكن تمييـز اربعـة انـواع منهـا علـى ضـوء مـا ورد عليهـا بصـورة عامـة، فـالنوع

---

(١) المتحـف العراقـي: المسـكوكات ٣٧٩٠– مـس، ٤٨٩٧– مـس، ٥٨٤٢– مـس. غالـب: مسكوكات ص١٢٤.

Lane- Poole: The coins, pp. ٢١٨–٢٢٠.

(٢) الفن ص٨٥.

(٣) حسن: فنون ص٣٧٥.

(٤) المتحف العراقي: قاعة ١٨.

(٥) نفسه: قاعة ١٦.

(٦) فيليب حتي وآخرون: تاريخ العرب مطول ٧٨٦/٣.

(٧) رايس: السلاجقة ص٢٠٩.

(٨) عبد المنعم ماجد: العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ص١٨٤.

(٩) العملة ص١٩٠.

(١٠) Lane- Poole: The international numismata orientia coins of the urtuki torkumans, pl V, number, ٤٥.

الأول عليه صورة النسر الخرافي ذي الرأسين كما كان على عملة والده عماد الدين[1]، والنوع الثاني من عملته عليه صورة شخص محسور الرأس ذي شعر ملفوف ومجعد وبيده رمح ومتجه صوب اليسار وامام انفه العلامة {}()[2]، وان هذه الصورة تشبه الى حد كبير ما هو وارد على العملات البيزنطية[3]، واليونانية[4]، وسوف نتعرض لواحدة من هذه المسكوكات الموجودة في المتحف العراقي والتي لم يسبق لها وان نشرت:

الرقم: ٢٨٤- مس

القطر: ٢٦ملم

الوزن: ١٢,١٠٠ غم

المادة: نحاس (ذات لون داكن يبدو انه غير نقي)

الوجه: صورة نصفية لشخص حاسر الراس متجه صوب اليسار ذي شعر ملفوف ومجعد واما الانف العلامة {}() وبيده رمح وعلى ظهره ترس وفي يمين الصورة ضرب سنجار سنة ست ... ستماية، الطوق خالي من الكتابة، والصورة واضحة وذات تفاصيل دقيقة.

الظهر: الامام الناصر

لدين الله

الملك قطب الدين

والطوق خالي من الكتابة أيضا.

اما النوع الثالث من عملة قطب الدين فهو ذلك الذي يحمل صورة شخص تزين راسه الاشرطة ((التي تلتف حول الراس وفوق الجبهة وتنتهي من الخلف

---

(١) المتحف العراقي: ٥٨٦٠مس، ١٠٧١٠ مس، ٩٦٩٨ مس، غالب: مسكوكات ص١٢٤، Lane- Poole: The coins, p.٢٢٥

(٢) المتحف العراقي: ٥٨٦٧– مس، ٩٣١٧– مس.

(٣) غالب: مسكوكات ص١٢٥.

(٤) الحسيني: التصوير على العملة الاتابكية، مجلة سومر، المجلد الحادي والعشرون، الجزء الأول والثاني، سنة ١٩٦٥، ص٢٦٣.

برباط يشبه العصائب المستعملة على الرؤوس اليوم))[1]، وهناك عدة مسكوكات من هذا النوع في المتحف العراقي[2]، واخيرا هناك عملة لقطب الدين خالية من التصوير، عليها كتابة بالخط الكوفي حيث تحمل اسم الخليفة والملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين مع الاشارة الى مكان وسنة الضرب: سنجار- ٥٩٥هـ[3]، ومما يشار اليه هو ورود اسم سنجر شاه نوح ولي عهد قطب الدين محمد على عملته[4].

اما عملة عماد الدين شاهنشاه ابن قطب الدين الذي حكم سنجار اقل من سنة، حيث تولى الحكم فيهل بعد وفاة والده سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م وقتل على يد اخيه عمر في نفس السنة[5]، فلم اعثر على اشارة لها الا لدى Lane Poole حيث هناك عملة نحاسية تخلوا من مكان وسنة الضرب، على الوجه مكتوب عماد الدين وفي الحاشية كتابة بالاحرف اللاتينية لم افهم معناها، وعلى الظهر الملك بن محمد وفي الحاشية أيضا كتابة بالاحرف اللاتينية[6]، ربما يعود ذلك الى استخدام قوالب مستوردة من جهات بيزنطيةاو اغريقية تستخدم فيها تلك اللغة، أو الى استخدام فنانين اجانب لوضع تلك القوالب في سنجار[7].

وقد خضعت سنجار لحكم الملك الاشرف موسى بن الملك العادل في سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م منهيا بذلك حكم الاتابكة فيها[8]، وقد كانت عملته من النحاس أيضا ولكنه نحاس اصفر وبراق وعليه صورة شخص جالس وعلى رأسه تاج وبيده كرة، وهناك عدة قطع منها في المتحف العراقي[9]، وأماكن أخرى[10]،

---

(١) الحسيني: التصوير، مجلة سومر، نفس العدد، ص٢٦٢.
(٢) المتحف العراقي: ١١٣٩٨- مس، ٤٨٩٨- مس، ٩٩٨٢- مس.
(٣) المتحف العراقي: ١١٤٠٤- مس، الحسيني: العملة ص١٣٠.
(٤): The Coins, pp.٢٢٤-٢٢٥.
الحسيني: العملة ص١٣١.
(٥) ابن الأثير: الكامل ٣٥٥/١٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ١٩٤-١٩٥، ابن خلدون: العبر ٢٧١/٥، الغساني: العسجد ٣٦٦/٢.
(٦) The Coins, Classes x- xlv/٢٢٦.
(٧) الحسيني: التصوير، مجلة سومر، نفس العدد، ص٢٦٦.
(٨) انظر ص ٩٠ من نفس البحث.
(٩) المتحف العراقي: ١٨٨٧٥- مس م، ٣١٦٧- مس م، ٩٦٥٣- مس م، ٩٧١٦- مس من
(١٠) Lane Poole: Catalogue of oriental coins in the british

وسوف نتناول واحدة من هذه المسكوكات التي لم تنشر بعد والموجودة في المتحف العراقي:

الرقم: ١٨٨٧٥ مس م

الوزن: ٨,٤٥غم

القطر: ٢٤ ملم

المادة: نحاس لماع

الوجه: في المركز صورة شخص وعلى رأسه تاج وبيده كرة، وعلى يمين الصورة سنجار سبع وفي يسارها كتابة ممسوحة ... سر...

اما الحاشية فعليها: الملك الاشر....

الظهر: الامام الناصر

لدين الله

امير المؤمنين

الملك الكامل

محمد

وفي الحاشية كتابة ممسوحة.

اما عن عملة سنجار، بعد خضوعها لبدر الدين لؤلؤ في سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٧م فقد ورد عليها اسم هولاكو ولقبه قان الاعظم اضافة الى مكان الضرب: سنجار سنة ٦٥٤هـ وهي من النحاس كذلك[١].

---

museum, lv/٢٦.

(١) الحسيني: التصوير، مجلة سومر، نفس العدد، ص١٦١. ولدى أيضا مسكوكة من سنجار تحمل اسمي منكوخان وبدر الدين لؤلؤ والقابه.

الفصل الثاني
الحياة الاجتماعية

الحياة الاجتماعية من الموضوعات التي تمتاز بصعوبة البحث فيها، وذلك لقلة المعلومات الواردة عنها في المصادر، اذا ما قورنت بالجوانب الاخرى، ورغم كل ذلك امكن تكوين صورة عن هذه الحياة في سنجار خلال فترة البحث وعبر المحاور الآتية:

- **التركيب الاجتماعي**
- **الخدمات الاجتماعية**
- **العادات والتقاليد**

- التركيب الاجتماعي

ان سكان سنجار خلال فترة البحث كانوا كما هم عليه في الوقت الحاضر، من حيث كونهم خليطا من الكورد والعرب، فالكورد كانوا يقيمون في مركز سنجار[١]، في الوقت الذي كانت القبائل العربية تقيم في جهات سنجار وأعمالها مثل الجبال[٢]، جنبا الى جنب مع القبائل الكوردية التي كانت منتشرة في تلك الجهات[٣].

كما ان المجتمع كان يتكون من البدو والحضر[٤]، فالبدو كانت حياتهم بسيطة وقائمة على التنقل وراء المواشي طلبا للكلاء والماء، اما المجتمع الحضري في القرنين السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين)،

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٤٨٧/١١، ابن خلدون: العبر ٩٨/٥، ابن بطوطة: رحلة ص٢٣٧.
(٢) الصفدي: نكت ص٢٥٣، القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ص٣٢.
(٣) خصباك: احوال، نفس الدورية والعدد ص١٢٨.
(٤) الشريشي: شرح ١٠٥/١.

فكان يخضع لنظم اجتماعية قائمة على اساس الاقطاع، حيث كان يتكون من طبقتين: الأولى هي الطبقة العليا ويشمل الأمراء والمقربين اليهم من الاعيان وكذلك اصحاب الاقطاع واصحاب الثراء من كبار التجار، والطبقة الثانية هي عامة الناس وكانوا يعملون في المهن المختلفة من فلاحة وصناعة وغيرهما[١]، وبالنظر لقلة الخبرة الادارية لدى السلاجقة والاتابكة بصورة عامة، فقد اعتمدوا على الموظفين في تسيير امور دولتهم اولئك الذين اصبحوا من الكثرة بحيث أنهم غدوا يؤلفون طبقة اجتماعية متميزة[٢]، كما كان هناك طبقة العلماء والصوفية[٣]، اضافة إلى طبقة الغلمان والعبيد الذين كانوا يعملون في خدمة الأمراء والاغنياء[٤].

وعلى المستوى الديني شهد المجتمع في سنجار عدد من الاديان والمذاهب، فالمعروف أن الاسلام دخل سنجار مع الفتح الإسلامي لديار الجزيرة بعد أن كانت تدين بالنصرانية[٥] كما عرفت سنجار معظم المذاهب الدينية الاسلامية، ورغم الدعم الرسمي الذي لاقته الحنفية في سنجار الا انه لم يكن المذهب الوحيد فيها، حيث وجدت الشافعية أيضا إلى جانبها[٦]، اما الحنابلة فكانوا موجودين بصورة خاصة في أعمال سنجار كالحيال[٧]، كما وجد في سنجار أيضا المذهب الشيعي[٨]، الاثنى عشري.

والمرجح أن بداياته الأولى يعود إلى انتصار البساسيري بالتعاون مع أهل سنجار وغيرهم على قوات الموصل المتحالفة مع السلاجقة في معركة سنجار سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م[٩] حيث خطب على اثرها للخليفة الفاطمي المستنصر[١] ونظم

---

(١) سلام: الادب ص ص٤٧-٤٨.
(٢) عبد المنعم محمد حسنين: دولة السلاجقة ص ص١٦١،١٣٤.
(٣) سلام: الادب ص٤٨، مصطفى جواد: الربط البغدادية واثرها في الثقافة الاسلامية، مجلة سومر، المجلد العاشر، الجزء الثاني، سنة ١٩٥٤، ص٢٢٢.
(٤) الشريشي: شرح ١٣٨/١.
(٥) انظر ص ص ٣٣- ٣٥.
(٦) ابن الأثير: الباهر ص١٩١، ابن الفوطي: تلخيص ج٥ ص٨٨، الغساني: العسجد ٨٤٣,١/٢
(٧) مجهول: مخطوط يحوي بعض تراجم علماء الموصل ورقة ١٥٠، الصفدي: الوافي ١٤٩/٣.
(٨) ابن الساعي: الجامع ٢٥٧/٩.
(٩) انظر ص ١٢٩.

الشعراء القصائد بهذا الانتصار مثل ابن حيوس الذي قال في قصيدته:

لا عجب لمدعي الافاق ملكـــا وغايته ببغداد الركـــود
ومن مستخلف بالهون يرضى يذاد عن الحياض ولا يذود
واعجب منهما سيف بمصـــر تقام به بسنجار الحـدود[٢]

أن هـذه الحادثـة كانـت كافيـة لبـذر المـذهب الشـيعي في سـنجار الـذي ترتـرع في عهـد بـدر الـدين لؤلـؤ حـاكم الموصـل الـذي خضـعت لـه سـنجار سـنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م[٣]، كمـا تقـدم، حيـث مـال إلى التشـيع ودعـا النـاس اليـه، وذلـك لخلـق قـوة بديلـة بقصـد تحقيـق التـوازن مـع الحركـة العدويـة[٤] الـتي اتخـذت طابعـا سياسـيا وسـعت إلى تأسـيس دولـة امويـة والـتي لاقـت قبـولا حسـنا لـدى الكـثير مـن النـاس بحيـث صـار خطـرا يهـدد حكـم لؤلـؤ الـذي وجـد نفسـه مظطـرا إلى تـبني التشـيع والسـعي إلى التقـرب مـن النـاس بانشـاء المشـاهد لابنـاء الامـام علـي (رض) في الموصـل[٥]، وفي سنجار مثل مرقد السيدة زينب بنت الامام علي.

ورغـم هـذه المواقـف الرسميـة لم تشـهد سـنجار تحيـزا لمـذهب معـين ضـد المـذاهب الاخـرى، بحيـث تصـل إلى حـد الاضـطهاد، وممـا يـدل علـى ذلـك وجـود المـدارس الحنفيـة والشـافعية في سـنجار، اضـافة إلى المـدارس المختلطـة أي تلـك الـتي كانـت يـدرس فيهـا اكثـر مـن مـذهب[٦]، حتـى أن عمـاد الـدين زنكـي الـذي كـان معروفـا بميوله الحنفية كان هناك من بين اولاده من هو على مذهب الامام الشافعي[٧].

امـا النصـارى فـلا يوجـد مـا يشـير إلى أي نشـاط متميـز لهـم سـوى بعـض الروايـات المتفرقـة عـن وجـود اسـقفية في سـنجار وتـردد الـبعض لزيارتهـا[٨]، وتمركـزهم في

---

(١) خودا بخش: حضارة ص٦٠.
(٢) أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان ابي الصيرفي: الاشارة إلى من نال الوزارة ص٤٤.
(٣) انظر: ص ص ٩٨-١٠٠.
(٤) عن الحركة العدوية انظر: ابن الأثير: الباهر ص٣٧٢، ابن الفوطي: الحوادث ص٢٧١. الكـتبي: فـوات ١/١٢٣-١٢٤.
(٥) الديوهجي: الموصل ص ص ٧٦-٧٧.
(٦) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ١٥٦-١٥٧.
(٧) ابن الأثير: الباهر ص١٩١.
(٨) يوسف لويس السمعاني: مخطوطة تواريخ كافة الجثالقة ((بطارقة الكلدان)) ص٣٤٣، اغـناطيوس افـرام الأول برصوم: الؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والاداب السريانية ص ص ٧٢، ٤٠٤.

جدال التي هي احدى قرى سنجار وعلى مقربة منها[١].

اما المرأة فانها تمتعت في سنجار بقسط وافر من الحرية، شأنها في ذلك شأن المرأة في ذلك العصر عامة[٢]، وهناك اشارات إلى بعض الانشطة التي مارستها المرأة في ميادين الحياة المختلف، كتلك الرواية التي تشير إلى انشاء ام قطب الدين محمد حاكم سنجار مدرسة في سنجار[٣]، وكانت المرأة في سنجار على مستويات مختلفة، حيث وجدت الجواري والحظايا في قصور الأمراء والاغنياء[٤]، ومما يمكن قوله انه كانت للمرأة مكانة كبيرة في سنجار، بما في ذلك الجواري ومما يؤيد ذلك شاهد قبر لخنزورة جارية قطب الدين محمد المتوفاة سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م[٥].

- الخدمات الاجتماعية

شهدت سنجار فترات طويلة نعمت فيها بالعدالة واحقاقها على يد حكامها، حيث خضعت ما يقارب عشرين سنة لحكم عماد الدين زنكي بن اقسنقر الذي اغتيل في سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م وشملتها الاجراءات والقوانين التي اصدرها حيث ((كانت رعيته في امن شامل لعجز القوي عن التعدي على الضعيف... ومنع المفسدين....))[٦]، ومما ساعد على ضبط الأمور وجود جهاز استخباري كان يوافيه بكل خبر حيث كان يقول:

((اذا لم تعرف الصغير ليمنع صار كبيرا))[٧].

وخضعت الموصل وسنجار وغيرهما لحكم ابنه سيف الدين غازي الذي لم يدم حكمه طويلا حيث توفي سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م[٨]، وبعدها خضعت لحكم اخيه قطب الدين مودود الذي عرف بالعدالة حيث كان من ((احسن الملوك سيرة...

---

(١) ياقوت، معجم ١١٢/٢.
(٢) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٦٤١/٤.
(٣) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٧.
Elisseeff: Nür- ad- din, ٣/٩٣٥.
(٤) الاصفهاني: البرق ٢٨/٥- ب.
(٥) متحف الموصل: الجناح الإسلامي ٧٢٠٤- ع، ٥٠٨- م م، ١١٠٧١٦- م ع.
(٦) ابن الأثير: الباهر ص ص ٧٦- ٧٨، وينقلها عنه باختصار أبو شامة: الروضتين ٤٣/١.
(٧) ابن الأثير: الباهر ص٧٨.
(٨) ابن الأثير: ص ص ٨٢-٨٦، ٩٢.

يبغض الظلم واهله، ويعاقب من يفعله من اصحابه))[1].

وقد بدأت مرحلة جديدة في تاريخ سنجار منذ تأسيسها سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م عندما اصبحت اتابكية ذات كيان مستقل كما رأينا، ومن اول حكامها عماد الدين زنكي بن مودود الذي حكم فيها ثلاثين سنة حيث عمل على ارساء قواعد العدالة وبناء المجتمع اخلاقيا باعتباره اساس تقدمها وسعادتها لذلك فان ((عدله قد عم البلاد وعمر العباد واريقت الخمور وحد شاربها وكانت صدقاته تصل إلى اقاصي البلاد))[2]، الا انه توفي سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م.

وتولى الحكم في سنجار بعده ولده قطب الدين محمد (ت ٦١٦هـ/ ١٢١٩) الذي سار على خطى والده في اقرار العدالة[3]، وتجدر الاشارة إلى أن هذه الفترة لم تخل من بعض المظالم التي نجهل اسبابها[4].

اما عن الفترات اللاحقة من تاريخ سنجار وحتى سقوطها بيد المغول سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م فليست لدينا من المعلومات ما تساعدنا على تكوين صورة واضحة عنها.

- العادات والتقاليد

كانت العامة في المشرق الإسلامي تحتفل بالاعياد والمناسبات الدينية المختلفة كشهر رمضان وعيدي الفطر والاضحى[5]، وكذلك الاحتفال بالمولد النبوي واحيائه وما كان يرافق ذلك من مد الاسمطة والموائد للفقراء[6]، كما أن أهل سنجار كانوا يشتركون في الاحتفال بالمولد النبوي الذي كان يقيمه مظفر الدين كوكبري في اربل لايام عديدة وينفق عليه الأموال الكثيرة[7].

---

(١) نفسه: ص ص ١٤٨-١٤٩، وينقلها عنه باختصار أبو شامة: الروضتين ١٨٧/١.
(٢) أبو شامة: الوضتين ٢٢٧/٢، ويرويها باختصار: النعيمي: الدارس ٦١٨/١.
(٣) سبط: مرآة ج٨ق٢ ص٦٠٧، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٩٣، وينقلها عنه الغساني: العسجد ٣٦٦/٢.
(٤) ابن الشعار: عقود ١٤٦/١ – ب – ١٤٧– أ.
(٥) حسن: تاريخ ٦٤٣/٤.
(٦) عمر موسى باشا: ادب الدول المتتابعة عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك ص١١٦.
(٧) ابن خلكان: وفيات ٢٧٣/٣– ٢٧٥، وينقلها عنه كل من: ابن واصل: مفرج ٥٧/٥– ٥٩، ابن ابي عذيبة: انسان ص ص ٢٩٨– ٣٠١.

ومن هذه المظاهر الاجتماعية الاخرى في سنجار زيارة الاماكن المقدسة مثل مرقد الست زينب وغيرها، وذلك لاعتقاد الناس بان زيارة هذه الاماكن تحقق لهم مقاصدهم وامنياتهم[١]، وخاصة في اوقات الازمات التي كانت كثيرة في تلك الفترة، ومن الاحتفالات الاخرى غير الدينية، الاحتفال بالزواج واقامة الولائم ودعوة الناس إليها على اختلاف مستوياتهم[٢].

وفي الجانب الآخر اهتم الزنكيون بالموسيقى وعلمائها[٣]، وكانت تنعقد في سنجار مجالس الغناء والطرب ومما يؤيد ذلك قول الشاعر طاهر بن محمد بن قريش الذي توفي في سنجار سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م:

ومطرب جميع الحانه من كل شئ وحش أو حشن
فليته يخرس أو ليتنا اذا تغنى نطـــــــــرش[٤]

اما العاب التسلية والممارسات الترفيهية في سنجار فهي الصيد، مثل صيد الضباع والارانب كما أن الصيد كان يتم أحيانا باستخدام الجوارح[٥]، ومن الالعاب الاخرى ايضا الرمي بالبندق[٦] واللعب بالحمام مجاراة لنظام الفتوة التي تبناها الخليفة الناصر لدين الله[٧]، كما أن اللعب بالكرة[٨] كان من الالعاب الشائعة لدى الاتابكة[٩]، اضافة إلى الرماية وسباق الخيل والشطرنج[١٠].

اما الملابس والازياء فهي من الموضوعات التي تمتاز بصعوبة البحث فيها بالنظر لقلة الكتابات عنها أولا، وتعرضها للتلف ثانيا، وعموما فانه يمكن القول بان الملابس كانت تختلف باختلاف المكانة الاجتماعية، وتوخيا عن التعميم

---

(١) Elisseeff: Nür- ad- din, ٣/٧٧١.

(٢) الشريشي: شرح ١٠٥/١.

(٣) عمر رضا كحالة: الفنون الجميلة في العصور الاسلامية ص٣٣١.

(٤) ابن الشعار: عقود ١٠٢/٣ – أ.

(٥) اسامة بن منقذ: الاعتبار ص ص ١٩٢–١٩٣، ٢٠٥.

(٦) البندق: كرات صغيرة تصنع من الطين أو الحجر أو الرصاص، وترمى بالقوس، ثم اخذ البندق يرمى بواسطة انابيب بفعل ضغط الهواء في نهايتها، ثم استخدم البارود بعد اكتشافها في هذه الانابيب لرمي البندق ولذلك سميت هذه الآلة بالبندقية. عمر الدسوقي: الفتوة عند العرب ص٢٤٥، وللزيادة عنها انظر: شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويري: نهاية الارب في فنون الادب ٣٢٤/١٠–٣٢٨.

(٧) الذهبي: تاريخ ق٢ ص١٦٦٠، انظر كذلك: الديوهجي: الفتوة في الاسلام ص ص ٨٣–٨٤.

(٨) الكرة: وتعرف هذه اللعبة في الوقت الحاضر باسم (Polo). السلوك هامش رقم (١)، ج١ ق٢ ص٤٣٥.

(٩) ابن الأثير: الباهر ص١٦٤.

(١٠) حسنين: دولة ص١٦٧.

الـذي يفتقـر إلى الدقـة سـوف نتطـرق لتلـك الـتي كانـت مسـتخدمة في سـنجار علـى وجه التحديد.

فبالنسـبة للامـراء كـانوا يرتـدون الثـوب العتـابي[١] والاطلـس[٢] والممـرس[٣]، امـا اغطيـة الـرأس، فكانـت القلنسـوة[٤]، والعمامـة الـتي بهـا يكتمـل الهنـدام وهـي ذات الـوان عديـدة واشـكال متنوعـة والمسـتعمل منهـا في سـنجار علـى وجـه التحديـد كانـت العمامـة القفـداء أي تلـك الـتي كانـت تلـف علـى الـرأس ((لفـا متقنـا ولم يسـدل لهـا عذبة))[٥].

ومـن اغطيـة البـدن الـتي كانـت مسـتعملة في سـنجار السـروال الـذي يسـتر القسـم الاسـفل مـن الجسـم وكـان هنـاك اكثـر مـن نـوع الا أن الشـائع منـه في سـنجار السـروال الـذي يصـل إلى منتصـف السـاق[٦]، امـا الجبـة فهـو لبـاس واسـع يغطـي الجسـم مـا عـدا الـرأس وهـي امـا أن تكـون ((طويلـة تصـل إلى القـدم ... أو قصـيرة تصـل إلى الركبـة))[٧]، والنـوع الأخـير كـان سـائدا في سـنجار وذات الـوان عديـدة ويـزين أحيانـا بآيـات قرآنيـة بـالخط الكـوفي، وبنقـوش وزخـارف نباتيـة وهندسـية وكـان يلبسـها الرجـال والنسـاء، كمـا أن المـرأة كانـت تشـد وسـطها بالنطـاق ويسـمى بـالحزام عنـد الرجـل وهـو امـا أن يكـون رقيقـا في الوسـط أو غليظـا وينتهـي علـى الاغلـب بحاشـية[٨]، واخـيرا كـان هنـاك في سـنجار نـوع مـن الاحذيـة تسـمى بـالخف وسـمي خفـا لخفتـه حيـث كـان ((يحـيط بالقـدم، والوانـه الاسـود والاحمـر))[٩]، كمـا كـان

---

(١) العتابي: نسبة إلى العتابية وهي احدى احياء بغداد التي اشتهرت بصناعة نوع خاص من النسيج. صلاح حسين العبيدي: الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والآثارية ص٧٦.

(٢) الاطلس: نوع من الانسجة التي كانت تستخدم في زخرفة النسيج الدمشقي. العبيدي: الملابس ص٦٩.

(٣) أبو شامة: الروضتين ٤٥/٢.

والممرس ثياب معروفة بالجودة ومزخرفة بخطوط دائرية. أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور: لسان العرب ٢١٥/٦.

(٤) ابن الشعار: عقود ١٤٦/١ – ب.

(٥) النعيمي: مقامات ص ص ١٤٢-١٤٣.

(٦) نفسه: ص١٥٢.

(٧) نفسه: ص١٥٤.

(٨) نفسه: ص١٥٥.

(٩) النعيمي: مقامات شكل ٥٧، ٥٨.

للعزاء ثياب خاصة به[1].

وقد عرفت سنجار انواعا عديدة من المشارب والمأكولات، مثل الثريد والدجاج[2]، ومن الاطعمة الاخرى العسل الابيض[3]، و ((لفائف النعيم)) أي ((ما لف من الحلوى وطوى بعضه على بعض)) كما كانت هناك الحلواء الملونة، ومن المطيبات التي كانت معروفة في سنجار، الافاوية وكانت تضاف إلى الاطعمة لتعطي رائحة عطرة[4]، اما المشروبات فاهمها عصير قصب السكر، والخمر الذي كان يدار في المناسبات[5]، والذي حاربه عماد الدين زنكي بن مودود باراقته واقامة الحد الشرعي على شاربه[6].

(١) ابن الفوطي: الحوادث ص١٦٥.
(٢) القاسم بن علي الحريري ص١٥٢.
(٣) الشريشي: شرح ١٣٦/١، ئەولیا جەلەبی: سیاحەتنامە ٧٩/١.
(٤) الشريشي: شرح ١٠٧/١.
(٥) نفسه: ١٢١/١.
(٦) انظر: ص ١٨٢ من نفس البحث.

الفصل الثالث
النظم الادارية

لدى دراسة النظم الادارية لاية امارة أو دولة يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار نقطتان، اولاهما أن سكوت المصادر عن بعض التنظيمات والامور الادارية لا يعني عدم وجودها، لان هذه المصادر قد ركزت على المسائل السياسية والعسكرية واهملت الأمور الادارية وغيرها على اغلب الظن، وثانيتهما أن حدوث التحولات السياسية والعسكرية والانتقال من عهد إلى آخر وسقوط الحكام ومجئ آخرين لا يعني سقوط جميع التنظيمات الادارية التي كانت قائمة، وقيام أخرى جديدة لا علاقة لها بالتنظيمات السايقة، وعلى ضوء ذلك يمكن القول أن هذه التنظيمات لا تصيبها تغييرات جوهرية بسبب هذه الانقلابات[١].

وبالنسبة لسنجار التي تحولت من حكم ولاة السلاجقة إلى حكم الاتابكة ومن بعدهم الأيوبيين الاكراد، لم يؤد هذا التحول إلى قيام تنظيمات ادارية جديدة فيها، لانها ظلت على تبعيتها الادارية للموصل كما كانت في السابق، والتي لم تحدث فيها تبدلات ادارية جوهرية، وانما سارت على النظم السلجوقية التي كانت معمول بها من قبل مع ظهور مناصب جديدة بسبب الحاجة إليها[٢].

غير أن الذي حدث في سنجار هو تطور هذه التنظيمات واتساعها بعد قيام اتابكيتها سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م/ هذا من جهة، وقيام نظم أخرى جديدة إلى جانبها من جهة أخرى، وذلك لملائمة الحالة الادارية الجديدة الناشئة عن قيام اتابكيتها، وتحولها إلى مركز اداري لمناطق واسعة شملت نصيبين والخابور والرقة وسروج[٣]، اضافة إلى عانة[٤] وكان يحيط بها عدد من القرى والنواحي مثل

---

(١) خليل: زنكي ص٢٣٣.
(٢) نفسه: ص٢٣٣.
(٣) الاصفهاني: البرق ٨٦/٥– ب، ابن الأثير: الكامل ٤٩٧/١١، ابن واصل: مفرج ١٤٢/٢.
(٤) سبط: مرآة ج٨ ق٢ ص٧١٨، زبدة ٢٤٤/٣. ومدينة عانة هي نهاية امتداد اقليم الجزيرة جنوبا وتقع على الفرات. ابن حوقل: صورة ص١٩١.

الباهس[١]، والنقيعة[٢]، وكرسي[٣] وتلعفر[٤] والحيال[٥] والنعمان[٦] والبدرية[٧]، غير أن الذي حدث هو تقلص لخارطة سنجار الادارية سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م عندما انتزع منها الملك العادل نصيبين والخابور[٨].

اما عن طبيعة نظام الحكم في سنجار فانها كانت وراثية حيث كان الابن يعقب اباه في الحكم بعد وفاته، فقد تولى قطب الدين محمد الحكم فيها بعد وفاة والده عماد الدين سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م[٩]، كما ورد اسم سنجار شاه نوح ولي عهد قطب الدين على عملته[١٠]، الا أنه لم يحكم بعد وفاته سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م حيث تولى الحكم بدلا عنه عماد الدين شاهنشاه ابن قطب الدين[١١]، ويبدو أن سنجار شاه نوح كان احد ابناء قطب الدين اتخذه وليا للعهد فضرب اسمه على العملة إلى جانب اسمه، ولكنه توفي في حياة قطب الدين الذي ولى ابنه الاخر عماد الدين شاهنشاه[١٢]، الا أن النظام الوراثي اسفر عن مشاكل بين افراد الاسرة الزنكية في سنجار، حيث قتل عماد الدين شاهنشاه على يد اخيه عمر الذي لم يحكم سنجار سوى اشهر قلائل حتى سار اليه الملك الاشرف وانتزعها منه سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م[١٣].

وقد عرفت سنجار عدد من المناصب والمؤسسات الادارية سنعرض لها وفق تسلسلها الهرمي.

---

(١) جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطي: انباه الرواة على انباء النحاة ٣٣٧/١، محي الدين ابي محمد عبدالقادر ابن ابي الوفاء: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ١٨٤/٢.
(٢) القفطي: انباه ٢٦٢/٣، ابن ابي الوفاء: الجواهر ١٧٩/٢.
(٣) ابن الشعار: عقود ٩٨/٣- ب.
(٤) ابن سعيد: الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ص٥٩، ابن الأثير: الكامل ٣٤٥/١٢.
(٥) الصفدي: الوافي ١٤٩/٣.
(٦) عبدالله المامقاني: تنقيح المقال في احوال الرجال ٥٥/٢.
(٧) التادفي: قلائد ص٩٦.
(٨) ابن الأثير: الكامل ٢٨٧/١٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٩١، ابن واصل: مفرج ١٩٣/٣.
(٩) ابن الأثير: الباهر ص١٩١، الكامل ١٣٣/١٢، ابن واصل: مفرج ٧٨/٣، أبو الفدا: المختصر ٩٣/٣.
(١٠) Lane- Poole: The coins, pp. ٢٢٤-٢٢٥.
(١١) ابن الأثير: الكامل ٣٥٥/١٢، ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص ص ١٩٤-١٩٥، ابن خلدون: العبر ٢٧١/٥.
(١٢) الحسيني: العملة ص١٣٢.
(١٣) ابن الأثير: الكامل ٣٤١/١٢- ٣٤٤، ابن واصل: مفرج ٧٢/٤-٧٤.

- الاتابكية[1]

عندما قامت اتابكية سنجار سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م كان عماد الدين زنكي بن مودود من اول اتابكتها، وكان يلقب بالملك العادل[2]، والملك العالم العادل[3]، والملك العالم العادل عماد الدنيا والدين[4]، الذي كان يقف على قمة هرم السلطة في سنجار، حيث يتولى قيادة الجيش بنفسه[5]، ويعين كبار الموظفين ويعزلهم[6]، وكان يساعده في ادارة شؤون البلاد جهاز من الموظفين، وكانت مركزية الحكم مرتبطة بقوة شخصية الحاكم الاعلى الذي هو الاتابك وبمدى مقدرته في ادارة الحكم.

وبعد وفاة عماد الدين زنكي سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م تولى الحكم بعده ابنه قطب الدين محمد، الملقب بالملك المنصور قطب الدنيا والدين[7]، وكان دون والده مقدرة في حكم البلاد، لذلك سلم الأمور إلى نائبه مجاهد الدين يرنقش[8]، اما عماد الدين شاهنشاه واخوه فروخ شاه عمر ولدي قطب الدين فلا نتطرق لذكرهما لان الاثنين لم يحكما سنة واحدة[9].

---

(١) الاتابك: كلمة تركية مركبة من مقطعين ((فالاتا بالتركية هو الاب، وبك هو الأمير)) ابن خلكان: وفيات ٣١٦/١، أي انه مربي اولاد الملوك للمزيد من التفاصيل عنها انظر: ابن واصل: مفرج هامش رقم (٥) ج١ ص٣٣، القلقشندي: صبح ٦/٦، ابن كثير: البداية ١٤٧/١٢، انستاس الكرملي: النقود وعلم النميات ص١٣٦، خليل: زنكي حاشية رقم ١٧٦ ص٢٢٦.

(٢) ابن الأثير: الباهر ص١٩١.

(٣) Lane- Poole: The coins, classes X-XIV pp.٢١٦-٢١٧.
غالب: مسكوكات ص١٢٣-١٢٤، الحسيني: العملة ص١٢٨.

(٤) Lane- Poole: Op. Cit. X-XIV/٢١٩.
غالب: مسكوكات ص١٢٤، الحسيني: العملة ص٨٦، عبدالواحد الرمضاني: التأثيرات الاجنبية على السكة النحاسية الموجودة في مركز البحوث الآثارية والحضارية في جامعة الموصل، مجلة اداب الرافدين، العدد السابع سنة ١٩٧٦، ص٢٥٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل ٦/١٢، ابن شداد: النوادر ص٨٦، ابن ابي الدم: التاريخ ص٥١٤، ابن واصل: مفرج ٢٥٥/٢، ابن ابي عذيبة: مختصر ورقة ١٣٠.

(٦) القفطي: انباه ٢٦٤/٣.

(٧) Lane- Poole: The coins, classes X-XIV/٢١٩.
غالب: مسكوكات ص١٢٤، الحسيني: العملة ص١٣١.

(٨) ابن الأثير: الباهر ص١٩١، الغساني: العسجد ٢٤٣/٢، ابن الوردي: تتمة ١٦١/٢.

(٩) انظر ص ص ٩٠-٩١ من نفس البحث.

- النيابة

عرفت سنجار منصب النائب منذ فترة مبكرة عندما كانت خاضعة لحكم الموصل في عهد عماد الدين زنكي بن اقسنقر مؤسس اتابكية الموصل سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧، حيث كان يتولى حكم سنجار نائب عن الاتابك الذي كان في الموصل ويعرف بـ ((نائب سنجار))[١]، وأصبحت سنجار بعد ذلك ضمن اقطاعات نائب الاتابك بالموصل، حيث اقطعها قطب الدين مودود في سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م لزين الدين علي كجك[٢]، الذي تخلى عن جميع اقطاعاته وسلمها لقطب الدين سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م ما عدا اربل التي استقر فيها، فاقطع قطب الدين تلك البلاد التي كانت لزين الدين ومن ضمنها سنجار لفخر الدين عبدالمسيح الذي تولى نيابة الحكم عن قطب الدين محل زين الدين واستمر في منصبه إلى سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م[٣].

وعندما تأسست اتابكية سنجار في السنة المذكورة اعلاه، كان اول حكامها عماد الدين زنكي بن مودود كما تقدم وعلى الرغم من عدم وجود اشارة محددة إلى منصب النائب خلال حكمه الا انه يمكن استنتاج ذلك، حيث مثل حسام الدين طمان في سنة ٥٩٧هـ/ ١١٨٣م عماد الدين زنكي في المحادثات مع السلطان صلاح الدين بشأن مبادلة حلب بسنجار وغيرها سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م[٤]، كما مثله أيضا في قيادة جيش سنجار في السنة نفسها إلى بلاد الشام لمحاربة الصليبيين بناء على دعوة صلاح الدين له[٥].

وبعد وفاة حسام الدين طمان سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م[٦]، تولى قيادة عسكر سنجار في القتال ضد الصليبيين نيابة عن زنكي مجاهد الدين يرنقش أحيانا[٧]، الذي أصبح بعد وفاة عماد الدين زنكي سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م نائب ابنه قطب الدين محمد الذي تولى الحكم بعد وفاة ابيه والقائم بامر دولته[٨].

---

(١) ابن خلدون: العبر ٥/٢٤٠.
(٢) ابن الأثير: الباهر ص٩٧.
(٣) نفسه: ص ص١٣٥-١٣٦، ويوردها باختصار ابن الفرات: تاريخ م٤ ج١ ص٣٠١.
(٤) ابن شداد: النوادر ص٥٩.
(٥) ابن شاهنشاه: مضمار ص٢٠٠، أبو شامة: الروضتين ٢/٥٦.
(٦) ابن شداد: النوادر ص١٠٨.
(٧) الاصفهاني: الفتح ص١٩١، ابن شداد: النوادر ص١١٠.
(٨) ابن الأثير: الباهر ص١٩١، الغساني: العسجد ٢/٢٤٣، ابن الوردي: تتمة ٢/١٦١.

وكان النائب يقوم باعمال ومهمات كثيرة كقيادة الجيوش في الحروب[1]، وتولي حماية البلد عند مداهمة الخطر كما حدث في سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م عندما حاصر الملك العادل سنجار على امل انتزاعها من قطب الدين الذي اذعن اول الأمر لتسليم البلد اليه على أن يعوض عنه، الا أن نائبه مجاهد الدين منعه من ذلك واستعد للحصار ودافع عنها ببسالة وبذلك احبط محاولة العادل[2]، مانحا اتابكية سنجار عمرا جديدا، وقد يمارس النائب مهمة أخرى وهي الاشراف على تربية ابن سيده[3]، فكانه يقوم بهذا بمهمة الاتابك التي اشرنا إليها قبل قليل.

- الوزارة

كانت الوزارة من المناصب المعروفة في سنجار، الا أنها لم تكن ذات صبغة سياسية كما كان عليه الحال في الدولة العباسية حيث يتولى الاشراف على دواوين الاتابكية[4]، لكونه متوليا لرئاسة الديوان فيها[5]، وقد كان منصب الوزير في هذه الفترة عامة يقابل منصب رئيس الوزراء في الوقت الحاضر، من حيث الاشراف على جميع اجهزة الحكم في الدولة[6]، ويظهر لنا واجبات الوزراء بصورة اكثر وضوحا عند الاطلاع على نسخ ايمانهم والتي تتضمن المحافظة على اموال اسيادهم من التبذير والضياع والاعتماد على الاكفاء المخلصين والعمل على ابعاد الخونة والعاجزين عن ادارة امور الدولة وان لا يغض الوزير النظر عن أي تقصير أو يتجاوز أي حق لسيده وان يشرف بنفسه على الدواوين الموكلة اليه وان لا يدخر جهدا في خدمة سيده ودولته ((وانني والله اؤدي الامانة في كل ما وكل بي ووليت من القبض والصرف والولاية والعزل والتقديم والتأخير والتقليل والتكثير...))[7]، وكان الوزراء في سنجار يختارون من ذوي المراكز

---

(١) انظر الهامش رقم ٢ و ٤ من نفس الصفحة.
(٢) ابن شاهنشاه: مضمار ص٢٠٠، ابو شامة: الروضتين ٥٦/٢.
(٣) ابن الفوطي: تلخيص ج٥ ق٢ ص٨٨٩.
(٤) الاصفهاني: الفتح، ص١٩١، ابن شداد: النوادر ص١١٠.
(٥) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٥٧،
Elisseeff: Nür- ad- din, ٣/٩٣٥.
(٦) حسنين: دولة ص٣٩.
(٧) العمري: التعريف ص ص ١٤٩-١٥٠.

الاجتماعية والادبية العالية، فمعين الدين أبو القاسم علي بن علوان بن مهاجر[1] الذي تولى الوزارة فيها كان ((من اولاد الاكابر والوزراء وبيتهم معروف بالفضل والحشمة والنبل وكان من أهل الخير والصلاح والسماح))[2]، كما أن شمس الدين محمد بن الكافي الذي تولى الوزارة لعماد الدين زنكي بن مودود كان أيضا من الشخصيات الادبية وسمع الحديث والشعر من المشاهير[3]، وكان ينوب أحيانا عن عماد الدين في المسائل المهمة كما حدث في سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م عندما سار إلى الموصل للتوسط بينها وبين السلطان صلاح الدين بشأن المصالحة بناء على طلب السلطان[4]، وكان يعرف أيضا بصاحب الديوان[5]، وله حق الاشراف على جميع الدواوين وعموم ادارة البلاد[6] و ((صاحب هذه الوظيفة هو رأس الكل، وله الولاية والعزل...))[7] وتولى أيضا أبو علي الحسن بن محمود الخجندي[8] الاشراف على ديوان سنجار لعماد الدين زنكي بن مودود[9]، وينفرد الذهبي في ذكر تولي بدر الدين السنجاري الوزارة في سنجار إلى جانب القضاء[10].

- ولاية المدينة

ومن المناصب الادارية الاخرى التي عرفتها سنجار ولاية المدينة، وكان القائم بها في سنجار سنة ٥٤١هـ/ ١٤٤٦م شخص يدعى يلمان[11]، وعندما استولى عليها صلاح الدين سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م جعل ولايتها لسعد الدين مسعود بن معين الدين

---

(١) لا نعرف فترة توليه الوزارة في سنجار على وجه التحديد ولكن كان ضمن فترة البحث.
(٢) ابن الفوطي: تلخيص ج٤ ق١ ص١٩٣.
(٣) الذهبي: تاريخ ق١ ص٢٥.
(٤) ابن شاهنشاه: مضمار ص٢٢٣.
(٥) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٧.
(٦) حسين امين: نظام الحكم في العصر السلجوقي، مجلة سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثاني، سنة ١٩٦٤، ص٢١٤.
(٧) القلقشندي: صبح ٤٨٩/٣.
(٨) نسبة إلى خجندة وهي بلدة فيما وراء النهر. القفطي: انباء هامش رقم (١) ص٢٦٤.
(٩) أبو طالب علي بن النجب تاج الدين ابن الساعي: الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ٢٥٧/٩.
(١٠) العبر في خبر من غبر ١٤١/٥.
(١١) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٧٠.

انـر[١]، واسـتمر وجـود هـذا المنصـب بعـد ذلـك[٢]، ونظـرا لعـدم وجـود منصـب الشـحنة في سـنجار وهـو الـذي كـان سـائدا في الـبلاد الاخـرى، فيرجـح أن الشـحنة كـان يسـمى في سـنجار بـوالي المدينـة[٣] ((أي حـاكم البلـد أو صـاحب الشـرطة أو الأمـير المشـرف علـى حراسة المدينة لما بين الوظيفتين من تشابه واضح في الاختصاصات))[٤].

- ولاية القلعة

كانـت ولايـة القلعـة مـن المناصـب المعروفـة في سـنجار، ويخضـع واليهـا لاوامـر وتعليمـات والـي المدينـة[٥]، وكـان يسـمى بـاكثر مـن تسـمية، فـابن الأثـير يسـميه بالدزدار[٦] ومستحفظ القلعة[٧]، كما ويسمى أيضا بنائب القلعة[٨].

وكانـت ولايـة القلعـة مـن المناصـب المهمـة، حيـث كـان المتـولي يـتحكم في أمـر الـدخول إلى البلـد والخـروج منـه[٩]، وتتضـح واجباتـه مـن نسـخة الايمـان الـتي كـان يحلف عليها[١٠].

وهـي ((انـني اجمـع رجـال هـذه القلعـة... فـلان وخدمتـه في حفـظ هـذه القلعـة وحمايتهـا وتحصـينها والـذب عنهـا والجهـاد دونهـا والمدافعـة عنهـا بكـل طريـق وانـني احفـظ حواصـلها وذخائرهـا وسـلاح خاناتهـا علـى اخـتلاف انـواع مـا فيهـا مـن الأقـوات والاسـلحة وانـني لا اخـرج شـيئا منهـا الا في اوقـات الحاجـة والضـرورة الداعيـة المـتعين فيهـا تفريـق الأقـوات والسـلاح علـى قـدر مـا تـدعو الحاجـة اليـه وانـني اكـون في ذلـك كواحـد مـن رجـال هـذه القلعـة وكـل واحـد ممـن يعنـيني كواحـد

---

(١) الاصفهاني: البرق ٣١/٥- أ – ب.
(٢) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص٢٠٥.
(٣) ابن العديم: زبدة ٢٢١/٢، ٢٣٠.
(٤) خليل: امارة بني ارتق ص ص ٣١٠-٣١١.
(٥) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص٢٠٥.
(٦) الباهر ص٩٥، الكامل ١١٣/١١.
(٧) ابن الأثير: الكامل ١٤٠/١١.
(٨) ابن خلدون: العبر ٢٤٠/٥.
(٩) ابن الأثير: الباهر ص ص ٨٥-٨٦.
(١٠) ومع اننا لم نعثر على نموذج من نسخ ايمان ولاة القلاع والوزراء في سنجار الا انه يمكن سحب ما كان سائدا في مصر في العهد المملوكي على مثيلاتها في سنجار إلى حد ما، وذلك بان النظم المملوكية كانت استمرارا للنظم الاتابكية الزنكية والايوبية الكوردية. القلقشندي: صبح ٤/٥.

ممن يتبع اتباع رجال هذه القلعة لا اتخصص ولا امكن من التخصص وانني والله والله والله لا افتح ابواب هذه القلعة الا في الاوقات الجاري به عادة فتح ابواب الحصون واغلقها في الوقت الجاري بها العادة ولا افتحها الا بشمس ولا اغلقها الا بشمس وانني اطالب الحراس والدراجة وارباب النوب في هذه القلعة بما جرت به العوائد اللازمة لكل منهم مما في ذلك جمعية مولانا... فلان ولا اسلم هذه القلعة الا لمولانا ... فلان أو بمرسومه الشريف وامارته الصحيحة واوامره الصريحة وانني لا استخدم في هذه القلعة الا ما فيه نفع هذه القلعة واهلية الخدمة لا اعمل في ذلك بغرض نفس لي ولا ارخص فيه لمن يعمل بغرض نفس وانني ابذل في ذلك كله الجهد واشمر فيه ساعد الجد))[1]، وكان عليه أيضا تجديد وترميم ابنية القلعة ومعرفة اخبارها من جاورها من الاعداء والاهتمام بابراج الحمام[2]، كأداة للخدمات البريدية.

- الرئاسة

عرفت سنجار منصب الرئيس ويبدو أن هذا المنصب كان محصورا في عوائل معينة في سنجار يتولونها مثل بني يعقوب[3] من عائلة الصفار الذين عرفوا بالعلم والادب[4]، وقد كان هذا المنصب على جانب كبير من الاهمية ويتضح ذلك من الاعمال والمسؤوليات التي كانت منوطة به من خلال المنشور الذي اصدره السلطان صلاح الدين عندما استولى على سنجار سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م جاعلا رئاسة سنجار لرئيسها من بني يعقوب اذ ورد فيه ((ونفوض اليه تدبير مدينة سنجار وقلعتها والزعامة على أهلها ورعايتها والرياسة التي لم تزل في بيته ثابتة القواعد والولاية التي اوضحت له منا بصفو ولاية صافية الموارد والنظر في الاعمال نظر المستقبل المستبد و النهضة في مصالح الخدمة نهضة المجتهد المجد وبسط اليد على الرعايا بالعدل والاحسان وتولي امورهم بالاحكام والاتقان

---

(١) العمري: التعريف ص ص ١٤٨-١٤٩.
(٢) نفسه: ص ص ٩٥-٩٦.
(٣) الاصفهاني: سنا البرق الشامي ص٣٧٥، أبو شامة: الروضتين ٢/٣٣.
(٤) الاصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء الشام ج٢ ص٤٠٤.

والاستنامة للاستنابة عنه في المعاملات إلى ذوي الكفاية والامانة والاعتماد في الاعمال... على أهل النزاهة والصيانة وله اليد الطولى في التنفيذ والامضاء... ولابداء ما ظهر واظهارهم شعائر الدولة باتباع الشرع والمحافظة عليه... واحياء سنة العدل... خفض الجناح للرعية بالرعاية والغلظة على أهل الضلالة والغواية واثابة المحسن باحسانه وردع المسئ عن عدوانه وضم نشر الخاصة والعامة بنشر العدالة وانزال كا منهم فيما يستحقه من المنزلة... وليقدم الاهتمام بالعمارات التي تؤذن بوفور البركات...))[1]، كما تولى الرئاسة في سنجار أيضا صدر الدين المعروف بابن الشيخ الذي انشأ في سنجار مدرسة لتدريس المذهب الشافعي[2].

- الانشاء

كانت الدواوين من المؤسسات الرئيسية للنظام الاداري ومهمة رئيس اليدوان تشبه إلى حد كبير مهمة الوزير في الوقت الحاضر، ويساعده عدد كبير من الموظفين في تصريف الأمور المتعلقة بالديوان[3]، ومن هذه الدواوين ديوان الانشاء، ويعرف رئيسه ((بكاتب السر وبصاحب ديوان الانشاء و ... ناظر ديوان الانشاء))[4] ويتلخص عمله في استلام الكتب الواردة إلى الملك وعرضها عليه ثم كتابة اجوبتها على ضوء ما يقرره الملك بعد توقيعها بختمه، كما كان يجلس مع الملك في دار العدل والنظر في المظالم والتوقيع عليها وكذلك النظر في امور القضاة اساتذة العلم، وكانت مكانته في مجلس الملك تحت الوزير[5]، وكان يختار لتولي هذا الديوان عادة اشهر كتاب البلاغة، بأعتباره المرآة التي تعكس مستوى الدولة الادبي، أن يكون قديرا على الاقناع والتأثير وكذلك على التعبير عن الارادة الملكية، وقد تولى هذا المنصب في سنجار محمود بن احمد الخجندي الذي تولى كتابة الانشاء لعماد الدين زنكي، وكان عالما في اللغة والنحو والفقه والادب[6].

---

(١) الاصفهاني: البرق ٣٠/٥- أ- ب- ٣١- أ.
(٢) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٧.
(٣) حسنين: دولة ص١٤٦.
(٤) المقريزي: الخطط ٣٦٦/٣-٣٦٧، ويوردها باختصار العمري: التعريف ص ص ١٥٠-١٥١، وللاستزادة عنها انظر القلقشندي: صبح ٤٨٦/٣- ٤٨٨.
(٥) الهامش اعلاه
(٦) القفطي: انباه ٢٦٤/٣.

- بيت المال

ومن المؤسسات الادارية في سنجار بيت المال، وكان يعمل على حفظ الأموال والتصرف فيها للصالح العام، وهي بهذا تشبه وزارة المالية في الوقت الحاضر والقائم بها الذي يعرف بصاحب بيت المال كان بمثابة وزير المالية[١].

كانت سنجار واحدة من المراكز المالية الثلاث للاتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر يقول ابن الأثير: ((لما اجتمعت له الأموال الكثيرة اودع بعضها بالموصل، وبعضها بسنجار، وبعضها بحلب، وقال: أن جرى على بعض هذه الجهات خرق، أو حيل بيني وبينه استعين على سد هذا الخرق بالمال الذي في غيره))[٢]، كما أنها كانت مركزا لسك عملته[٣]، ولم تفقد سنجار اهميتها كمركز مالي في عهد سيف الدين غازي ابن زنكي الذي تولى الحكم بعد اغتيال والده في سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م حيث أقدم على ((نقل خزائن الموصل إلى سنجار))[٤] وذلك لحصانتها ومناعتها.

اما موارد بيت المال فكانت تأتي بصورة رئيسية من الضرائب المتنوعة، واهمها تلك التي كانت تفرض على الاراضي الزراعية والتي تعرف بالخراج، وهي تؤخذ اما على كل جريب[٥] من الأرض قد زرعت، ام أنها كانت تفرض على الأرض زرعت ام لم تزرع[٦]، ومن الضرائب الاخرى التي كانت معروفة في سنجار المكوس والمظالم التي أمر نور الدين بازالتها واصدر بذلك منشورا وامر أن يقرأ على الناس في سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م ومما جاء فيه ((... وتقدمنا باسقاط كل مكس وضريبة في كل ولاية لنا بعيدة أو قريبة.... ونفي كل مظلمة... واطلاق كل ما جرت العادة بأخذه من الأموال المحظورة))[٧]، وقد كانت سنجار واردة في هذا المنشور على وجه التحديد[٨]، ومن الموارد الاخرى لمالية الدولة في سنجار

---

(١) حسن: تاريخ ٣٤٦/٤.
(٢) ابن الأثير: الباهر ص٨٠.
(٣) الحسيني: العملة ص٨٦.
(٤) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٦٧.
(٥) الجريب: مقياس للارض، ويساوي ١٥٩٢م٢. هنتس: المكاييل ص٩٦.
(٦) ابن الأثير: الباهر ص١٤٧، وينقلها عنه أبو شامة: الروضتين ١٨٦/١-١٨٧.
(٧) أبو شامة: الروضتين ١٨٩/١.
(٨) نفسه: ١٦/١.

مصادرة اموال المخالفين لسبب أو آخر[1]، ويمكن اضافة مورد آخر وهو الثروة المعدنية، وخاصة النحاس الذي كان يوجد في جهات الخابور[2]، لذلك لا نستبعد انه كان تحت تصرف الدولة وتوجيهاتها.

- البريد

ورغم ندرة المعلومات عن البريد في سنجار، الا انه يمكن القول ان ما يرد عن الدولة الزنكية بصورة عامة ينطبق كذلك على سنجار بأعتبارها واحدة من المدن التي خضعت لها ثم ما لبثت أن اصبحت واحدة من الاتابكيات المستقلة.

فالبريد من المؤسسات التي لاقت دعما وتشجيعا في العهد الاتابكي الزنكي منذ فترة مبكرة، حيث كان عماد الدين زنكي بن اقسنقر مهتما بأخبار بلاده والاطلاع على احوالها واحوال البلاد المجاورة له اذ كان يقول: ((اذا لم يعرف الصغير ليمنع صار كبيرا))[3]، لذلك اقامت الدولة الزنكية للبريد ((النجابة[4] واعدت لها النجب المنتخبة ودام هذا كل زمانها وزمان بني أيوب إلى آخر ايامهم))[5]، واستخدم لنقل الرسائل الحمام ((الهوادي، وهي التي يقال لها المناسيب، وهي تطير من البلاد البعيدة إلى اوكارها))[6] حيث كان ((يطير لمدة ثلاث عشرة ساعة بدون انقطاع بسرعة كيلو متر في الدقيقة وينقل الرسائل، ويعود إلى وطنه مهما بعدت المسافة))[7]، وكانت ابراجها منتشرة في جميع انحاء البلاد الجزرية[8]، وفي سنجار على وجه التحديد[9]، وبلغ الاهتمام بها حدا أن خصصت الرواتب للقائمين بأمرها[10]، وقد ادى استخدام الحمام والجمال السريعة إلى تطور الخدمات البريدية في الدولة الزنكية.

---

(١) ابن الشعار: عقود ١٤٦/١– ب، الذهبي: تاريخ ق٢ ص٣٩٤.
(٢) ديماند: الفنون ص١٥١.
(٣) ابن الأثير: الباهر ص٧٨.
(٤) اصلها النجب وهي الابل سريعة الحركة.
(٥) العمري: التعريف ص ص ١٨٥–١٨٦، وينقلها عنه القلقشندي: صبح ٣٧٠/١٤.
(٦) ابن الأثير: الكامل ٣٧٥/١١، وينقلها عنه أبو شامة: الروضتين ٢٠٤/١.
(٧) رؤوف: بلاد ص٢٣١.
(٨) القلقشندي: صبح ٣٨٩/١٤.
(٩) الهمذاني: جامع م٢ ج١ ص٣٢٨.
(١٠) ابن الأثير: الكامل ٣٧٥/١١.

وبالنظر لكون سنجار مركزا لاتابكية شملت نصيبين والخابور والرقة وسروج فلا بد وانها كانت على اتصال مع تلك الجهات بواسطة البريد المنظم لتبليغ الاوامر والتعليمات وخاصة في فترة اتسمت بالاضطراب السياسي والتهديد العسكري المستمر من جهات عديدة كما مر بنا في الفصل الأول.

- القضاء

القضاء من المؤسسات التي لها اهمية كبيرة في حياة أي مجتمع، لانها تعمل على ارساء قواعد العدالة والحق فيها، والقضاء في سنجار في اول امرها كان تابعا لرئيس قضاة[1] الدولة الاتابكية الزنكية في الفترة التي كانت فيها سنجار خاضعة للموصل حيث ولي عماد الدين زنكي بن اقسنقر القاضي بهاء الدين ابا الحسن على الشهرزوي رئاسة القضاة في بلاده جميعا[2].

وقد تولى القضاء في سنجار منذ فترة مبكرة من خضوعها لحكم الاتابكة، القاضي مظفر ابن القاسم الشهرزوري الذي ولد في اربل سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م ونشأ بالموصل وتفقه في بغداد ورجع إلى الموصل ثانية ثم تولى القضاء في سنجار على الرغم من كبر سنه وسكن فيها[3]، إلى أن توفي سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م[4].

وعندما تولى سيف الدين غازي الحكم في الموصل وغيرها بعد اغتيال والده زنكي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م فوض قضاء الموصل وجميع ممتلكاته إلى كمال الدين وأخيه بهاء الدين الشهرزوري الذي سبق ذكره الا انه ما لبث أن صرفهما عنه سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م وولى القضاء في الموصل وديار ربيعة لابن عمهما نجم الدين ابا علي الحسن بن بهاء الدين[5].

---

(١) ظهر هذا المنصب في العصر العباسي وهو بمثابة وزارة العدل في الوقت الحاضر. حسن: تاريخ ٣٧٧/٤.

(٢) ابن الأثير: الباهر ص٣٥، ابن خلدون: العبر ٢٢٤/٥.

(٣) جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي: طبقات الشافعية ٩٩/٢، ابن المستوفي: تاريخ ٣٦١/٢، وعن ترجمة القاضي مظفر واخوته ووالده انظر: ابن خلكان: وفيات ٣٧٥/٣-٣٧٦.

(٤) تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٣٠١/٧.

(٥) ابن خلكان: وفيات ٣٧٥/٣-٣٧٦.

وعندما استولى نور الدين على سنجار سنة ٥٦٦هـ/ ١٢٦٦م، ولى على قضائها شرف الدين ابن ابي عصرون[١]، الا أن ابن عصرون ولي على قضاء سنجار وغيرها نوابه[٢]، وابن عصرون هذا هو شرف الدين أبو سعد عبدالله بن محمد[٣] ولد في الموصل سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م[٤]، وتنقل بين بغداد[٥] والموصل[٦] وسنجار[٧] والشام حيث ولي قضاءها[٨]، وحافظ على مكانته في الدولة الايوبية[٩]، كما درس واخذ منه العلم كثير من الناس[١٠] وتوفي في دمشق سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م[١١].

وفي سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م استولى السلطان صلاح الدين على سنجار، وولى على قضائها نظام الدين ابي القاسم نصر بن المظفر بن محمد بن يعقوب ويتضح لنا من المنشور الذي اصدره صلاح الدين بتوليته، الصفات التي يجدر بالقاضي أن يتحلى بها والواجبات المنوطة به حيث يقول لابد وان يكون القاضي ((مصيبا في الاجتهاد متحليا بالنزاهة مجليا في حلبة النباهةمرتديا برداء العفاف جامعا محاسن الاوصاف خبيرا باحكام الشرع وقضاياه... والحكم بين أهلها والنظر في الخصومات وفصلها واتباع سنن الشريعة وايضاح سبلها... يفرق بين الحق والباطل وعلم يوضح الهدى بين الدلايل ونفاذ شبهه المبطل... ورأي تعلو به للشرع رايته وثبات تثبت به صحته... مراقبا لله في ما يحله ويعقده ويصدره ويورده ويقصده ويعتمده ويعلمه ويعتقده مستقيما... غير مايل عن سنن

---

(١) ابن المستوفي: تاريخ٢/٤١٧، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري: التكملة لوفيات النقلة ١/٢٠٥، ابن خلكان: وفيات ٢/٢٥٧، الذهبي: تاريخ ق١ ص٣٨، الصفدي: نكت ص١٥٨، الدويهي: تاريخ ص١٢٣.
(٢) أبو شامة: الروضتين ١/١٨٩، ابن واصل: مفرج ١/١٩٦، ابن كثير: البداية ١٢/٢٦٣.
(٣) ابن خلكان: وفيات ٢/٢٥٦.
(٤) الاصفهاني: خريدة (قسم شعراء الشام) ٢/٣٥١.
(٥) المنذري: تكملة ١/٣٠١، ابن خلكان: وفيات ٢/٢٥٦.
(٦) الذهبي: تاريخ ق١ ص٣٨.
(٧) ابن خلكان: وفيات ٢/٢٥٦.
(٨) ابن المستوفي: تاريخ ٢/٤١٧.
(٩) الاصفهاني: خريدة (قسم شعراء الشام) ٢/٣٥١.
(١٠) المنذري: التكملة ٢/٦٥-٦٦، ٣٧٦- ٣٧٧، ٣/١٦-١٧، ١٠٢-١٠٣، جمال الدين ابن حامد محمد بن علي ابن الصابوني: تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقاب ص ص ١١٥، ٢٠٢.
(١١) الاصفهاني: الفتح ٢٣٦، ابن الأثير: الكامل ١٢/٤٢، ابن المستوفي: تاريخ ٢/٤١٧.

الواجب مستويا في مجلسه ونظره بين الخصوم منصفا من القوى الظالم للضعيف المظلوم كاشفا اسرار الشريعة في الفسوخ والعقود متثبتا في تثبيت السجلات والعهود معتبرا بنيات الورود وامانات الشهود معتمدا على الثقات العدول عاملا بالدليل المنقول والقياس المعقول واثقا بالله تعالى في توفيقه لتوثيق احكامه... مقتنعا بما هو مجرى له من المعيشة والاقطاع صائنا به ضيا عمله المنزه من الضياع بدنس الاطماع وسبيل الولاة والنواب ايدهم الله احترام جانبه وتسهيل مطالبه ومساعدته على استخلاص الحقوق والتنكيل بالظلمة أهل الفسوق والعقوق وحبس من يرى حبسه إلى أن يخرج من عهده الحق المتوجب عليه ومعاضدته على كل ما يعضد الشرع))[1].

ومن الذين تولوا القضاء في سنجار أيضا بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن الزرزاري السنجاري[2] الذي ولد في مناطق اربل سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م[3]، وقضى شطر من حياته الأول في سنجار وغيرها من مدن الجزيرة[4]، ونظرا لمكانته عند الملك الاشرف موسى بن الملك العادل وخبراته الادارية ولاه قضاء بعلبك ونواحيها، وبعد موت الاشرف سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م حافظ بدر الدين على مكانته عند الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي توفي سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م[5].

كان القاضي في سنجار من الشخصيات المعتمدة، وقد يقوم بمهمات سياسية ودبلوماسية إلى جانب عمله القضائي، كما حدث في سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م عندما حاصر بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل الملك الصالح في سنجار وأوشك على أسره وانتزاع سنجار منه، فأرسل الملك الصالح إلى الخوارزمية الذين كانوا خارجين عليه سرا قاضيه بدر الدين السنجاري الذي كان يتولى يومذاك القضاء في سنجار لاستمالتهم فأجتمع بدر الدين بهم في حران وأقنعهم بالانضمام إلى الملك الصالح وضمن لهم ما أرادوه، عندئذ ساروا معه إلى سنجار وأوقعوا ببدر الدين لؤلؤ الذي

---

(١) الاصفهاني: البرق ٢٩/٥- ب- ٣٠ – أ.
(٢) اليونيني: ذيل ٣٣٢/٢.
(٣) ابن خلكان: وفيات ٢٢٦/٦.
(٤) اليونيني: ذيل ٣٣٢/٢.
(٥) ابن واصل: مفرج ١٨٧/٥.

رفع الحصار عن سنجار وعاد إلى الموصل منهزما[1]، وتقلبت الأحوال ببدر الدين السنجاري، وعندما حكم الملك الصالح مصر سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م سار إليه بدر الدين فأكرمه الصالح وولاه القضاء بالديار المصرية[2]، وحافظ بدر الدين على مكانته في الدولة المملوكية رغم عزله سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، حيث اسند إليه في السنة التالية قضاء القاهرة وأعمالها، كما ولى الوزارة أيضا اضافة إلى القضاء في السنة نفسها، ثم صرف عن الوزارة وابقى عليه قضاء الديار المصرية[3]، ثم عزل سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م[4]، واشترك بدر الدين في مناقشة موضوع التعبئة العامة ضد المغول في مصر بعد أن وصلوا إلى ديار الجزيرة والشام، واستنجد أهل الشام بمصر[5]، وتوفي بدر الدين السنجاري في القاهرة سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م[6].

وفي سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٨م أصبح القضاء في سنجار وغيرها من مدن الشام والجزيرة تابعا لقاضي دمشق كمال الدين عمر بن بدار التفليسي بتفويض من هولاكو[7].

وفي سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م عانت سنجار من فراغ سياسي بعد أن تخلى عنها حكامها ابناء بدر الدين لؤلؤ تحت ضغط المغول وساروا إلى مصر، فتولى الحكم فيها قاضيها فخر الدين[8] بموافقة أهلها، الذي حكم لفترة قصيرة اذ ما لبث شمس الدين البرلي الذي توجه من حلب لانقاذ الموصل من المغول أن اعتقله وصادر امواله[9]، ولكن البرلي سرعان ما مني بالهزيمة في معركة سنجار على يد المغول وعاد إلى الشام[10].

---

(١) نفسه: ١٨٩/٥، اليونيني: ذيل ٣٣٢/٢.
(٢) ابن واصل: مفرج ٢٣٣/٥- ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٤٩- ٢٥١، ٢٩٧- ٢٩٨، اليونيني: ذيل ٣٣٤/٢- ٣٣٥.
(٣) اليونيني: ذيل ١٣/١، ٤٥-٤٩، الكتبي: عيون ١٠٦/٢٠-١٠٨، ابن تغرى بردى: النجوم ٤١/٦-٤٣.
(٤) اليونيني: ذيل ٤٤١/١.
(٥) ابن كثير: البداية ٢١٥/١٣، المقريزي: السلوك ج١ ق٢ ص٤١٦.
(٦) ابن خلكان: وفيات ٢٦٦/٦، الكتبي: عيون ٣٢٩/٢٠، أبو محمد عبدالله بن اسعد اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١٦٢/٤.
(٧) ابن كثير: البدياة ٢٢١/١٣.
(٨) لم اعثر على ترجمته.
(٩) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ص١ ص ص ٢٠٩-٢١٠.
(١٠) اليونيني: ذيل ٤٩٢/١-٤٩٣، ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص ص ٢١٠-٢١١، الصفدي:

وتجدر الاشارة إلى أن عددا من القضاة السنجارين تولوا القضاء ومناصب أخرى خارج سنجار[1]، هذا وقد الحقت بالقضاء مؤسسة تنفيذية هي الحبس كانت مهمتها اعتقال المخالفين والمقصرين الذين يدينهم القضاء[2].

- الجيش

كانت سنجار ضمن البلاد التي خضعت لعماد الدين زنكي بن اقسنقر وولديه سيف الدين وقطب الدين من بعده، لذلك فانها كانت مشمولة بالنظم العسكرية التي وضعها هؤلاء.

فعماد الدين زنكي بن اقسنقر الذي تبنى سياسة التوحيد باخضاع المدن والامارات المحلية وذلك لتكوين وحدة اسلامية تشمل اقليمي الجزيرة والشام يتمكن بواسطتها من مواجهة الغزو الصليبي[3]، كان من الاتابكة الذين اهتموا بالجيش وعملوا على تنظيمه وتقويته باعتباره الاداة التي تنفذ سياسته المشار إليها، لذلك عمل على تهيئة مستلزمات المعيشة للجندي حتى يتفرغ نهائيا لعمله العسكري، بان جعل له راتبا يتقاضاه مرة كل ثلاثة اشهر[4].

وفي عهد ابنه سيف الدين غازي الذي تربى في بلاط السلاجقة[5] ازداد الاهتمام بالجند وعمل على تقليدهم في اظهار عظمة جيشه، حيث وضع لعساكره نظاما خاصا بحمل السلاح وهو ((الا يركب احدهم الا والسيف في وسطه والدبوس[6] تحت ركابه سفرا وحضرا، ولم يكن يفعل قبل ذلك في سائر البلاد الا في السفر))[7]، وكان الدبوس يحمل ((في حلقة السرج))[8].

اما ازياء الجند في العهد الاتابكي الزنكي فليست لدينا اية معلومات عنها،

الوافي ٩/١٩٣-١٩٤.
(١) انظر ص ١٢٧ من نفس البحث.
(٢) ابن الشعار: عقود ١٤٦/١ – ب، ابن كثير: البداية ٨٢/١٣.
(٣) خليل: زنكي ص ص ٦٩-١٦٦.
(٤) ابن الأثير: الباهر ص٨٣.
(٥) نفسه: ٦٤-٦٥.
(٦) الدبوس: سلاح حديدي مضلع. نعمان ثابت: الجندية في الدولة العباسية ص١٩٨.
(٧) ابن الأثير: الباهر ص٩٣.
(٨) ابن خلدون: العبر ٢٣٩/٥.

لـذلك يبـدو انـه لم يكـن للجنـد زي خـاص، ولم يكـن يميـز عـن غـيره في هـذه الناحيـة، الا انـه يمكـن القـول انـه أصبح للجنـد زي خـاص بهـم[١]، في عهـد بـدر الـدين لؤلـؤ الـذي خضـعت لـه سـنجار سـنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م وان ذلـك كـان بالنسـبة للجنـد النظـامين المسـجلة اسمـاؤهم في ديـوان الجنـد ولهـم الرواتـب المقـررة، امـا المتطوعـة الـذين كـانوا يلتحقـون بالخدمـة في حـالات الاسـتنفار فعلـى اغلـب الظـن أنهـم ينضمون إلى الجيش بملابسهم العادية.

امـا الاسـلحة الـتي كانـت مسـتخدمة في جـيش سـنجار، فـيمكن القـول بصـورة عامـة أنهـا الاسـلحة نفسـها الـتي اسـتخدمت في جـيش صـلاح الـدين[٢]، لانهـا كانـت واحـدة مـن تشـكيلاتها الرئيسـية، وتجـاوزوا للتعمـيم الـذي يفتقـر إلى الدقـة سـوف نقتصـر علـى ذكـر الاسـلحة الـتي كانـت مسـتخدمة في جـيش بصـورة فعليـة وعلـى وجـه التحديـد، وهـي السـيوف والـدروع والخـوذ و ((النصـال المسـنونة))[٣]، وكـذلك القسـي[٤] والـدبوس[٥] والرمـاح والـتروس[٦]، كمـا اسـتخدمت في سـنجار الرمانـات اليدويـة المصـنوعة مـن الفخـار وكانـت تملـئ بـالمواد المتفجـرة وتسـتعمل كسـلاح خطـير في الـدفاع والهجـوم علـى حـد سـواء[٧]، وتكـون بيضـوية الشـكل ((مزججـة ومزينـة بحبيبـات ناتئـة قاعـدتها مدببـة))[٨]، وذات احجـام متنوعـة ولكنهـا عمومـا صغيرة الحجم[٩].

وكـان الجنـدي يشـد في وسـطه مـا يحتاجـه ((مـن سـكين، ودرفـش[١٠]، ومطرقـة، ومسـلة[١١]، وخيـوط ودسـترك[١٢]، وغـير ذلـك))[١]، ومـن الادوات الاخـرى الـتي كانـت

---

(١) الكتبي: عيون ٢٠/١٥٥.
(٢) انظر: محمد محمد حسين: جيش صلاح الدين.
(٣) الاصفهاني: الفتح ص١٣٠.
(٤) المتحف العراقي: القاعة الاسلامية (٢٧) محراب كوكمت الرقم ٣١٠٥- ع.
(٥) ابن الأثير: الباهر ص٩٣.
(٦) المتحف العراقي: المسكوكات ٢٨٤ مس.
(٧) دليل متحف الموصل: ص٣٩.
(٨) سجل متحف الموصل: ص٤١.
(٩) متحف الموصل: الجناح الإسلامي ٤٠٩- م م، ٤٠٨- ٢٨٧ م م ق.
(١٠) درفش: لفظ اعجمي يقصد به المخراز. ابن الأثير: الباهر هامش رقم (٣) ص١٣٥.
(١١) مسلة: شوكة حديدية. ثابت: الجندية ص١٨٧.
(١٢) دسترك: لفظ اعجمي يعني منشار صغير. ابن الأثير: الباهر هامش رقم (٤) ص١٣٥.

مستخدمة في الجيش الكوسات[٢] والتي هي اشبه بالموسيقى العسكرية (المارش) في الوقت الحاضر، والاعلام[٣].

هذا ورغم عدم وجود ما يشير إلى ديوان الجند في سنجار في المصادر المختلفة، الا اننا نرجح أن مثل هذا الديوان كان موجودا، بحكم الضرورة وذلك لتسجيل اسماء الجند ومقدار رواتبهم والاشراف على شؤونهم، على غرار ما كان موجودا في الموصل[٤]، وبذلك يكون الجند قسمين: اولهما الذين كانوا يلتحقون بالجيش في حالات الاستنفار، وذلك بسبب الرغبة في الجهاد، كواجب ديني أو من اجل الحصول على الغنائم أو للسببين معا.

اما النظم التي كانت سائدة في جيش سنجار فرغم عدم وجود اشارة محددة عنها، الا انه يمكن القول أنها كانت تتبع ((التقسيم العشري، حيث ينظم الأمراء المشرفون على الجند بشكل متدرج يلقب اكبرهم بمقدم ويليه امير اربعين ثم أمراء العشرات فالخمسات الذين يعتبرون من أكابر الاجناد، وهو التنظيم الذي نقله السلاجقة من اوطانهم الأولى بعد أن عدلوا فيه))[٥]، ومما يرجح هذا الرأي أن النظم الاتابكية كانت استمرارا للنظم السلجوقية أولا[٦]، ووجود منصب المقدم الذي يقف على رأس النظام ثانيا، والذي انيط بحسام الدين طمان[٧] ومجاهد الدين يرنقش[٨] في سنجار.

وهناك اكثر من اشارة أن جيش سنجار كان يقيم في الخيم اثناء تحركاته، ولا سيما عند المشاركة في محاربة الصليبيين في الشام[٩]، وذلك لسهولة حملها ونقلها في حرب اتسمت بسرعة الحركة، وكانت وسائط النقل المستخدمة في جيش سنجار هي الخيول والحصن[١٠] والبغال[١١].

---

(١) ابن الأثير: الباهر ص١٣٥.
(٢) الاصفهاني: البرق ٢٨/٥ – ب، ابن شداد: النوادر ص١٢٩. والكوسات اداة صوتية موسيقية من النحاس. القلقشندي: صبح ٩/٤.
(٣) الاصفهاني: البرق ٢٨/٥– ب.
(٤) ابن الأثير: الباهر ص٨٣.
(٥) خليل: زنكي ص ص ١٩٥–١٩٦.
(٦) المقريزي: السلوك، هامش رقم (١) ج١ ق١ ص٢٣٩، خليل: زنكي ص٢٣٣.
(٧) ابن شاهنشاه: مضمار ص٢٠٠.
(٨) ابن شداد: النوادر ص١١٠، أبو شامة: الروضتين ٥٦/٢.
(٩) ابن شداد: النوادر ص ص ١٤٦، ١٢١.
(١٠) الاصفهاني: الفتح ص١٢٩.
(١١) ابن الأثير: الباهر ص٩٨.

الفصل الرابع
الحياة الفكرية

- دور الحكام في الحركة الفكرية:

شهدت سنجار نهضة فكرية كبيرة منذ اوائل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، حيث خرج منها عددا كبيرا من العلماء والادباء الذين لعبوا دورا كبيرا في رفد الحركة الفكرية فيها، كما أن هذا المستوى الفكري اهلهم لتولي مناصب علمية وادارية خارج سنجار، ولقد استقبلت سنجار في المقابل اعدادا من مشاهير العلماء والادباء.

وتأثرت الحركة الفكرية في سنجار بنظام الحكم والحكام الذين تعاقبوا عليها سلبا أو ايجابا، وتعتبر فترة الحكم الاتابكي الزنكي لسنجار تلك التي اعقبت حكم السلاجقة العصر الذهبي للحياة الفكرية فيها، حيث حرص الاتابكة على الاقتداء بسلاطينهم الكبار في انشاء المدارس ورعاية العلم واهله[1]، غير أن الاهتمام الكبير بالعلوم والاداب فيها بدأ مع قيام اتابكيتها سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، حيث عرف عن عماد الدين زنكي بن مودود اول اتابكة سنجار بانه كان ((متواضعا، يحب أهل العلم والدين، ويحترمهم، ويجلس معهم، ويرجع إلى اقوالهم))[2] وكان لهم عنده حرمة كبيرة، ولم يكن يجبرهم على شئ يكرهونه[3]، وامر أن يخصص لهم الجرايات اليومية[4]، مما ساعدهم على عدم الانهماك في الأمور المعاشية والتفرغ كليا للعلم والدراسة.

---

(١) سلام: الادب ص ص ٧٧-١٠٧.
(٢) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٨٣.
(٣) القفطي: انباه ١٨٢/٢.
(٤) ابن الأثير: الكامل ١٣٢/١٢، ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٨٤، ابن كثير: البداية ١٦/١٣، الغساني: العسجد ٢٤٣/٢.

وبعد وفاة عماد الدين زنكي سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م تولى الحكم في سنجار ابنه قطب الدين محمد وكان نائبه مجاهد الدين يرنقش مشهورا بحبه للعلماء والادباء منذ أن كان في خدمة والده عماد الدين زنكي[١].

وبشكل عام يمكن القول أن الحركة الفكرية في سنجار خلال العهد الاتابكي الزنكي لقيت دعما وتشجيعا من لدن جميع المستويات[٢].

توفي قطب الدين محمد سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م، ولم يستمر حكم الاتابكة في سنجار بعد وفاته سوى اقل من سنة، حيث خضعت للملك الاشرف موسى الأيوبي سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م[٣]، وعلى الرغم من عدم وجود المعلومات الكافية عن الحياة الفكرية في سنجار خلال فترة الحكم الايوبي المباشر لها، الا انه يمكن القول أن المد العلمي فيها بدأ بالانحسار حيث غادرها بعض من مشاهير علمائها مثل الطبيب عبد الولي بن قراتكين[٤]، وكذلك الشيخ عمر الملقب برشيد الدين الفرغاني الذي كانت له مواهب متعددة وكان الملك الاشرف قد عامله بما لا يليق به فرحل من سنجار إلى بغداد[٥]، ويبدو أن عدم اهتمام الايوبيين بالحالة الفكرية في سنجار يرجع في اغلب الظن إلى الحالة السياسية المضطربة التي شغلتهم أولا، وربما لميل أهل سنجار ولاسيما أهل الفكر منهم للعائلة الاتابكية الزنكية التي عرفت برعايتها لهم مما سبب استياء الايوبيين منهم ثانيا.

وقد ازدادت الأمور سوءا بعد أن خضعت سنجار لحكم بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م حيث لا نكاد نسمع عن أي نشاط فكري متميز فيها طيلة هذه الفترة، وحتى سقوطها بيد المغول سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م[٦]، فقد اصيبت الحالة الفكرية فيها بالجمود وذلك لاقدام بدر الدين لؤلؤ على تحويل الكثير من المدارس إلى مقامات لآل البيت لمقاومة الحركة العدوية[٧]، التي كانت لها انصار في الشام والجزيرة وسعت إلى تأسيس دولة اموية ((تحت ستار من التصوف))[٨]،

---

(١) القفطي: انباه ٢/٢٨٢.
(٢) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ١٥٦-١٥٧.
(٣) عنها انظر ص ص ٦٨-٧١ من نفس البحث.
(٤) ابن الشعار: عقود ٤/١٣٨ – ب.
(٥) القزويني: أثار ص ص ٢٣٥-٢٣٦.
(٦) انظر: ص ص ٩٨-٩٩ من نفس البحث.
(٧) عنها انظر: ابن الفوطي: الحوادث ص ص ٢٧١-٢٧٢، الكتبي: فوات ١/١٢٣-١٢٤.
(٨) الديوه‌جي: مدارس الموصل في العهد الاتابكي، مجلة سومر، المجلد الثالث عشر، الجزء الأول والثاني، سنة ١٩٥٧م، ص١٠٢.

وكان لؤلؤ يرمي من وراء تبنيه التشيع إلى كسب الانصار وذلك لايجاد التوازن مع قوة العدوبين المتزايدة التي اصبحت خطرا يهدد حكمه.

وخلاصة الأمر أن الحياة الفكرية في سنجار تأثرت سلبا بعوامل عديدة منها، زوال حكم الاتابكة الذين عرفوا بحبهم للعلم والادب ورعاية اهله، وكذلك الفوضي والاضطراب الذي ساد المنطقة مع اوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وفقدان الاستقرار السياسي، ويمكن اضافة سبب آخر وهو وصول المغول إلى تلك الأطراف وما قاموا به من قتل وسلب ونهب، حيث قتلوا سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م الواعظ المفيد أبو يوسف السنجاري في جهات الموصل[١]، مما دفع بالكثيرين من العلماء والادباء إلى مغادرة تلك البلاد والبحث عن ملجأ امين[٢].

- مراكز التعليم في سنجار

أ- المساجد والجوامع ومجالس الوعظ

كان الجامع من اهم المؤسسات التعليمية في المجتمع الإسلامي، حيث كان يدرس فيه ((القرآن والحديث والفقه واللغة))[٣]، وكان التدريس يتم على شكل حلقات من الطلبة الذين ينتظمون حول استاذهم[٤] الذي كان يجلس عند احد اركان المسجد الجامع، وحافظ الجامع على مكانته كمركز علمي رغم قيام المدارس في الدولتين الاتابكية الزنكية والايوبية[٥]، حيث كان يلقن فيه الاطفال ((قواعد اللغة العربية واصول الدين))[٦] وكان مسجد سنجار الجامع مشهورا[٧] بنشاطه التعليمي وتصدر لتدريس النحو فيه عدد من العلماء كان من بينهم علي السنجاري النحوي الذي توفي بعد المائة السادسة للهجرة وخصص له راتب

---

(١) ابن الفوطي: تلخيص ٥/٧٢٣.
(٢) ابن الشعار: عقود ١/١٦٥ – أ.
(٣) حسن: تاريخ ٤/٤٢١.
(٤) عبد العزيز حميد وصلاح حسين العبيدي: الفنون العربية الاسلامية ص١٢٩.
(٥) ناظم رشيد: التعليم في ظل الدولتين الزنكية والايوبية في الشام، مجلة اداب الرافدين، كلية الاداب/ جامعة المقصل، ص ص٢٧٤-٢٧٥.
(٦) حسن: تاريخ ٤/٤٢٢.
(٧) ابن بطوطة: رحلة ص٢٣٧.

شهري مقداره ستون درهما[1]، وكذلك عمر بن محمد أبو حفص الفرغاني[2] الذي تصدر لتدريس النحو والفقه والمنطق[3] والادب في جامع سنجار[4]، اضافة إلى المسجد الجامع كانت هناك عدة مساجد عامرة وآهلة بالناس في ربظي سنجار[5]، ورغم عدم وجود ما يشير إلى كون هذه المساجد مراكز للتعليم، ولكن يبدو على اغلب الظن انه كان يجرى فيها تدريس العلوم الدينية واللغوية.

ومن المراكز الاخرى للنشاط الفكري في سنجار مجالس الوعظ، كذلك المجلس الذي كان يتصدره الواعظ المفيد أبو يوسف يعقوب بن عبد الملك السنجاري الذي استشهد على يد المغول سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م[6]، ومن الوعاظ في سنجار أيضا محمود بن احمد الخجندي الذي كان من اصحاب مجالس الوعظ وتوفي في احدى قرى سنجار سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م[7]، وكذلك الواعظ أبو اسحق ابراهيم بن المظفر بن ابراهيم[8].

وعموما يمكن القول أن مجالس الوعظ هذه كانت ملحقة بالجوامع والمساجد والربط والخانقاهات والمدارس فيما بعد، حيث كان الناس يحضرونها ويتم فيها معالجة امور الدين والدنيا، وكان لمجالس الوعظ ((اثر ملحوظ في حفظ بعض التراث الإسلامي ولاسيما ما يتعلق منه بالقيم والمثل الاسلامية العليا ... وعمل الواعظ ينطوى على ترهيب الناس من عذاب الله ويحض على التمسك باحكام الدين))[9].

---

(١) القفطي: انباه ٢/٢٣٤.
(٢) نسبة إلى فرغانة وهي بلدة فيما وراء النهر قدم إلى سنجار، الا انه ابعد عنها لاتهامه بمخالفة العقيدة فسار إلى بغداد ودرس في المستنصرية حيث توفي سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤مز القفطي: انباه ٢/٣٣١-٣٣٢.
(٣) نفسه: ٢/٣٣١.
(٤) ابن الفوطي: الحوادث ص٧٥.
(٥) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٦.
(٦) ابن الفوطي: تلخيص ٥/٧٢٣.
وكانت ولادته في سنجار سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م. ابن الشعار: عقود ١٠/٨٢- أ.
(٧) القفطي: انباه ٣/٢٦٤.
(٨) ابن المستوفي: تاريخ ١/١٥٥، محمد بن سعيد ابن الدبيثي: المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي ١/٢٣٦.
(٩) حسن: تاريخ ٤/٦٥٣-٦٥٤.

ب- الربط والخانقاهات والزوايا

ومن المؤسسات التعليمية والثقافية في سنجار الربط[1] والخانقاهات التي هي مرادفة للربط من حيث المعنى[2]، وهي كونهما بيوت للصوفية[3]، وكان هناك ثلاثة منها في سنجار انشأ الوزير جمال الدين محمد الاصفهاني[4] واحدة منها خارج سنجار وانشأ نور الدين محمود اثنتان احداهما داخل سنجار والاخرى خارجها[5]، وكانت لهذه الربط اهمية كبيرة على وجه التحديد، الا انه يمكن قياس ذلك على ضوء ما كان سائدا في الربط البغدادية إلى حد ما، والتي لم تكن مهمتها ((مقصورة على التعبد والتزهد بل كانت أيضا مواضع للتأليف والتصنيف والاقراء والتثقيف والاجازة والمحاضرات ... وكان من عادة واقف الرباط أن يجعل فيه وقفا من الكتب للمطالعة والانتساخ والمراجعة والاستشهاد وكان لخزن الكتب في الربط قوام يتولون خزنها وصيانتها ومناولتها وترتيبها))[6]، وكذلك الحال بالنسبة للخانقاهات، حيث يمكن سحب ما كان سائدا في خانقاهات العراق أو الشام أو مصر على تلك التي كانت موجودة في سنجار بصورة عامة لاعتبارات عديدة منها وحدة سنجار مع هذه الجهات عقائديا، وكذلك لعدم وجود ما يمنع انتقال الاشخاص بين هذه الجهات، كما أن الغرض من انشاء هذه المراكز واحدة في هذه الجهات على اغلب الظن، لذلك فعلى الارجح أن مهماتها كانت متقاربة، كما أنها اعتادت على استقبال الناس باعداد كبيرة من غير الصوفية، ومن طبقات مختلفة للاستمتاع بسماع الشعر وغيرها، اضافة على توليها مهمة ((تربية وتكميل وتهذيب المريد واعداد المرشدين ...، ويمكن تقسيم التعليم والتربية في الخانقاهات إلى قسمين بصورة مجملة احداهما:

---

(١) للزيادة عن معنى الربط انظر: المقريزي: الخطط ٤/٢٩٢-٢٩٣، مصطفى جواد: الربط، مجلة سومر، المجلد العاشر، الجزء الثاني، سنة ١٩٥٤، ص٢١٨.

(٢) بدر الدين محمد بن ابراهيم ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم ٢٢٧، جواد: الربط، نفس المجلة والعدد ص ص ٢١٩-٢٢٠.

(٣) المقريزي: الخطط ٤/٢٩٣، ٢٧١.

(٤) خدم عماد الدين زنكي بن اقسنقر وكان مشرفا على دولته، وتولى الوزارة لابنيه سيف الدين وقطب الدين مودود الذي قبض عليه وتوفي مسجونا سنة ٥٥٩هـ/ ١٠٦٣م. ابن الأثير: الباهر ص ص ١١٨-١١٩، ١٢٧.

(٥) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٧.

(٦) جواد: نفسه ص١٢٤.

التعاليم الشفهية وكانت، تشمل على النصائح والمواعظ التي يلقيها الشيخ المرشد على الطلاب ومجالس الوعظ والتذكير التي كانت من السنن الجارية في الخانقاهات الصوفية... وثانيهما التعاليم العملية التي هي رياضات مختلفة مثل الصوم والصلاة والذكر والاعتكاف))[١].

وكانت الزوايا من المراكز الفكرية في سنجار، ((وهي مأخوذة من الفعل انزوى ينزوى، بمعنى اتخذ ركنا من اركان المسجد للاعتكاف والتعبد...))[٢]، أو للدراسة[٣]، ويرى مصطفى جواد أن الزاوية هي الخانقاه الواقعة خارج المدينة[٤]، وقد وجدت الزوايا في جامع سنجار[٥]، وكذلك في ظاهرها وكانت مراكز علمية متقدمة وبخاصة للعلوم الدينية وبرزت فيها شخصيات علمية كانت لها شهرة ومكانة كبيرة في المجتمع السنجاري مثل ابوبكر عبدالعزيز بن عبدالقادر الجيلي الذي اقام في احدى الزوايا بظاهر سنجار مدة وكان قد سمع الحديث ورواه واخذ منه خلق كثير[٦]، ومن شيوخ الزوايا المشهورين في سنجار أيضا الشيخ علي بن وهب السنجاري ((الذي انتهت اليه تربية المردين في سنجار وما يليها))[٧]، وتتلمذ عليه عدد من كبار المشايخ الذي اشتهروا فيما بعد مثل الشيخ سويد السنجاري وآخرون غيره، وتوفي الشيخ علي السنجاري وله اربعين مريدا، وكان يحضى باحترام أهل سنجار وكانوا يزورون قبره[٨]، ولم تشر المصادر إلى سنة وفاته، وكل ما نعرفه انه توفي بعد القرن الخامس الهجري[٩].

---

(١) قاسم غني: تاريخ التصوف في الاسلام ص ص ٧٠٠-٧٠١، انظر كذلك محسن: اربيل ص ص ٢٥٤ – ٢٥٥، ٢٣٦.

(٢) حسن: تاريخ ٤٢٣/٤.

(٣) Elisseeff: Nür- ad- din, ٣/٧٥٣.

(٤) الربط ص ص ٢١٩-٢٢٠.

(٥) ابن جبير: رحلة ص٢١٨.

(٦) ابن المستوفي: تاريخ ٩٥/١.

(٧) عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى ١١٨/١ – ١١٩، عبد الرؤوف المناوي: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ٩٥/٢.

(٨) عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى ١١٨/١ – ١١٩، عبد الرؤوف المناوي: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ٩٥/٢.

(٩) المناوي: الكواكب ٧٠/٢.

جـ - المدارس

شهدت الحركة الفكرية في العصر السلجوقي نهضة كبيرة، وذلك لاقدام هؤلاء على انشاء المدارس، كما حرص الاتابكة من جهتهم على احتذاء حذو سلاطينهم الكبار وتقليدهم في انشاء المدارس ورعاية العلم واهله[١]، فقد انشأ نور الدين بن محمود الذي خضعت له سنجار سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م وكذلك في سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م[٢] مدرسة للحنفية في داخلها[٣]، غير أن الاهتمام الكبير بالعلوم والاداب في سنجار، وما ترتب عليه من انشاء المدارس ودور العلم الاخرى بدأ مع قيام اتابكيتها سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م حيث انشأ عماد الدين زنكي بن مودود أول اتابكتها مدرسة للحنفية في ضواحيها[٤] كانت تسمى بالمدرسة العمادية[٥] نسبة اليه.

ولم يكن الاهتمام بالحياة الفكرية في سنجار مقتصرا على الحكام الاتابكة وحدهم، وانما شاركهم في ذلك وزراؤهم ونوابهم وآخرون غيرهم، حيث انشأ صدر الدين المعروف بابن الشيخ[٦] وكان رئيس سنجار انشأ مدرسة للشافعية في داخلها، كما انشأ مجاهد الدين قايماز نائب عماد الدين زنكي بن اقسنقر مدرسة للحنفية في ضواحيها، وانشأ شمس الدين ابن الكافي[٧] وزير عماد الدين زنكي حاكم سنجار مدرسة مختلطة يدرس فيها المذهبان الحنفي والشافعي على حد سواء في ضواحيها أيضا، ومما يشار اليه أن المرأة في سنجار لم تكن بمعزل عن هذا النشاط الفكري، حيث انشأت ام قطب الدين محمد[٨] كذلك مدرسة في ضواحي سنجار، غير انه ليست لدينا المعلومات الكافية عن طبيعة تلك المدرسة[٩].

---

(١) سلام: الادب ص ص ٧٧، ١٠٧.
(٢) انظر ص ص ٤٥ – ٤٦ من نفس البحث.
(٣) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٦، وينقلها عنه:
Elisseeff: Nür- ad- din, ٣/٩٣٤.
(٤) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٥٧، ابن كثير: البداية ١٣/١٦، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج٢ ص١٤١.
(٥) سبط: مرآة ج٨ ق٢ ص٦٠٨.
(٦) لم اعثر له على ترجمة.
(٧) لم اعثر له أيضا على ترجمة وانما ورد اسمه عرضا ضمن سياق الاحداث.
(٨) نجهل اسمها وتاريخ ولادتها ووفاتها لعدم العثور على ترجمتها.
(٩) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٧.

ومن المدارس الاخرى في سنجار مدرسة بني يعقوب[1]، وكانت عامرة في النصف الأول من القرن السابع الهجري[2]، وقد انشئت في سنجار مدرسة للطب من قبل الطبيب عبد الولي بن قراتكين[3]، وبذلك أصبح عددها في سنجار خلال فترة البحث ثمانية مدارس.

د- دور الكتب وحوانيت الوراقين ومجالس العلماء

لعبت دور الكتب وحوانيت الوراقين دورا كبيرا في تشجيع الحركة الفكرية في سنجار، لانها كانت تعمل على ((رفع مستوى الثقافة، وايجاد طبقة من المثقفين على درجة كبيرة من النضج والتفوق العلمي))[4]، وكان محمد بن سليمان بن كمشتكين الذي توفي في سنجار سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م يعمل على تجليد الكتب والدفاتر[5]، كما اشتغل بنسخ الكتب القاسم بن عبدالسلام بن محمد بن عبد العزيز خطيب سنجار[6]، وكانت الوراقة في سنجار من الاعمال التي تحضى بالاحترام والتقدير وعرف عن العاملين بها أنهم كانوا على مستوى عال من العلم والثقافة لذلك تولوا مناصب مهمة في الدولة، كما هو الحال بالنسبة لمحمود بن احمد الخجندي الذي تصدر الوراقة في سنجار حيث نجده قد أصبح كاتبا للانشاء لعماد الدين زنكي حاكم سنجار[7].

ومن العوامل الاخرى التي لعبت دورا كبيرا في تنشيط الحركة الفكرية في سنجار المجالس الادبية[8] والمناظرات التي كانت تجرى بين أهل الفكر[9].

---

(١) وكانت لهم الرئاسة في سنجار. الاصفهاني: سنا ص٣٧٥، أبو شامة: الروضتين ٣٣/٢.
(٢) القفطي: المحمدون من الشعراء ٤٣٤/٢ – ٤٣٥.
(٣) ابن الشعار: عقود ١٣٨/٤ – ب.
(٤) حسنين: دولة ص١٧٢.
(٥) ابن الشعار: عقود ٣٩/٧ – أ – ب.
(٦) ابن المستوفي: تاريخ ١٢١/١.
(٧) القفطي: انباه ٢٦٤/٣.
(٨) نفسه: ٢٨٣/٢، ابن سعيد: الغصون ص٦٣.
(٩) القفطي: انباه ٢٨٢/٢، ٢٨٣، ٣٨٦.

٣- التدريس والاجازات العلمية والاجور

اضافة إلى المدرس[١]، كان هناك في سنجار أيضا متصدر التدريس[٢]، الذي كان بمثابة المعلم الاقدم أو استاذ المدرسين، وضمن الكادر التدريسي في سنجار كان هناك أيضا المعيد[٣]، وسمي معيدا لانه يعيد على الطلبة ما القاه المدرس والذي صعب عليهم فهمه أو فاتهم حضوره[٤]، وبطبيعة الحال كان المعيد اقل درجة من المدرس واعلى درجة من الطالب[٥]، وقد يقوم بالتدريس في حالة غياب المدرس، ووجد في المدارس أيضا الامام والمؤذن[٦]، ومن المستخدمين البواب والفراش[٧].

ومما يمكن ملاحظته أيضا انه لم يكن هناك قواعد ثابتة في نظام الدراسة سواء من حيث المناهج أو طريقة التدريس، وانما كانت تخضع لرغبات القائمين بها، حيث كان بمقدورهم طرد من لا يرغبون فيه من الطلاب حسب قناعتهم[٨]، الا أن التدريس عموما كان يخضع لرقابة الدولة التي تمنع المدرس من مواصلة التدريس، ويأمره أحيانا بمغادرة سنجار اذا كانت هناك اتهامات حول طبيعة المواد التي يدرسها من حيث مخالفتها لاحكام الدين الإسلامي[٩]، وكان التدريس فيها غير مقتصر على مادة معينة، وانما كانت تشمل مواضيع كثيرة حسب تحصيل المدرس الثقافي، فالمدرس الواحد كان يدرس النحو والفقه والاشعار وغير ذلك[١٠].

ومن الظواهر العلمية التي عرفتها سنجار هي الاجازات أو ما يعرف بالشهادات العلمية التي كانت تمنح للطلبة الذين انهوا الدراسة المقررة، على يد عالم متخصص له صلاحية هذا المنح، وكانت في سنجار يومذاك طبقة من هذا

---

(١) القفطي: المحمدون ٢/٤٣٤ – ٤٣٥، الذهبي: معرفة القراء الكبار ٢/٥٤٤، القزويني: آثار ص٢٣٦.
(٢) القفطي: انباه ٢/٧١، ٣/٢٦٤، ٤/١٨٥.
(٣) القفطي: المحمدون ٢/٤٣٥.
(٤) اداب المتعلمين ص٢٤٤.
(٥) ابن جماعة: تذكرة ص١٥٠.
(٦) ابن الشعار: عقود ١/١٦٥ – أ، الباشا: ادب ص١٣١.
(٧) ابن الأثير: الكامل ١٢/١٣٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٨٤.، الغساني: العسجد ٢/٢٤٣.
(٨) القفطي: انباه ٢/٢٨١.
(٩) نفسه: ٢/٣٣١.
(١٠) نفسه: ٢/٢٦٢.

النوع من العلماء[1]، ولم تكن هذه الشهادات تقل اهمية وتأثيرا في مجتمع تلك الفترة عن قيمتها وتأثيرها في الوقت الحاضر، ومن الجدير بالذكر انه لم تصلنا نماذج من هذه الشهادات التي كانت تمنح في سنجار.

اما اجور الموظفين ومرتباتهم فانها كانت خاضعة لاعتبارات عديدة، منها مقدار ما يرد للمدرسة من واردات اوقافها ومنها مكانة المدرس نفسه[2]، وحالته المادية فمثلا كان حامد الباهس السنجاري (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م تقريبا) يدرس في سنجار مجانا معتمدا في امور معيشته على واردات املاكه[3]، وكذلك ابن خردل النحوي الذي كان يعيش بصنعته[4]، واحيانا كان يخصص للمدرس راتب ثابت كما هو الحال بالنسبة لعلي السنجاري النحوي (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م تقريبا) الذي خصص له راتب مقداره ستون درهما شهريا[5]، اضافة إلى ما تقدم كانت هناك المخصصات اليومية للمدارس كالطعام الذي كان يطبخ لاهل العلم والذي أمر بتخصيصه عماد الدين زنكي حاكم سنجار[6].

- العلوم والاداب

القرآن الكريم هو اساس علم القراءات، واستقر الأمر على سبعة قراء مشهورين عرفت قراءاتهم بالقراءات السبع التي اصبحت اصولا للقراءة فيما بعد[7].

وفي سنجار اشتهر عدد من القراء مثل مسلم بن سلامة بن شبيب السنجاري[8]، ويعقوب بن عبد الملك بن ابي الحسن الذي ولد في سنجار سنة

---

(١) ابن الدبيثي: المختصر ٢٣٧/١، ابن الفوطي: تلخيص ج٤ ق١ ص١٩٤، الذهبي: معرفة ٥٤٤/٢، شمس الدين ابي الخير محمد بن محمد بن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ٩٩/١.
(٢) العريني: الشرق ص٢٥٥.
(٣) القفطي: انباه ٣٣٧/١.
(٤) نفسه: ٢٨٣/٢.
(٥) نفسه: ٣٢٤/٢.
(٦) ابن الأثير: الكامل ١٣٢/١٢، الباهر ص١٩١، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ١٨٣ – ١٨٤، ابن كثير: البداية ١٦/١٣، ابن الفوطي: تلخيص ٨٨/٥.
(٧) ابن خلدون: المقدمة ٢٣٨/١، وللزيادة عن القراءات السبع انظر: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: التيسير في القراءات السبع، الحسين بن احمد بن خالوية: الحجة في القراءات السبع، عبد المجيد الخطيب: توضيح اصول قواعد الشفع في نشر علم القراءات السبع.
(٨) القفطي: انباه ٢٦٢/٣.

٥٩٢هـ/ ١١٩٥م[١]، وقصد سنجار عدد من القراء المشهورين مثل احمد بن المبارك بن تقي الدين النصيبي[٢]، وكذلك محمد بن عبد الباقي الذي كان مقرئا فيها سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م[٣]، ونظرا لكون سنجار مركزا للقراءات فقد تصدر الاقراء فيها مظفر الدين بن محمد التلعفري الملقب بموفق الدين[٤]، والذي كان معاصرا لقطب الدين محمد حاكم سنجار[٥]، وكذلك يعقوب بن نصر بن يعقوب الذي اقام في سنجار مدة وبرع في القراءات[٦].

كما اشتهر بالتفسير في سنجار مسلم بن سلامة بن شبيب السنجاري[٧]، الذي عاش في النصف الأول من القرن السابع الهجري[٨] واقام في سنجار المفسر المشهور عز الدين بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني، الذي الف فيها كتبا عديدة منها، ((القمر المنير في علم التفسير))[٩]، و ((مطالع انوار التنزيل ومفاتيح اسرار التأويل في تفسير القرآن))[١٠]، وتوفي عز الدين المذكور في سنجار عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م[١١].

اما الحديث فله اهمية كبيرة في حياة المسلمين لانه المصدر الثاني للدين الإسلامي بعد القرآن الكريم، وكانت سنجار واحدة من المراكز المتقدمة في ميدان علم الحديث، حيث برز فيها محدثون مشهورون امثال أبو بكر عبد العزيز بن عبد القادر الجيلي الذي كان مقيما بظاهر سنجار في منتصف القرن السادس الهجري كما كان والده أيضا محدثا[١٢]، وكذلك علي بن اسماعيل السنجاري الذي

---

(١) ابن الشعار: عقود ٨٢/١٠ – أ.
(٢) الذهبي: معرفة ٥٤٤/٢، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٣٥٥/١.
(٣) أبو عبدالله محمد محمد العبدرى: رحلة العبدرى المسماة الرحلة المغربية ص٢٦٧.
(٤) ابن المستوفي: تاريخ ٥١٨/٢ – ٥١٩.
(٥) ابن سعيد الغصون ص٦٠، الحميري: الروض ص ص ١٣٤ – ١٣٥.
(٦) ابن الشعار: عقود ٩٩/١٠ – أ.
(٧) شمس الدين محمد بن علي بن احمد الداودي: طبقات المفسرين ٣٢٢/٢، ابن ابي الوفاء: الجواهر ١٧٣/٢.
(٨) القفطي: انباه ٢٦٢/٣.
(٩) ابن الفوطي: تلخيص ج٤ ق١ ص١٩٣.
(١٠) اسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ٥٦٦/١.
(١١) ابن كثير: البداية ٢٤١/١٣، الكتبي: عيون ٢٩٠/٢٠.
(١٢) ابن المستوفي: تاريخ ٩٥/١.

كان محدثا في سنجار سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م[١]، وبهاء الدين اسعد بن يحيى بن موسى السنجاري الذي توفي فيها سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م[٢]، كما حظي الحديث بدعم رسمي من شخصيات علمية ومسؤولة في سنجار، مثل معين الدين أبو القاسم علي بن علوان بن عز الدين أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني[٣]، الذي كان يجيز في الحديث[٤]، وحظي بمكانة كبيرة عند حاكم سنجار[٥]، والف في الحديث كتابا كبيرا بعدة مجلدات سماه ((رموز الكنوز.... يروي فيه الاحاديث باسانيدها))[٦]، كما اقام في سنجار عدد آخر من المحدثين منهم المظفر بن القاسم بن المظفر بن علي الشهرزوري الذي تولى فيها أيضا القضاء[٧]، وخرجت سنجار في الوقت نفسه محدثين عاشوا خارجها مثل شمس الدين محمد بن المبارك السنجاري الذي توفي في دمشق سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م[٨].

وتطورت الدراسات الفقهية في سنجار إلى حد كبير، ولم تكن مقتصرة على مذهب واحد دون بقية المذاهب، غير أن المذهب الحنفي كان بمثابة المذهب الرسمي نظرا لدعم وتشجيع الأمراء والحكام له[٩]، وانشئت فيها مدرستان لتدريس الفقه الحنفي اضافة إلى تدريسها في المدارس المختلطة التي كان يدرس فيها اكثر من مذهب[١٠]، وبرز من سنجار عدد كبير من الفقهاء الذين اشتهروا بالفقه الحنفي مثل أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن الخطيب الذي تنقل بين سنجار وبغداد واربل الذي كان فيها سنة ٦٢٥هـ/

---

(١) شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان الميزان ٦٨/٦.
(٢) ابن الشعار: عقود ٢٥٥/١ – ب – ٢٥٦ – أ، بينما يرى ابن خلكان انه توفي سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م: وفيات ١٩٥/١، الصفدي: الوافي ٣٤/٩.
(٣) ابن المستوفي: تاريخ ٢٥٣/٢.
(٤) ابن الفوطي: تلخيص ج٤ ق١ ص١٩٤.
(٥) ابن كثير: البداية ٢٤١/١٣، وهو قطب الدين محمد لتعاصرهما.
(٦) الداودي: طبقات ٢٩٤/١.
(٧) انظر: ص١٦٤.
(٨) أبو شامة: الذيل ص ص ٢٤٢ – ٢٤٤.
(٩) ابن الأثير: الباهر ص١٩١، الكامل ١٣٢/١٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ١٨٣ – ١٨٤، ابن الفوطي: تلخيص ٨٨/٥، الغساني: العسجد ٢٤٣/٢.
(١٠) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص ص ١٥٦ – ١٥٧، وينقلها عنه:
Elisseeff: Nür- ad- din, ٣/٩٣٤-٩٣٥.

١٢٢٧م[١] وكذلك اخوه الاكبر علي بن عمر الذي اشتهر بالفقه والاصول والخلاف[٢]، واشتهر أيضا أبو الحسن علي بن الحسين المعروف بابن دبابا بالفقه الحنفي والمناظرات الفقهية والعلم بمسائل الخلاف ولم يقتصر الأمر على الفقهاء السنجارين وحدهم، وانما قدم إليها بعض من مشاهير الفقه الحنفي مثل عمر بن محمد أبو حفص الفرغاني الذي تصدر لتدريس الفقه الحنفي في سنجار الا انه اجبر على مغادرتها لاتهامه بمخالفة العقيدة وتوفي في بغداد سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م[٣].

والمذهب الفقهي الثاني من حيث الاهمية في سنجار هو المذهب الشافعي، الذي درس في اكثر من مدرسة[٤]، واشتهر بها عدد من الفقهاء[٥]، وعرفت سنجار أيضا الفقه الحنبلي[٦] والفقه الشيعي للمذهب الاثنى عشري[٧]، وبرز فيها علماء كبار مثل أبو علي الحسن بن محمود الخجندي الذي كان معاصرا لعماد الدين زنكي بن مودود[٨].

تطورت الدراسات اللغوية والنحوية في سنجار إلى حد كبير، وكان هناك اكثر من حلقة لتدريس النحو واللغة العربية[٩] وبرز فيها عدد من اللغوين والنحويين[١٠]، وتصدر لتدريس النحو في سنجار ابن دبابا فترة من الزمن والف كتاب ((العين في اللغة)[١١]، كما ورد إلى سنجار عدد من مشاهير اللغويين والنحويين وشهدت المناظرات اللغوية كتلك التي جرت بين العماد المغربي ويعمر الفرغاني النحوي[١٢].

---

(١) ابن الشعار: عقود ٣٠٢/١٠ – أ.
(٢) نفسه: ٢٥٢/٤ – ب.
(٣) القفطي: انباه ٣٣٢/٢.
(٤) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٥٧.
(٥) ابن الشعار: عقود ٩٩/٦ – ب، ٢٥٥/١ – أ – ب، ابن خلكان: وفيات ١٩٣/١، الصفدي: الوافي ٣٤/٩، ٣٠٢/٧ – ٣٠٣، عباس بن محمد رضا القمي: الكنى والالقاب ١٠٨/٢.
(٦) الداودي: طبقات ٢٩٤/١ – ٢٩٥، اليونيني: ذيل ١٩/٢، الذهبي: تذكرة ٢٣٥/٤ – ٢٣٦.
(٧) انظر: ص ص ١١٦ – ١١٧ من نفس البحث.
(٨) ابن الساعي: الجامع ٢٥٦/٩ – ٢٥٧.
(٩) القفطي: انباه ١٧٦/٢ – ١٧٧.
(١٠) نفسه: ٧١/٢، ٢٣٤، ٢٦٢/٣.
(١١) القفطي: انباه ٢٧٩/٤.
(١٢) نفسه: ٣٨٦/٢.

ولقد شهدت الحركة الادبية في سنجار ازدهارا ملحوظا شأنها في ذلك شأن الجوانب الاخرى من الحياة الفكرية بشقيها النثري والشعري.

فكان للنثر في سنجار عدة موضوعات، اهمها النثر الديواني، وهو ما كان يصدر من ديوان الانشاء[١]، وتولى هذا الديوان في سنجار محمود بن احمد الخجندي الذي تولى كتابة الانشاء لعماد الدين زنكي حاكم سنجار[٢].

والموضوع النثري الآخر، هو النثر العلمي والادبي، ومن الذين عرفوا بهذا النوع النثري رئيس سنجار الياس بن علي المعروف بالصفار، حيث الف كتابا في ((سائر المعاني والاوصاف))، وكان لوالده الرئيس علي الصفار أيضا رسائل[٣]، كما اقام في سنجار احمد بن المبارك بن نوفل النصيبي الذي الف في موضوعات مختلفة مثل الخطب والعروض والفرائض[٤].

اما الخطابة فانها كانت مزدهرة في سنجار، ومحصورة في عائلة معروفة هي بيت الخطيب[٥] وتولاها عدد من أفرادها[٦]، وظهرت فيها المؤلفات[٧].

كما عرفت سنجار انماطا من القصة، ومن الذين اشتهروا بكتابتها محمد بن سليمان بن كمشتكين الذي توفي فيها سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م[٨].

وازدهر الشعر في سنجار ازدهارا كبيرا، وعرفت معظم اغراض الشعر العربي الاساسية، فالمدح كان لفرض التكسب والتقرب من اصحاب السلطان والثراء، أو بدفع المجاملة كما هو في الاخوانيات، وهناك قصيدة للشاعر علي بن ابي منصور الموصلي (ت ٦- ٦٠٧هـ/ ٩- ١٢١٠م) في مدح عماد الدين زنكي حاكم سنجار[٩]، كما مدح الشاعر الموفق التلعفري ابنه قطب الدين محمد[١٠].

---

(١) عنها انظر: القلقشندي: صبح ٤٨٦/٣ – ٤٨٨، المقريزي: الخطط ٣٦٦/٣ – ٣٦٧.
(٢) القفطي: انباه ٢٦٤/٣، ابن الساعي: الجامع ٢٥٦/٩ – ٢٥٧.
(٣) الاصفهاني: خريدة (قسم شعراء الشام) ٤٠٤/٢.
(٤) السيوطي: بغية ٣٥٥/١.
(٥) ابن الشعار: عقود ٣٠٢/١ – أ، ٢٥٢/٤ – ب، ٩٩/٦ – ب.
(٦) الاصفهاني: خريدة (قسم شعراء الشام) ٣٩٩/٢، ابن المستوفي: تاريخ ١٢١/١.
(٧) السيوطي: بغية ٣٥٥/١.
(٨) ابن الشعار: عقود ٣٩/٧ – أ – ب.
(٩) نفسه: ٢٤/٥ – أ – ب – ٢٥ – أ.
(١٠) ابن سعيد: الغصون ص٦٠.

وكان المدح في سنجار على مستويات مختلفة، اضافة إلى مدح الملوك، هناك قصائد في مدح رؤساء سنجار[١] والقضاة[٢] وغيرهم[٣]، ولم يقف الشعراء السنجارين عند حدودها، حيث نجدهم في الحواضر الاسلامية الاخرى يمدحون حكامها، كتلك القصائد التي نظمت في مدح الملك الناصر صلاح الدين الايوبي[٤]، وكذلك في مدح الخلفاء باعتبارهم يمثلون وحدة الامة الاسلامية[٥]، كما أن الغزو الصليبي للبلاد الاسلامية كان موضوعا خصبا للشعراء، فاندفع الشعراء إلى مدح ابطال المسلمين والتغني بالانتصارات ووصف المعارك، وأدى ذلك إلى ظهور نوع من المدح الممزوج بالشعر الحربي[٦].

اما الهجاء فأنه نقيض المديح، وكان معروفا في سنجار أيضا وعلى مستويات مختلفة، مثل الهجاء الذي يعبر عن سخط الناس ضد ظاهرة سلبية في المجتمع[٧]، وكتلك التي يغلب عليها أحيانا طابع الفكاهة والتندر[٨]، وغير ذلك[٩].

اما الغزل فكان معروفا لدى جميع الشعراء السنجارين، سواء من حيث وروده في مطلع قصائد المديح[١٠] والحكمة[١١]، وغيرها، كما كان سائدا لدى الشعراء الاقدمين، أو أنهم نظموا فيه القصائد كغرض قائم بذاته[١٢]، كما تفنن الشاعر السنجاري فيه أحيانا في استخدام الكلمات المتجانسة[١٣]، هذا ولم يخل قصائدهم من الغزل المستهجن[١٤].

---

(١) ابن الشعار: عقود ١٤٤/٥ – أ.
(٢) نفسه: ٢٥٦/١ – أ، ابن خلكان: وفيات ١٩٣/١، الصفدي: الوافي ٣٢/٩.
(٣) ابن الشعار: عقود ٢٥٩/١ – ب.
(٤) نفسه: ٢٦١/١ – أ – ب، الصفدي: الوافي ٣٩٦/١١، الاصفهاني: الفتح ص١٢٧.
(٥) ابن الشعار: عقود ٣٠٢/١ – أ – ب.
(٦) ابن واصل: مفرج ١٤٣/٣ – ١٤٤، الحنبلي: شفاء ص٣٣٨، ابن الفرات: تاريخ م٤ ج٢ ص ص ٢٥٢ – ٢٥٣.
(٧) الاصفهاني: خريدة (قسم شعراء الشام) ٤٠٠/٢.
(٨) ابن سعيد: الغصون ص ص ٦٣ – ٦٤.
(٩) ابن الشعار: عقود ٩٢/٣ – ب – ٩٣ – أ.
(١٠) نفسه: ٢٦١/١ – أ – ب.
(١١) نفسه: ١٤٦/١ – ب، ابن كثير" البداية ٨٢/١٣.
(١٢) ابن الساعي: الجامع ٢٥٨/٩، الصفدي: الوافي ٣٩٦/١١–٣٩٧، القفطي: انباه ٥٨/٤–٥٩.
(١٣) الاصفهاني: نفسه ٣٩٩/٢.
(١٤) ابن الشعار: عقود ١٠٢/٥– أ، الصفدي: الوافي ١٢/٨.

وهنـاك غـرض شـعري آخـر يمتـزج بـالغزل في معظـم الاحيـان، وهـو الخمريـات، كـان معروفـا في سـنجار[1]، والـف الشـاعر طـاهر بـن محمـد كتابـا في ((وصـف الخمـر والعنب واخبار المغنين))[2].

والوصـف كـان أيضـا مـن الاغـراض الشـعرية الـتي عرفـت في سـنجار، وتعـرض الشـعراء السـنجاريين لوصـف ابسـط الاشـياء[3]، كمـا أنهـم كـانوا يسـتهلون أحيانـا قصائد المديح بالوصف بدلا من الغزل[4].

وهنـاك أيضـا الشـعر التعليمـي، وعـرف بـه في سـنجار عـز الـدين عبـد الـرزاق الرسـعني الـذي نظـم قصـيدة نونيـة في الفـرق بـين الضـاد والظـاء[5] سماهـا بـ (درة القارئ)[6].

ومـن الجـدير بالـذكر أن الشـعر في سـنجار لم يخـل مـن الفكاهـة والتنـدر، وكـان الغـرض منـه هـو امتـاع السـامع، واسـتخدم أحيانـا في نقـد ظـاهرة سـلبية في المجتمع[7].

كمـا أن الحكمـة قـد اصـبحت غرضـا في الشـعر السـنجاري، وكـان يغلـب عليهـا عـادة طابع المواعظ من حيث التأكيد على العمل الصالح وزوال الحياة الدنيا[8].

وقـد أدى اضـطراب الأحـوال وتقلبهـا بالنـاس إلى ظهـور شـعر الشـكوى، الـذي أصـبح متنفسـا للتعـبير عـن المشـاعر المكبوتـة تجـاه الحكـام والشـكوى مـن غـدر الـدهر وتقلب الأحوال[9].

ومـن الاغـراض الشـعرية الاخـرى الـتي كانـت معروفـة في سـنجار الرثـاء، وهنـاك اكثـر مـن نـوع مـن الرثـاء، منـه رثـاء الاشـخاص[10]، وكـذلك رثـاء المـدن والـدول، حيـث لم يكـن الشـاعر السـنجاري بمعـزل عـن الاحـداث الـتي واكبـت حيـاة المجتمـع

---

(١) الاصفهاني: نفسه ٤٠٣/٢، ابن الشعار: عقود ١٠١/٣ – أ، الصفدي: الوافي ١٤٠/٦.
(٢) ابن الشعار: عقود ٩٢/٣ – ب.
(٣) ابن الفوطي: تلخيص ج٤ ق٤ ص٦٧٣.
(٤) ابن الشعار: عقود ٨٣/١٠ – أ.
(٥) الداودي: طبقات ٢٩٥/١.
(٦) عبد الوهاب محمد علي العدواني: الادب في ظل الدولة الزنكية ص١٩٠.
(٧) ابن الشعار: عقود ٩٤/٣ – ب – ٩٥ – ب.
(٨) نفسه: ١٤٥/١ – ب – ١٤٦ – أ – ب، ١٨٧/٩ – أ – ب.
(٩) ابن سعيد: الغصون ص ص ٦١ – ٦٢، ابن المستوفي: تاريخ١٥٦/١.
(١٠) ابن الشعار: عقود ٣٠٢/١ – أ – ب.

الإسلامي في تلك الفترة، فنجده والحسرة تأكل قلبه لسقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م لذلك نظم الشاعر علي بن مودود السنجاري قصيدة في رثائها[١]، واضافة إلى الرثاء هذا، كانت هناك قصائد في العزاء وتعني مواساة أهل الفقيد والتحسر لفقدانه[٢].

ولم تقف هذه الاغراض الشعرية عند هذا الحد بل كانت هناك المطارحات التي كانت تجرى بين الشعراء في الموضوعات المختلفة[٣].

ورغم أن الاهتمام الكبير في هذه الفترة كان منصبا على العلوم الدينية والادب كما تقدم، الا أن الفترة لم تخل من الاهتمام ببعض العلوم الاخرى مثل الفلسفة والفلك والطب، اما لحاجة المجتمع لها، أو أنها كانت احدى انشطة المرحلة التي مر بها المجتمع في تلك الظروف.

ازدهرت الدراسات الفلسفية في هذه الفترة بسبب المناقشات والاختلافات المذهبية بين الفرق المختلفة، ومن الذين اهتموا بها في سنجار مظفر بن محمد التلعفري الملقب بموفق الدين، والف كتابا وكانت له مكانة كبيرة عند حكام سنجار وخاصة قطب الدين محمد[٤].

ولقد حظيت الدراسات الفلكية بالرعاية والعناية بسبب الحاجة إليها لمعرفة مواعيد الصلاة والصيام والحج وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالدين، اضافة إلى استخدامها لمعرفة مواقيت الزراعة والحصاد، وكذلك الاستفادة منها في التجارة اثناء الحركة والتنقل ليلا، ومن الذين عرفوا بالعمل في هذا الحقل في سنجار الموفق التلعفري الذي وضع تقويما لقطب الدين محمد[٥].

كما ازدهر علم الطب في سنجار ازدهارا كبيرا منذ فترة مبكرة من قيام اتابكيتها، وذلك بسبب الدعم والاحترام الذي كان يحضى به أهل العلم والادب من لدن الاتابكة[٦]، أن قلة اشارة المصادر إلى اطباء سنجار لا يعني عدم وجودهم، ومع ذلك عثرنا على اكثر من واحد من الاطباء المشهورين الذين خدموا في

---

(١) الكتبي: عيون ٢٠/ ١٤١ – ١٤٢.
(٢) ابن الشعار: عقود ٣٠٨/١ – ب، ابن كثير: البداية ٤٢/١٣.
(٣) ابن خلكان: وفيات ١٩٥/١، الصفدي: الوافي ٣٣/٩، القمي: الكنى ١٠٨/٢.
(٤) ابن سعيد: الغصون ص ص ٥٩ – ٦١، انظر كذلك ابن المستوفي: تاريخ ٥١٨/٢ – ٥١٩.
(٥) ابن سعيد: الغصون ص٦٠، الحميري: الروض ص ص ١٣٤ – ١٣٥.
(٦) ابن الأثير: الكامل ١٣٢/١٢، القفطي: انباه ٢٨٢/٢، ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ١٨٣ – ١٨٤، أبو الفدا: المختصر ٩٣/٣، الغساني: العسجد ٢٤٣/٢.

سنجار، مثل عبد الولي بن قراتكين ابن عبد الله الذي اقام في سنجار مدة والف في الطب كتبا كثيرة منها كتاب (شرح القانون) لابن سينا وكتاب (الرد على الفخر الرازي فيما اخذه علي ابن سينا) وارجوزة (في التشريح في الطب) وارجوزة (في الباه) و (كتاب الباه) ونظم (تذكرة الكحالين ارجوزة) وله أيضا كتاب (الحالم في الطب)، وخدم ابن قراتكين عماد الدين زنكي حاكم سنجار (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م) وابنه قطب الدين محمد (ت ٦١٦هـ/ ١٢١٩م) وشاهنشاه ابن قطب الدين بعد وفاته، كما انشأ في سنجار مدرسة للطب، الا انه غادرها بعد أن استولى عليها الملك الاشرف سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م وتوفي في آمد سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م[١].

واشتغل بالطب في سنجار أيضا الشيخ عمر الملقب برشيد الدين الفرغاني والذي غادرها كسابقه بعد أن استولى عليها الملك الاشرف حيث عامله الأخير بما لا يليق به فسار إلى بغداد وتوفي هناك سنة ٦٣١هـ/ ١٢٢٣م[٢]، كما خدم في سنجار طبيب آخر وهو محمد بن القاسم بن هبة الله الحريري من أهل دنسير والف فيها اكثر من كتاب[٣].

ومن الجدير بالذكر أن الدراسات الطبية في هذه الفترة كانت ملحقة بالمستشفيات، أي أنها كانت تتضمن نشاطا عمليا (ميدانيا) كما هو عليه في الوقت الحاضر، لذلك نعتقد انه كان في سنجار مستشفى اما مستقلة أو كانت ملحقة بالمدرسة الطبية التي انشأها عبد الولي بن قراتكين.

---

(١) ابن الشعار: عقود ١٣٨/٤ – أ – ب.
(٢) القزويني: آثار ص ص ٢٣٥ – ٢٣٦.
(٣) ابن الشعار: عقود ٢٥٢/٧ب، ٢٥٣ – أ – ب.

الفصل الخامس
فن العمارة وخطط المدينة

أن دراسة خطط اية مدينة تظهر الصعوبة فيها لسببين: اولهما أنها اثار مادية معرضة للتلف والتخريب لسبب أو آخر، وثانيهما قلة الكتابات عنها اذا ما قورنت بالجوانب الاخرى من سياسة وعسكرية تلك التي اعتبرت محورا للكتابات، ورغم ذلك امكن تكوين صورة عن طبيعة فن العمارة في سنجار وخططها، من خلال المعلومات التي قدمتها المصادر، وكذلك بالاستناد إلى ما بقى من عمارتها التي تعود إلى فترة البحث، وقد قسمت العمارة فيها وفق الانماط الاتية: العمارة العسكرية والتعبدية والخدمية والسكينة.

فبالنسبة للعمارة العسكرية كان يحيط بها سوران مبنيان من الجص وحجم احدهما اكثر ارتفاعا من الآخر[١]، ويبدو أن احدهما كان السور الروماني القديم، المبني بالحجارة والذي لا تزال بقاياه شاخصة إلى الوقت الحاضر[٢]، والذي اشار إلى وجوده في سنجار قبل الحقبة المعينة بالبحث المؤرخون والبلدانيون[٣]، وجدد بناؤه على يد العقيليين الذين حكموا الموصل وسنجار[٤] للفترة ٣٨٠-٤٨٩هـ/ ٩٩٠ – ١٠٩٥م[٥]، اما السور الآخر فعلى اغلب الظن انه من بناء العهد الاتابكي الزنكي رغم عدم اشارة المصادر إلى ذلك صراحة، لان هذه الفترة كانت ازهى عهودها، حيث اصبحت سنجار فيها مركزا لاتابكية شملت مناطق واسعة، وكان له اربعة ابواب، ثلاثة منها في الجانب القبلي أي جنوب المدينة ويسمى احدها باب المساء والثاني باب العتيق والثالث الباب الجديد والرابع كان في شمال المدينة باتجاه الجبل المطل عليها ويسمى باب الجبل[٦].

---

(١) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٥، واختلاف ارتفاع السورين يعود إلى اثر البيئة الجبلية.
(٢) باقر: المرشد الرحلة الثالثة ص٦٣.
(٣) ابن حوقل: صورة ص١٩٩، ابن الأثير: الكامل ٩/٦٣٠.
(٤) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٥٥.
(٥) المعاضيدي: دولة بني عقيل في الموصل.
(٦) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٥٥.

وهنـاك في شمـال غربـي المدينـة القديمـة في محلـة كلاهـي[1]، مـا يشـير في اغلـب الظـن إلى أنهـا بقايـا احـدى دعـامتي بـاب الجبـل، ومما يـرجح هـذا الـرأي أن البنـاء لم يمتـد خارجهـا أولا، ولمظهـره العـام ثانيـا، حيـث أن قاعدتـه مبنيـة مـن الحجـارة الكـبيرة، ويبـدو انـه اسـتخدمت حجـارة السـور الرومـاني في بنائـه، كمـا هـو واضـح في اللوحـة رقـم (١)، ويقـوم عليـه غرفـة مسـتطيلة الشـكل تقريبـا ومقببـة مـن الـداخل، امـا مـن الخـارج فكـان مسـطحا ويـؤدي إليهـا مـن الـداخل بواسـطة درج، وهنـاك نافـذة في ضـلعها الغربـي كانـت تطـل علـى الطريـق الـذي يمـر مـن امامهـا اضـافة إلى نافـذة أخـرى في جهتهـا الشـمالية، ومـن الجـدير بالـذكر أيضـا أن امتـداد هـذه الدعامـة صـوب الشـرق يشـير إلى حـد سـور سـنجار، والـتي لم يكـن امتـدادها بشكل مستقيم وانما كان يتعرج حسب بيئتها الجبلية.

امـا فيمـا يتعلـق بمحـيط سـور سـنجار فيشـير حمـد الله المسـتوفي (ت٧٥٠هـ) إلى انـه كـان يبلـغ اثنـتين وثلاثـين الـف خطـوة[2]، فهـذا يشـير إلى أن المدينـة كانـت اكـبر بكثير مما هي عليه في الوقت الحاضر.

وبمـا أن الاسـوار هـي مـن وسـائل الـدفاع الجماعيـة والـتي تمنـع العـدوان الخـارجي، لـذلك تعرضـت للتخريـب اكثـر مـن مـرة بسـبب الصـراع السياسـي الـذي كـان قائمـا علـى الزعامـة بـين الاتابكـة انفسـهم مـن جهـة، وبيـنهم وبـين الايـوبيين مـن جهـة أخرى، لذلك سوف نشير إلى بعض تلك الحوادث التي اثرت على السورين.

في سـنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م حاصـر نـور الـدين محمـود سـنجار وضـرب سـورها بالمنـاجيق إلى أن اسـتولى عليهـا ملحقـا بهـا اضـرارا كـبيرة، وعنـدما عـاد نـور الـدين إلى الشـام عـن طريـق سـنجار بعـد أن دخـل الموصـل، أمـر باعـادة مـا تهـدم مـن سـورها[3]، كمـا تعـرض سـورها للتخريـب ثانيـة اثنـاء القتـال بـين الاخـوة عمـاد الـدين زنكـي حـاكم سـنجار وسـيف الـدين حـاكم الموصـل سـنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م حيـث هـدم اكثـر مـن موضـع فيـه[4]، الا انـه كـان يعـاد بنـاؤه في كـل مـرة في اسـرع وقـت ممكـن لاهميتـه

---

(١) كلاهي أو كلهىّ: يعني في اللغة الكردية القلعة.
(٢) نزهة ص١٢٤.
(٣) انظر: ص ص ٥٣-٥٤ من نفس البحث.
(٤) نفسه: ص ص ٥٥-٥٦.

الدفاعية.

ومما تجدر الاشارة اليه أن سورها لم يسلم من التخريب سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م اثناء حصار السلطان صلاح الدين لها، الذي اضطر امام اصرار أهل سنجار وعسكر الموصل الذي كان يدافع عنها، إلى ضربها بالمناجيق والعرادات، واحدث فيها ثلما كبيرا، ومما زاد في تخريبه قيام النقابين باحداث الثقوب فيها، غير أن السلطان بعد أن استولى عليها أمر باعادة ما تهدم منه[١].

وفي سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م تعرض سورها للتخريب اكثر من المرات السابقة بسبب حصار الملك العادل لها، اذ نصب عليها احد عشر منجنيقا واستمر في ضربها ثلاثة اشهر حتى كادت المدينة أن تسقط بيده[٢]، كما أنها لم تسلم من التخريب اثناء حصار بدر الدين لؤلؤ لها سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٢٧م[٣]، الا أن التخريب الكبير الذي لحق بسنجار ومستلزماتها الدفاعية كان في سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م على يد المغول الذين سقطت المدينة في قبضتهم[٤].

وكانت الاسوار تقوى بالابراج التي تشحن بالمقاتلين لمقاومة المهاجمين الذين يعملون على تخريبها أو تسلقها، ومما تجدر الاشارة اليه أيضا هو استخدام سنجار للاساليب المعمارية المتطورة في تلك الفترة، والتي كانت تزيد من حصانتها ومناعتها، مثل الباشورة[٥]، والتي لا يكون طريق الدخول إليها بشكل مستقيم كما هي في الانواع العادية، وانما هي من النوع المنكسر، حيث يضطر العدو الداخل إليها أن يمر بين برجين مشحونتين بالمقاتلين ومزودتين بفتحات ترمى منها السهام[٦].

وكانت القلعة من العمائر الاخرى ذات الصبغة الدفاعية، وكانت هناك

---

(١) نفسه: ص ٦٤ من نفس البحث.

(٢) نفسه: ص ص ٨٣ – ٨٤.

(٣) نفسه: ص ص ١٠٣–١٠٤.

(٤) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل ٤٨٧/١١–٤٨٨، وينقلها عنه ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٨٠.

(٦) أبو صالح الالفي: الفن الإسلامي اصوله فلسفته مدارسه ص١٩٠.

قلعتان مبنيتان بالجص والحجر على ما يبدو، احداهما من بناء احد العقيليين الذين حكموا الموصل وسنجار وبنى فيها برجا كبيرا كان يعرف ببرج الخزانة[١]، مع أن المصادر لم تسعفنا بتاريخ بنائه على وجه التحديد، والقلعة الاخرى بناها قطب الدين محمد حاكم سنجار سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م وكانت تسمى الجديدة، الا أن القلعتين والسور خربت سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م على يد المغول[٢].

وامتازت قلعة سنجار بحصانتها[٣]، كما أنها كانت مركزا للحكم، واخضاعها كان يعني اخضاع المدينة[٤]، ومع اننا لم نعثر على معلومات محددة عن قلعة سنجار، الا انه يمكن القول أن ما يرد عن قلعة الموصل يمكن سحبها على قلعة سنجار، التي كانت خاضعة لنصير الدين جقر الذي ولاه زنكي الأول دزدارية قلاع جميع بلاده[٥]، وعلى هذا الأساس فانها كانت معقلا للجيش ومستودعا للذخيرة والة الحرب، لذلك روعيت فيها امور عديدة منها احاطتها بسور محكم ومزود بابراج، واحاطتها بخندق لعزلها عن الاراضي التي تجاورها، وكان لها باب رئيسي يفتح في النهار، وهو المنفذ الوحيد للاتصال بين من في القلعة وخارجها، اضافة إلى منفذ سري يؤدي إلى مصدر المياه للقلعة، وقد يكون للقلعة ابواب أخرى حسب سعتها[٦].

اما العمارة الخاصة بالعبادات في سنجار فتتمثل في المسجد الجامع الذي كان وسط المدينة[٧]، ويبدو انه كان قرب المئذنة التي لاتزال بقاياها شاخصة إلى الوقت الحاضر[٨]، وعرف هذا المسجد الجامع بوجود الزوايا فيه[٩]، وكانت هناك مساجد أخرى في ربضي سنجار، وثلاث خانقاهات واحدة في داخلها واثنتان في

---

(١) ابن شداد: نفسه ج٣ ق١ ص١٥٥.
(٢) نفسه: ج٣ ق١ ص١٥٥.
(٣) ياقوت: المشترك وضعا والمفترق صقعا ص٢٥٤.
(٤) ابن الأثير: الباهر ص ص ٨٥-٨٦، ٧٢.
(٥) ابن الأثير: الباهر ص ٣٥.
(٦) الديوەجي: قلعة الموصل في مختلف العصور، مجلة سومر، المجلد العاشر، الجزء الأول، سنة ١٩٥٤م، ص٩٤.
(٧) لسترنج: بلدان ص١٢٨.
(٨) مديرية الآثار العامة: ملف ٣٥/٤٨، عيسى سليمان وآخرون: العمارات العربية الاسلامية في العراق ١٤٧/١.
(٩) ابن جبير: رحلة ص١٩٣.

ضواحيها[1]، كما أن هناك قبتين عند مدخل سنجار وعلى يمين الشارع العام حيث يعتقد السكان أنها مدافن لاولاد السيدة زينب بنت علي (رض)[2]، بينما يرى آخرون انهما يمثلان اضرحة لاولاد علي (رض) ويتبين لنا من طراز بنائهما أن هناك تفاوت زمني في بنائها، وعلى اية حال فان القبة الجنوبية تعود إلى القرن السادس والسابع الهجري[3]، ومن الجدير بالذكر انه كان هناك مشهد ملاصق للسور يعرف بمشهد علي (رض) خرب من قبل المغول عندما دخلوا سنجار، وجدده قوام الدين محمد اليزدي نائب المغول في سنجار فيما بعد[4] الا انه لم يبق منه ما يدل عليه في الوقت الحاضر.

والنوع الثالث من العمارات التي كانت موجودة في سنجار هي العمارات الخدمية، ويتمثل ذلك في الدور الحكومية التي كانت تقع في ساحة كبيرة يؤدي إليها طريق رئيسي من الباب الجديد احد ابواب سور سنجار الجنوبي، ومن العمارات الخدمية الاخرى المدارس وكانت في سنجار ثمانية منها، اثنتان في داخلها واربعة في ضواحيها[5]، ومدرستان لا نعرف ما اذا كانتا في داخل سنجار ام في ضواحيها، واحدة منهما كانت للطب انشأها الطبيب عبد الولي بن قراتكين[6]، والاخرى كانت تعرف بمدرسة بني يعقوب[7].

وقد اشتهرت سنجار بحماماتها والتي تعتبر من المظاهر البارزة للمدينة الاسلامية نظرا لتأكيد الاسلام على النظافة، حيث يقول عنها القزويني: ((ما رأيت احسن من حماماتها. بيوتها واسعة جدا وفرشها فصوص، وكذلك تأزيرها، وتحت كل انبوبة حوض حجرية مثمنة في غاية الحسن، وفي سقفها جامات ملونة الاحمر والاصفر والاخضر والابيض على وضع النقوش ...))[8].

---

(١) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) C.R. Reitlinger: Medival Antiquities West of Mosul, Iraq, Vol. V part٢. p.١٥٢.

(٣) عادل نجم عبو: القباب العباسية في العراق ١/١١٣.

(٤) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٥.

(٥) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ص ص ١٥٦-١٥٧، وعن المدارس انظر أيضا: Elisseeff: Nür- ad- din, ٣/٩٣٤-٩٣٥.

(٦) ابن الشعار: عقود ٤/١٣٨ – ب.

(٧) القفطي: المحمدون ٢/٤٣٤-٤٣٥.

(٨) آثار ص٣٩٣.

وفي شمال غربي مدينة سنجار القديمة، وعلى مقربة من دعامة باب الجبل التي سبق ذكرها، عند حافة منحدر قليل الارتفاع تجري تحتها مياه احد العيون، هناك وسط مجموعة من المباني المتهدمة بناء يعرف بالحمامات، ينزل إليها بواسطة درجات يؤدي إلى مجموعة من الغرف المتداخلة المقببة من الداخل وذات سطح مستوي من الخارج يعلوها قبة على شكل نصف كرة كما في الصورة رقم(٢)، والتي تشبه قبتي مرقد السيدة زينب نصف الكروتيين وبالرغم من التجديدات التي اجريت عليها الا أنها فيها من الدلائل ما تشير إلى قدمها.

ومن العمائر الخدمية الاخرى في سنجار، الاسواق التي كانت منتشرة في ربضي سنجار[١]، وكذلك المدافن التي كانت تقع خارج سنجار والى الشرق منها[٢]، ويبدو أن المقبرة التي تقع على مرتفع في محلة كلاهي (كلهێ) شمال شرقي سنجار مرقد السيدة زينب وهي مقبرة سنجار المقصودة.

اما عن العمارة السكنية في سنجار خلال الفترة المعنية فليست لدينا المعلومات الكافية عنها، سوى أنها كانت اكثر مما هي عليه في الوقت الحاضر، بدليل أنها كانت فيها سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م عندما استولى عليها تيمورلنك[٣]، اثنتان وثلاثون الف دارا تقريبا[٤]، رغم أن هذا القول لا يخلو من المبالغة، ويتناول فترة متأخرة نوعا ما، الا انه يدل على سعة حجم المدينة في تلك الفترة[٥]، والتي يصفها القزويني بانها ((كثيرة.... العمارات الحسنة))[٦].

اما مادة البناء الاساسية التي كانت مستخدمة في سنجار، هي الجص والحجر لتوفرهما[٧]، اضافة إلى الرخام الذي كان يستخدم في بناء المداخل والمنافذ، وكذلك لاغراض تحلية العمائر وتزيينها بالنقوش والزخارف، وذلك لمطاوعتها للعمل.

---

(١) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٦.
(٢) اليونيني: ذيل ٢/٢١٩.
(٣) ولد تيمور لنك سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م في بلاد ما وراء النهر وتقلبت به الأحوال فأسس امبراطورية واسعة، ودخل بغداد سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م، وكان سفاكا وتوفي سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م. العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٢/١٢٢-١٢٣، ٢٠٠، ٢١٦.
(٤) عبد اللطيف: تاريخ ص٧.
(٥) Elisseeff: Nür- ad- din, I/١٢٩.
(٦) آثار ص٣٩٣.
(٧) نزهة ص١٢٤، برج: رحلات ٢/١١٣،
Elisseeff: Op. Cit. I/١٢٩.

كانت المباني في سنجار على شكل مدرجات بسبب بيئتها الجبلية[1]، وان هذا الطراز من البناء لا يزال قائما في المدينة القديمة إلى الوقت الحاضر كما هو واضح في الصورة رقم(٣).

ومن الظواهر الاخرى التي تكمل خطط المدينة، كان يجرى فيها نهران، احدهما يسمى بنهر دار العين، والآخر يخرج من عين فيها، غزيرة المياه تعرف بعين الاحتات[2] حيث يجرى في البلد ويخرج من تحت السور[3]، ولم يبق من هذين النهرين في الوقت الحاضر ما يدل عليهما، غير أن فيها حاليا اكثر من اربعة عيون غزيرة المياه دائمة الجريان، وكانت فيها البساتين الكثيرة[4]، والتي يقول عنها الاصفهاني عندما دخلها السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م ((ودخلنا جنة دانية قطوفها عالية...)[5].

وبعد هذا العرض عن خطط سنجار سوف نتاول طبيعة فن العمارة فيها من خلال بعض المعالم الاثرية التي لا تزال شاخصة إلى الوقت الحاضر، وهي مرقد السيدة زينب وبقايا المئذنة وباب الخان ومحراب كوكمت.

١- مرقد السيدة زينب

يقع مرقد السيدة زينب على رابية في شمال شرقي سنجار، في محلة كلهي أو كلاهي، وهي تطل على المدينة حيث يعلوها قبة مخروطية، تقوم على قاعدة مثمنة غير متساوية الاضلاع والتي ترتكز بدورها على القاعدة المستطيلة لغرفة الضريح، وتشبه هذه القبة قبتي ضريح يحيى بن القاسم والامام عون الدين في الموصل اللتين بنيتا في عهد بدر الدين لؤلؤ (ت٦٥٧هـ)، اضافة إلى القبة المخروطية هذه، هناك قبتان بجانبها في الجهة الغربية كل واحدة منها على شكل نصف كرة كما هو واضح في الصورة رقم(٤)، والمرقد قد كسي بطبقة جصية في فترات متأخرة.

---

(١) الهامش اعلاه.
(٢) لم اعثر على تحديد دقيق لمعناها.
(٣) ابن شداد: الاعلاق (قسم الجزيرة) ج٣ ق١ ص١٥٦.
(٤) القزويني: آثار ص٣٩٣.
(٥) البرق: ٢٩/٥ – أ.

والمرقد يتكون من فناء قد أصبح مقبرة، ومدخلها الخارجي مبني من الجص والرخام الذي تم قطعه ونقره على الأرض ومن ثم ركبت في مكانها على المدخل، كما أنها مزينة بزخارف متنوعة داخل اطارات ذات احجام واشكال متنوعة كما هو واضح في الصورة رقم(٥)، وقد طلين بالصبغ مرات عديدة شوهت منظرها، ويؤدي هذا المدخل إلى (المصلى) التي فيها المحراب وهي مربعة الشكل، ويشغل المحراب وزخارفها والكتابات الموجودة عليها الواجهة القبلية كلها تقريبا، والمحراب مستطيل الشكل مبني بحجر (الحلان الاسمر) ومغطاة بطبقة جصية، كما يعلوها نصف قبة زينت بزخارف نباتية متداخلة كما هو في المخطط رقم(١)، والتي تشبه الزخارف الموجودة في الجامع المجاهدي في الموصل، ويزين المحراب قنديل أو مشكاة تتدلى بسلاسل تشبه تلك الموجودة على محراب مرقد يحيى بن القاسم والامام عون الدين، ويحيط بالمحراب شريط عليه آية الكرسي ((بسم الله الرحمن الرحيم الله لا اله الا هو الحي القيوم....)[١]،يبدأ اسفل يمين المحراب ويستمر حتى النهاية المقابلة لها في جهة اليسار، الا انه بحدود نصف الكتابة التي على جهة اليسار قد سقطت كما هو واضح في المخطط رقم(٢)، وان هناك شريطا آخر من الكتابة هي آيات قرآنية في اسفل نصف القبة التي تعلو المحراب وهي أيضا تحيط بها، الا أنها تصعب قرأتها لعدم وضوحها، ويزين المحراب أيضا زخارف متنوعة لا مبرر لايراد تفاصيلها[٢].

وفي الواجهة القبلية من المصلى فوق المحراب وابتدأ من اليمين هناك شريط من الكتابة يقوم أيضا على طبقة جصية ويبدأ بالبسملة ومن ثم قوله تعالى ((انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر...))[٣] وتستمر الكتابة إلى نهاية الضلع، حيث أنها كانت تحيط بالغرفة، الا أن الجهة الشرقية من المصلى تخلو منها ويبدو أنها تساقطت، الا أنها تبدأ بالظهور من جديد وعلى نفس

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٢) للمزيد عنها انظر: عبو: القباب ١/١٦٨-١٧٣، نجاة يونس التوتونجي: المحاريب العراقية منذ العصر الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي ص ص ١٨٠- ١٨٣،
Friedich Sarre Undernst Herzfeld: Archaologische reise im Euphrat- und tigris- Gebiet, I/١٠-١٢.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٨.

الطـراز في الضـلع الشـمالي منهـا ولكنهـا قليلـة حيـث لا يزيـد طولهـا علـى (٣٠سـم) والبـاقي قـد سـقط أيضـا، وتسـتمر الكتابـة علـى الضـلع الغربـي، وقـد تعرضـت قسـم منهـا للتلـف، كمـا طليـت نهايتهـا بـالجص بحيـث غطـت الكتابـة ولا يمكـن معرفـة اسـم بـاني المرقـد مـن هـذه الكتابـة وذلـك لتعرضـها للتلـف والتشـويه، الا أن الطـراز الفـني لهـذه الكتابـة تشـبه مـا هـو وارد علـى بقايـا دار الملكـة (القـرة سـراي) في الموصـل والـتي تم تشـييدها في عهـد بـدر الـدين لؤلـؤ ويعلـو هـذا الشـريط الكتـابي مجموعـة مـن المقرنصـات[١] والـتي اقيمـت عليهـا قاعـدة القبـة الدائريـة الـتي تغطـي سـقف المصـلى، والـتي هـي مـن الخـارج علـى شـكل نصـف كـرة، وفي يمـين المصـلى هنـاك مـدخل مـبني مـن الرخـام والجـص وعليهـا كتابـة تشـير إلى اسـم محمـد بـن زمـام السـنجاري المعـروف بالرشـيد كمـا هـو واضـح في الصـورة رقـم(٦)، ونظـرا لـورود اسـمه علـى مـدخل غرفـة الضـريح، اضـافة إلى الشـريط الكتـابي الـذي يحـيط بالغرفـة مـع لقبـه البـدري نسـبة إلى بـدر الـدين لؤلـؤ[٢]، والـتي تعتـبر مـن البنـاء الاصـلي، يبـدو انـه كـان المتـولي علـى بنـاء المرقـد في اغلـب الظـن[٣] ولكـن مـن دون الاشـارة إلى تـاريخ ذلـك، ويـؤدي هـذا المـدخل الواقـع في يمـين المصـلى إلى غرفـة صـغيرة تخلـو مـن الزخـارف والنقـوش والمقرنصـات، وتعلوهـا نصـف قبـة كرويـة، يـرى الـبعض أنهـا مضـافة إلى البنـاء الاصـلي[٤]، ولكـن المـرجح هـو أن هـذه كانـت جـزءا مـن البنـاء الاصلي الا أنها تهدمت لسبب أو لآخر، فاعيد بناؤها على صورتها الحالية[٥].

وهنـاك مـدخل آخـر في يسـار غرفـة المصـلى يـؤدي إلى غرفـة الضـريح، وهـذا البـاب أيضـا مـبني مـن الجـص والرخـام ومـزين بنقـوش وزخـارف، ويحمـل اضـافة إلى اسـم محمـد بـن زمـام السـنجاري الـذي سـبق ذكـره، اسـم احمـد المنجـد الـذي يبـدو انـه

---

(١) ((المقرنصات أو الدلايات... حليات معمارية تشبه خلايا النحل،... وتستعمل للزخرفة المعمارية أو للتدرج من شكل إلى آخر ولاسيما من السطح المربع إلى سطح دائري تقوم عليه القباب)) حسن: فنون ص١٥٢.

(٢) Herzfeld: Archaologlische, ١/١١.

عبو: القباب ١٦٨/١.

(٣) عبو: القباب ١٧١/١، التوتونجي: المحاريب ص١٨١.

(٤) عطا الحديثي وهناء عبد الخالق: القباب المخروطية في العراق ص٦١.

(٥) عبو: القباب ١٦٩/١.

كان البناء الذي شيده[١].

وعلى جانبي المدخل المؤدي إلى غرفة الضريح هناك قطعتان من الرخام مزينتان بزخارف نباتية نافرة وعلى درجة كبيرة من الدقة والاتقان، وتشبه تلك التي تزين مرقد يحيى ابن القاسم في الموصل، كما أنها تعبر عن المستوى الذي وصل اليه فن النقش والزخرفة في هذه الحقبة.

اما الضريح فانه مبنى من الرخام وعليه آية الكرسي، ومزين بزخارف نباتية، في غرفة مستطيلة الشكل تعلوها قبة مخروطية تقوم على مجموعة من المقرنصات التي اتخذت كوسيلة للانتقال من القاعدة المستطيلة إلى القاعدة الدائرية والتي تقوم عليها القبة، وهي تشبه خيم أمراء البدو في اسيا ووصل هذا الفن إلى هذه الجهات مع مجئ السلاجقة[٢].

وهناك مدخل آخر شرقي المرقد ومنفصل عن غرفة الضريح مبني بالجص والرخام وتزينه زخارف جميلة نقشت عليه، وينتهي هذا الممر بمدخل رخامي آخر حيث يؤدي إلى غرفة مستطيلة تقع في شرقي غرفة الضريح، وهذا المدخل مزين أيضا بزخارف وعلى اسكفة هذا المدخل كتابة تعرضت بعضها للتلف نظرا لوجود اكثر من كسر فيها، وقد تعرض قسم آخر منها للتلف المتعمد حيث ازيلت عنها الكتابة، ومع ذلك بقى منها ما يشير إلى اسم بدر الدين لؤلؤ وتاريخ تشيدها وهو سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م كما هو واضح في الصورة رقم(٧).

ومن الجدير بالذكر أن المرقد قد جدد سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م كما هو وارد على قطعة رخامية مثبتة في واجهة المرقد من الجهة الشمالية على يد سيدي باش ابن خداد، كما هو واضح في الصورة رقم(٨)[٣]، في الوقت الذي يرى الحديثي أن تجديده كان سنة ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م[٤].

---

(١) عبو: القباب ١/١٦٨.

(٢) الحديثي: القباب ص٦١.

(٣) Herzfeld: Archaologlische, ١/١١.

عبو: القباب ١/١٦٨.

(٤) القباب ص٦٢. وعند زيارة المرقد حاولت التأكد من تاريخ التجديد، الا أن السطر الثالث والاخير من الكتابة والتي تحمل اسم المجدد وتاريخ التجديد قد تعرضت للتلف الطبيعي وغدت قراءتها غير ممكنة.

٢- المئذنة

تعد المئذنة من الاثار الاتابكية التي لا تزال بقاياها شاخصة إلى الوقت الحاضر، وتقع في محلة (بربروش) جنوب غربي سنجار، وهي مبنية من الجص والآجر الذي استخدم بطرائق مختلفة محققا بذلك تنوعا زخرفيا جميلا.

وقد تعرضت المئذنة للهدم ولم يبق منها سوى القاعدة وحلقتين من البدن، ويبلغ ارتفاعها الحالي اثنا عشر مترا، وارتفاع القاعدة سبعة امتار[١]، اما قطرها فيبلغ عند القاعدة اربعة امتار، ويقل ذلك كلما قاربنا إلى اعلى المئذنة، حيث يصبح قطر الحلقة الأولى التي على القاعدة ثلاثة امتار تقريبا[٢]، اما قاعدة المئذنة فمثمنة ومزينة بنقوش وزخارف وكتابات كوفية ما عدا ثلاثة[٣] اوجه منها في الجهة الغربية والجنوبية خالية منها، ويبدو أن سبب ذلك هو ملاصقة هذه الجهة للجامع الذي شيدت له المئذنة[٤]، والتي لم يبق منها شئ في الوقت الحاضر نظرا لاشغال تلك الجهة بالشوارع والمباني الحديثة، الا انه كان يحيط بها بقايا اطلال الجامع المذكور[٥]، بينما يرى Herzfeld أن المئذنة كانت ضمن المدرسة التي اسسها قطب الدين محمد للحنفية في سنجار[٦]، في الوقت الذي لم تشر المصادر إلى تأسيس قطب الدين لمثل هذه المدرسة.

وقد زينت وجوه القاعدة الخمس ((بصفين من حنايا ذات اطر مستطيلة وعقود مدببة))[٧]، كما هو واضح في الصورة رقم(٩)، واستخدم في ذلك الآجر الذي تمت تهيئته على الأرض بالشكل المطلوب، ومن ثم ركبت في البناء على طبقة جصية، كما استخدم فيها أيضا الآجر بطرق مختلفة محققا بذلك تنوعا زخرفيا، كما زينت هذه الاطر من الداخل بكتابات كوفية بارزة تعرضت للتلف، ومع ذلك امكن قراءة الكتابة على الضلع الشمالي وهي بالخط الكوفي المربع وهذا نصه ((لا اله الا الله)) وعلى القسم العلوي من الضلع الآخر، ((الحمد لله...)).

---

(١) سليمان: العمارات ١٤٧/١.
(٢) ملف ٣٥/٤٨.
(٣) وقد اخطأ سليمان حيث ذكر أن ضلعين فقط من القاعدة تخلو من الزخارف: العمارات ١٤٧/١.
(٤) نفسه: ١٤٧/١.
(٥) ملف ٣٥/٤٨.
(٦) Herzfeld: Archaologlische, ١/١٠.
(٧) سليمان: العمارات ١٤٧/١.

وفي اعلى الحنايا والزخارف التي تزين القاعدة هناك شريط عليه كتابة قد تعرض بعضها للتلف ويمكن قراءة ما تبقى منها وهذا نصه: ((بسم الله الرحمن الرحيم... بن زنكي اقسنقر في شهر محرم سنة ثمان وتسعين وخمسمائة)) وبذلك يكون بانيها هو قطب الدين محمد بن عماد الدين الذي توفي سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م[١]، بينما اخطأ البعض وذكروا أن سنة بنائها هي ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م[٢]، وبنوا على ضوئها استنتاجا خاطئا مفاده أن مئذنة سنجار هي أقدم المآذن العراقية ذات الابدان الاسطوانية[٣]، مع أن مئذنة الجامع النوري ذات البدن الاسطواني أيضا سبقتها في القدم، حيث بدأ العمل في بناء المئذنة والجامع سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م[٤].

ومما يشار اليه أيضا أن استخدام الكتابة على العمارة في هذه الفترة اصبحت سمة معمارية بارزة، وذلك للتزيين وتثبيت تاريخ البناء وما يتعلق بها[٥].

ويعلو هذا الشريط الكتابي ((صف من حنايا صغيرة ذات عقود مدببة تبرز إلى الامام))[٦] وفي داخل بعض هذه الحنايا زخرفة دقيقة ناتجة عن التفنن في صف قطع صغيرة من الآجر، ويبدو انه كان يعلو هذا الصف من الحنايا صف آخر، استخدمت كمساند لقاعدة الشرفة التي كانت تدور حول بدن المئذنة كما هو واضح في الصورة رقم(١٠)، وكانت هذه الحنايا في اغلب الظن نوعا من المقرنصات التي استخدمت لحمل قاعدة الشرفة.

وبعد هذا الصف من الحنايا يأتي بدن المئذنة الاسطواني، حيث يخترقها سلم حلزوني يدور في داخلها، ويبدأ من مدخل البدن الذي هو في جهة القبلة، وينتهي المدخل من الاعلى بعقد مدبب، ويقع مباشرة بعد الحنايا التي كانت تسند الشرفة، الحلقة الأولى من البدن والتي تنتهي عند النهاية العليا للمدخل خالي من النقوش والزخارف، وينتهي هذا النطاق بشريط يتكون من زخارف

---

(١) Herzfeld: Archaologlische, ١/٩-١٠.
نقولا سيوفي: مجموع الكتابات المحررة في ابنية الموصل ص١٦٦.
(٢) ملف ٣٥/٤٨، سليمان: العمارات ١٤٧/١.
(٣) سليمان: العمارات ١٥٠/١.
(٤) ابن الأثير: الباهر ص١٧٠.
(٥) سليمان: العمارات ٣٧/١.
(٦) نفسه: ١٤٧/١.

هندسية دقيقة ناتجة عن قص الآجر وتهيئته باشكال معينة ومن ثم تركيبه على طبقة جصية، وبمستوى وجه جدار الحلقة الأولى، وتنتهي هذه الحلقة بثلاثة اشرطة ناتجة عن التفنن في صف الطابوق كما هو واضح في الصورة رقم(١).

٣- باب الخان

يقع الخان على الطريق القديم بين الموصل وسنجار وهو اقرب إلى سنجار منه إلى الموصل[١] وقد تهدم ولم يبق من معالمه سوى المدخل الذي سوف نتناوله من الناحية الفنية.

كان الفن الاتابكي هو امتداد للفن السلجوقي في سنجار وغيرها من الجهات التي خضعت لهم ويعبر باب الخان عن الاتجاه الفني الذي ساد ذلك العصر بصورة عامة، من حيث استخدام العناصر الآدمية والحيوانية في النقش والتي كانت سمة من سمات الفن الاتابكي الذي جمع بين الخصائص الفنية السلجوقية وبعض العناصر الفنية المحلية[٢]، وذلك لاستخدامهم ابناء البلاد والاعتماد عليهم في تنفيذ مشروعاتهم العمرانية لذلك نشأ طراز فني قائم بذاته تميز بأستخدام رسوم الكائنات الحية اضافة إلى ((فخامة العمائر واتساعها))[٣]، وكانت للمداخل اهمية كبيرة في هذا الاتجاه الفني الجديد، لذلك اشتهرت بالفخامة وتم تزيينها بالرسوم والزخارف والنقوش والكتابات، ومن هذه المداخل باب الخان الذي نحن بصدد الحديث عنه.

وباب الخان هذا هو من بقايا خان تم تشييده في اواسط القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وكان يقوم ((على قاعدة مربعة الشكل بابراج مستديرة في الزوايا وحجرات مقبوة))[٤]، وكانت هذه الحجرات تدور حول الصحن[٥]، ومداخلها تنتهي بعقد[١].

---

(١) للمزيد من المعلومات عنها انظر: ص ص ١٠٧- ١٠٨ من نفس البحث.
(٢) نعمت اسماعيل علام: فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية ص ص ١٢٧، ١٣٤.
(٣) حسن: الفنون ص١٩.
(٤) كونل: الفن ص٧٢.
(٥) الالفي: الفن ص٢٠٨.

وكان هذا الباب مبنيا من حجر الحلان الاسمر الذي يكثر في هذه الجهات، وينتهي المدخل من الاعلى بعقدة، ويزين قوس المدخل شريط مزين بزخارف هندسية داخل اطارات مدورة ينتهي بنتوء بارز وعلى جانبي قوس المدخل صورة لحيوان خرافي جسمه على شكل ثعبانين ملتفين على بعضهما، بينما يحاول انسان على هيئة ملاك أن يصرعه بحربة كما هو واضح في الصورة رقم(١١)، وكانت هذه الرسومات ترمز لاشياء نجهل حقيقتها لذلك اختلفت الاراء حولها.

ويرى الخوري افرام عبدال أن الثعبان يرمز إلى القوة[٢]، وهناك من يرى أن هذه الصورة ربما اتخذت كطلسم لدفع الشر عن البناء[٣]، اما Herzfeld فيرى أن صورة الانسان يمثل خضر عليه السلام الذي يحضى باهمية كبيرة عند المسلمين باعتباره حاميا للمسافرين لذلك وجد في مكان مخصص لمبيتهم، حيث يحاول أن يصرع الحيوان الخرافي الذي يرمز إلى الشر[٤].

هذا في الوقت الذي يحاول Reitlinger أن يضفي على هذه الرسوم طابعا نصرانيا، حيث يقول أن نقوش الخان ورسومها نصرانية، لانها كانت واقعة في منطقة نصرانية، بل أن الخان نفسه كان فندقا نصرانيا[٥].

ويبدو انه اخطأ في رأيه لاكثر من سبب، منها اننا لم نعثر طيلة فترة البحث عن وجود أي نشاط نصراني متميز في هذه الجهات سوى اشارات متفرقة[٦]، اما التشابه الفني من حيث الرسوم الموجودة على باب الخان وتلك الموجودة على بعض المعابد النصرانية فلا يعني أن مصدرها من الأخيرة، وانما كان ذلك سمة فنية سادت ذلك العصر وشملت الكنيسة والمسجد والقصور وغير ذلك كما تبين.

ويحيط بباب الخان شريط عليه كتابة قد تعرض بعضها للتلف وسوف نقتبس منها ما يشير إلى اسم بانيها ومنها ((.....السلطان الملك الرحيم العالم

---

(١) ملف ٣٥/٤٨ ق٢.
(٢) اللؤلؤ النضيد في تارخ دير مار بهنام الشهيد ص١٣٢.
(٣) الديوەجي: الزخارف الرخامية في الموصل، مجلة سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثاني، سنة ١٩٦٤، ص١٧٣.
(٤) Herzfeld: Archaologlische, ١/١٣.
(٥) Medival Antiquities West of Mosul, Iraq, Vol. V part٢. p.١٥٠.
(٦) انظر: ص ص١٤٧– ١٤٨ من نفس البحث.

العـادل المؤيـد؟ المظفـر المنصـور المجاهـد المـرابط المثـاغر الغـازي بـدر الـدنيا والـدين ركـن الاسـلام والمسـلمين ناصـر الحـق بـالبراهين منصـف المظلـومين مـن الظـالمين...)) انـه اذن يحمـل اسـم بـدر الـدين لؤلـؤ حـاكم الموصـل والقابـه، ممـا يـدل علـى انـه شـيد في عهـده[١]، ويؤيـد ذلـك ورود بعـض هـذه الالقـاب علـى القـرة سـراي في الموصـل مقـر حكومة بدر الدين لؤلؤ.

٤- محراب كوكمت

ومـن الاثـار الاخـرى الـتي تـدل علـى تطـور الحركـة الفنيـة في سـنجار خـلال هـذه الفـترة، محـراب كوكمـت، الـذي عثـر عليـه في جنـوب شـرقي سـنجار وسمـي باسـم الخرائـب الـذي وجـد فيهـا والمعروفـة بكوكمـت عنـد اليزيديـة[٢]، وتعـني مسـخر الجبال[٣].

كانـت واجهـة المحـراب مبنيـة بـالحلان وكسـيت بطبقـة جصـية، حيـث يزينهـا خمـس وعشـرون حشـوة علـى شـكل محاريـب صـغيرة ومزينـة أيضـا بصـور آدميـة وزخـارف نباتيـة، والصـور الآدميـة متشـابهة جميعـا مـن حيـث الشـكل وهـي تحمـل مـن الاسـلحة السـيف والقـوس والحربـة والكـرة والصـولجان الـتي كانـت مـن شـارات الحكـم، كمـا أن بعـض هـذه الحشـوات الآدميـة قـد اصـابها التلـف ولا يمكـن معرفـة الاسـلحة الـتي كـانوا يحملونهـا علـى وجـه التحديـد، ويعلـوا تجويـف المحـراب المـبني مـن حجـر الحـلان الاسمـر نصـف قبـة زينـت بالمقرنصـات[٤]، كمـا هـو واضـح في الصـورة رقم(١٢).

ومـن الجـدير بالـذكر أن ثمـة خـلاف بـين المـؤرخين حـول طبيعـة هـذا الشـاهد الاثـري حيـث يـرى الـبعض انـه كـان محرابـا لجـامع[٥]، وممـا يؤخـذ علـى هـذا الـرأي هـو اننـا لم نعثـر لحـد الآن علـى محـراب واحـد لجـامع مـزين بصـور آدميـة، اذ أن

---

(١) Herzfeld: Archaologlische, ١/١٤.
Reitlinger: Iraq Vol. V part ٢, p.١٥٠.
سيوفي: مجموع ص١٦٦.

(٢) Reitlinger: Op. Cit, p.١٥٢.

(٣) ملف ٣٥/٦١.
(٤) للمزيد من المعلومات عنها انظر: التوتونجي: المحاريب ص ص ١٥١-١٥٤.
(٥) Reitlinger: Op. Cit, p.١٥٢.

الفقهاء حرموها مستندين في ذلك على بعض الاحاديث[1]، في الوقت الذي يرى الديوهجي أنها ((ربما كان مدخلا أو شباكا مسدودا اتخذ لتزين الغرفة التي تكون فيها))[2]، بينما يرى كريسول أنها كانت ((عبارة عن فجوة داخل قصر بنى لوضع العرش فيه أو انه مدخل يؤدي إلى المسجد مباشرة حتى يتمكن السلطان من الذهاب إلى الصلاة بدون أن يقابل عامة الناس))[3]، ومما يعارض رأي كريسول هو اننا لم نعثر طيلة فترة البحث على اشارة واحدة عن اعتزال الحكام في سنجار عن الرعية، وغير ذلك من الاراء التي لا يمكن التسليم بها[4].

وفي اغلب الظن أن الخرائب التي اكتشفت فيها المحراب هي بقايا المدرسة العمادية نسبة إلى مؤسسها عماد الدين زنكي حاكم سنجار (ت٥٩٤هـ) وذلك لاعتبارين: اولهما هو طابعها الديني حيث عثر فيها على بقايا كتابات قرآنية، هي قطع جبسية ومآذن ومسجد، وثانيهما أنها تشبه في تخطيطها العام المدارس التي كانت قائمة في تلك الفترة، كما انه عثر على المحراب في غرفة ربما كانت ضريحا لعماد الدين مؤسس هذه المدرسة[5]، وعلى ضوء ذلك يمكن الاخذ برأي السيدة التوتونجي إلى حد ما، وهي رغبة عماد الدين زنكي أن يزين ضريحه بصور تخلد اعماله الحربية، مع أنها اخطأت في تحديد بداية حكمه في سنجار وذكرت سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م[6]، بدلا من سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م[7].

غير أن ما يؤخذ على هذا الرأي هو أن صور الاشخاص الواردة على واجهة هذا المحراب لم ترد على عملة عماد الدين زنكي (ت٥٩٤هـ/ ١١٩٧م)، وكذلك على عملة ابنه قطب الدين محمد (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م) بأعتبارها تعود إلى فترة حكمهما، وانما وردت على عملة سنجار[8] بعد أن انتهى فيها حكم الاتابكة سنة ٦١٧هـ/

---

(١) سليمان: العمارات ٣٩/١، حسن: مدرسة بغداد في التصوير الإسلامي، مجلة سومر، المجلد الحادي عشر، الجزء الأول، سنة ١٩٥٥، ص١٥.
(٢) الزخارف، سومر، المجلد العشرون، الجزء الأول والثاني، سنة ١٩٦٤، ص١٧٣.
(٣) التوتونجي: المحاريب ص ص ١٥٥-١٥٦.
(٤) نفسه: ص ص ١٥٤-١٥٦.
(٥) ملف ٣٥/٦١.
(٦) المحاريب ص١٥٧.
(٧) ابن الأثير: الباهر ص ص ١٥٢-١٥٣.
(٨) المتحف العراقي: المسكوكات ٨٨٧٥ – مس م، ٣١٦٧ مس م، ٩٦٥٣ – مس م، ٩٧١٦ مس م.

١٢٢٠م كما تقدم ذلك في الفصل الأول، وخضعت للحكم الايوبي.

والاعتراض الآخر على الرأي المذكور هو أن المقرنصات التي استخدمت لتزيين سقف تجويف المحراب يشير إلى تطور كبير في استخدام هذا الفن المعماري الذي لم نعثر له على وجود في سنجار ايام عماد الدين زنكي، حيث ظهرت بداياته الأولى في مئذنة سنجار التي بنيت في عهد قطب الدين كمساند لشرفته التي كانت تستخدم للآذان[1]، لذلك يمكن القول أن هذا المحراب شيد في سنجار بعد انتهاء الحكم الاتابكي فيها في النصف الأول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) أي في العهد الأيوبي أو بعد خضوعها لحكم بدر الدين لؤلؤ في الموصل وليس في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) كما افترضتها الباحثة المذكورة.

(١) سليمان: العمارات ١٤٧/١.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة العلمية والمنهجية المستفيضة لتاريخ مدينة سنجار خلال فترة الحكم الاتابكي الزنكي والايوبي (٥٢١-٦٦٠هـ/ ١١٢٧-١٢٦١م)، والتي تعتبر نموذجا للكيانات السياسية التي شهدتها المنطقة خلال تلك الفترة تبين لنا جملة امور منها:

أن مركزية الحكم لم تعد تجربة ناجحة في المشرق الإسلامي، أو على الاقل خلال فترة البحث، وذلك بسبب التحولات العميقة التي شهدتها المنطقة، والتي تعود إلى الفترة التي سبقت البحث بما لا يقل عن قرن، فقد اثبتت الدولتان المركزيتان الرئيسيتان (العباسية السنية في بغداد والفاطمية الشيعية في القاهرة)، انهما غير قادرتان على حكم عموم البلاد التي خضعت لهما بشكل مركزي، فلذلك اكتفيا بالتبعية والنفوذ الاسمي، بسبب نمو الاتجاهات اللامركزية وبشكل قوي بعيدا عن المركز، لا بل واحيانا في داخل المركز نفسه هذا من جهة، وان الدولتين اثبتتا وبما لا يقبل الجدل فشلهما في مواجهة التحديات الخارجية، وبشكل خاص التحدي الصليبي الاوربي الغربي، الذي نجح في نهايات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في تأسيس اربع امارات صليبية على حساب المسلمين عموما، وعلى حساب الدولتين بشكل خاص من جهة أخرى، ويعود هذا التداعي حسب اعتقادي إلى أن هاتين الدولتين كانتا تعيشان خريف عمرهما بعد أن فقدتا كل مقومات الابداع والتحدي.

هذا وقد افسحت ذلك المجال لقوى أخرى اكثر تماسكا وان كانت اقل تطورا كالسلاجقة من السيطرة على مقاليد الأمور في المنطقة، غير أنهم انغمسوا في الصراع على السلطة والنفوذ فيما بينهم بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م سواء على مستوى الاسرة السلجوقية الحاكمة نفسها، أو على مستوى حكام المقاطعات الذين اشتركوا في هذا الصراع كل حسب مصالحه، وقد افرزت كل ذلك المزيد من اللامركزية، من خلال ظهور شكل جديد من اشكال الحكم، وهي ما تعرف بالاتابكيات، ومنها اتابكية سنجار.

ولقد لعبت هذه الاتابكيات دورا هاما في تاريخ المنطقة على المستوى السياسي والحضاري، ومن خلال العوامل التي مكنتها من البقاء والاستمرار، الظروف التي كانت تمر بها المنطقة، وبعد وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م كادت أن تذهب جهوده وجهود والده عماد الدين زنكي من قبل سدى، في توحيد الجبهة الاسلامية وزعامة التحدي الإسلامي للغزو الصليبي، لتنامي الطموحات الشخصية للامراء الذين كانوا محيطين به أولا، ولصغر سنة ابنه الملك الصالح اسماعيل الذي لم يكن مؤهلا للحكم باي شكل من الاشكال ثانيا، وكان ذلك يعني فقدان تلك الاتابكيات لحيويتها واستنزاف مستلزمات بقائها واستمرارها.

عندئذ شاءت الظروف أن يظهر شخص مثل صلاح الدين الايوبي ومن وراء عصبية كوردية متماسكة تمكنت من انتزاع السلطة من أيدي الاتابكة التركمان، وان تتبنى سياستهم الجهادية وتوحيد القوى الاسلامية لمواجهة الغزو الصليبي، وقد مكنته كل ذلك بالاضافة إلى مؤهلاته الشخصية من النجاح، لا بل وكسب قلوب الجماهير التي كانت تبحث عن مثل تلك الزعامة.

وقد تبنى السلطان صلاح الدين هو الآخر اللامركزية في الحكم، باعتبارها افضل اشكال الحكم التي كان بالامكان أن يساهم في تحقيق أهدافه، وكانت معظم مدن الجزيرة التي دخلت تحت سلطانه تتمتع بما نسميه اليوم بالنظام الفيدرالي وهي الابقاء على حكامها السابقين ونظمها التي كانت قائمة فيها، مع الارتباط به والخضوع له من الناحيتين السياسية والدفاعية.

وهكذا اصبحت هذه المدن مستقلة في كل شؤونها الداخلية وعطاءها الحضاري، وكانت جزء من الدولة الايوبية الكوردية في الوقت نفسه، فجيوش هذه الدول كانت تصل إلى خدمة السلطان لغرض الجهاد بمجرد استدعائها، وتعود إلى اوطانها عند توقف القتال أو انتفاء الحاجة إلى خدماتها، وبهذا النظام تمكن من تحقيق الانتصار في حطين وتحرير القدس من الصليبيين، هذا في الوقت الذي تعددت فيه مراكز الاهتمام والابداع الحضاري، ولم يعد الأمر مقتصرا على بغداد والقاهرة ودمشق، وانما كانت هناك مراكز أخرى، لذلك سار العطاء والابداع الحضاري جنبا إلى جنب مع التفوق السياسي والعسكري، وانصبت جميعا كروافد في نهر الحضارة الاسلامية، وانصهرت في بوتقة الدولة الايوبية الكوردية، والتي اثبتت وعلى صعيد الواقع العملي اهلية العنصر الكوردي في حمل الراية وزعامة الامة الاسلامية نحو التحرير والانتصار عندما تتوفر له الظروف... والله الموفق.

موارد البحث

المصادر المخطوطة

الاصفهاني: عماد الدين محمد بن صفي الدين الكاتب (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠).

١- البرق الشامي، مصورة المكتبة المركزية/ جامعة الموصل، الجزء الخامس، رقم (٤٨٤).

الدويهي: اسطيفان (ت ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م).

٢- تاريخ المسلمين، مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب/ جامعة بغداد، رقم (١٣).

الذهبي: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن قايماز الحافظ (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

٣- تاريخ الاسلام، مصورة مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب/ جامعة بغداد، القسم الأول، رقم (١٦٥٩). القسم الثاني، رقم (١٦٦٠).

سپاهى زاده: محمد بن علي (ت ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م).

٤- اوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب/ جامعة بغداد، رقم (٤٢٩).

السمعاني: يوسف لويس (ت ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م).

٥- تواريخ كافة الجثالقة، ترجمة: جيرو نيموس بولص هندي، المكتبة العامة بالموصل، رقم (٩١/٨).

ابن الشعار: أبو البركات كمال الدين المبارك بن ابي بكر الموصلي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).

٦- عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، مصورة كلية التربية/ جامعة الموصل، عن النسخة الاصلية المحفوظة في مكتبة اسعد افندي باستانبول، رقم (٢٣٢٣-٢٣٣٠).

عبد اللطيف: نعمان ثابت.

٧- تاريخ جبل سنجار وتطور ديانته، مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب/ جامعة بغداد، رقم (٧).

ابن ابي عذيبة: احمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م).

٨- انسان العيون في مشاهير سادس القرون، مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب/ جامعة بغداد، رقم (٤٢٩).

٩- مختصر التاريخ الإسلامي، مكتبة اوقاف الموصل، رقم (٥/١١ حسين بك).

ابن شهبة: بدر الدين محمد بن احمد (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

١٠- الاعلام بتاريخ الاسلام، مكتبة المجمع العلمي العراقي، م٤ ق١، رقم (٩ تاريخ القسم الأول).

الكتبي: محمد بن شاكر بن احمد (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).

١١- عيون التواريخ، الجزء الحادي عشر، مصورة على مايكروفلم عن النسخة الموجودة في مكتبة اكسفورد، تاريخ، رقم ١٦٧.

نسخة، د. جزيل عبد الجبار الجومرد، كلية التربية/ جامعة الموصل.

الكرملي: انستاس ماري (ت ١٩٤٧).

١٢- اليزيدية، مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب/ جامعة بغداد، رقم (٣٦٧).

مجهول:

١٣- في ذكر الدولة الايوبية وغيرها، مكتبة اوقاف الموصل، رقم (٦/٢١ زيواني).

مجهول:

١٤- مخطوط يحوي على تراجم بعض علماء الموصل، ضمن مجموعة مخطوطات في مكتبة اوقاف الموصل، رقم (٢٤/٨٢ احمدية).

المصادر المطبوعة

١- القرآن الكريم

٢- التوراة

ابن الأثير: ضياء الدين بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م).

٣- رسائل ابن الأثير، تحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٢.

ابن الأثير: عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

٤- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية (بالموصل)، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣.

٥- الكامل في التاريخ، دار صادر- دار بيروت، بيروت، ١٩٦٦.

٦- اللباب في تهذيب الانساب، مكتبة المثنى، بغداد، بلا تاريخ.

الازدي: أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م).

٧- تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

الاسنوي: جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م).

٨- طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالله الجبوري، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧١م.

الاصطخري: أبو اسحاق محمد بن ابراهيم الفارسي توفي بعد (٣٤٠هـ/ ٩٥١م).

٩- مسالك الممالك، بريل، ليدن، ١٩٢٧.

الاصفهاني: عماد الدين محمد بن محمد الكاتب (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

١٠- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام)، تحقيق: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٩م.

١١- الفتح القسي في الفتح القدسي، بريل، ليدن، ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م.

ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد بن ابراهيم الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

١٢- رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)، دار صادر- دار بيروت، بيروت، ١٩٦٤م.

البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).
١٣- فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.
البنداري: الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م).
١٤- تاريخ دولة آل سلجوق، من انشاء عماد الدين محمد الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ)، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٩٠٠م.
التادفي: محمد بن يحيى (ت٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م).
١٥- قلائد الجواهر، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١٩١٢م.
ابن تغرى بردى: جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م).
١٦- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد امين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
١٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه، القاهرة، بلا تاريخ.
ابن جبير: محمد بن احمد الكناني الاندلسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م).
١٨- رحلة ابن جبير، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٨م.
ابن الجزري: شمس الدين ابي الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م).
١٩- غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣م.
ابن جماعة: بدر الدين محمد بن ابراهيم (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).
٢٠- تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٩٣٤م.
ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).
٢١- المنتظم في تاريخ الامم والملوك، الجزء العاشر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند،١٩٣٩م.
ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين احمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).
٢٢- لسان الميزان، الجزء السادس، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٣٣١هـ/ ١٧١٨م.

الحموي: أبو الفضائل محمد بن علي (ت٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م).
٢٣- التاريخ المنصوري المسماة (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، نشره ووضع فهارسه بطرس غريازينويج، موسكو، ١٩٦٣م.
الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م).
٢٤- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، دار القلم للطباعة، بيروت، ١٩٧٥م.
الحنبلي: احمد بن ابراهيم (ت٨٧٦هـ/ ١٤٧٢م).
٢٥- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.
الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).
٢٦- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠ – ١٣٥١هـ/ ١٩٣١ – ١٩٣٢م.
ابن حوقل: أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م).
٢٧- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، بلا تاريخ.
ابن خردذابة: أبو القاسم عبدالله بن عبدالله (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٧م).
٢٨- المسالك والممالك، اعادت طبعه مكتبة المثنى، بغداد، عن طبعة بريل، ١٨٨٩م.
ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).
٢٩- العبر وديوان المبتدأ والخبر، في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، بلا مكان، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
٣٠- المقدمة، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م.
ابن خلكان: أبو العباس احمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
٣١- وفيات الاعيان وانباء ابناء هذا الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨.
ابن خياط: خليفة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م).
٣٢- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، مطبعة الاداب، النجف، ١٩٦٧م.

الداودي: شمس الدين علي بن احمد (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م).
٣٣- طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٢م.
ابن الدبيثي: محمد بن سعيد بن محمد (ت ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م).
٣٤- المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ابن الدبيثي، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥١م.
ابن ابي الدم: شهاب الدين أبو اسحاق بن ابراهيم الحموي (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م).
٣٥- التاريخ الإسلامي المختصر، دراسة وتحقيق: جزيل عبد الجبار الجومرد، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه من قسم الدراسات العربية في جامعة سانت اندروس، المملكة المتحدة، اسكوتلندة، ١٩٨٤م.
الدمشقي: شمس الدين محمد الانصاري شيخ الربوة (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م).
٣٦- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايبزك، ١٩٢٣، اعادت طبعه مكتبة المثنى، بغداد، عن طبعة لايبزك، ١٩٢٣م.
الدواداري: أبو بكر عبدالله بن ايبك (ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م).
٣٧- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السابع بأسم (الدر المطلوب في اخبار ملوك بني أيوب)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م.
٣٨- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الثامن وهو بأسم (الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية)، تحقيق: الرخ هارمان، القاهرة، ١٩٧١م.
الذهبي: شمس الدين محمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).
٣٩- تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٩١٥م.
٤٠- دول الاسلام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.
٤١- العبر في خبر من غبر، الجزء الخامس، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٦٦م.
٤٢- معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٩م.

ابن الساعي: أبو طالب علي بن انجب تاج الدين (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م).
٤٣- الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير، عني بنشره مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، ١٩٢٤م.
سبط ابن الجوزي: شمس الدين يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).
٤٤- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٩١٥م.
السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م).
٤٥- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناجي، الاجزاء ٦، ٧، ٨، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٦٨-١٩٧١م.
ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).
٤٦- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: ابراهيم الابياري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٥م.
٤٧- الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل المغربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م.
السمعاني: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ/ ١٩٦٦م).
٤٨- الانساب، الجزء السابع، تحقيق: محمد امين دمج، مطبعة محمد هاشم الكتبي، لبنان، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
سهراب:
٤٩- كتاب عجائب الاقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، اعتنى بنسخه وتصحيحه: هانس فون مزيك، مطبعة ادولف هولز هوزن، فينا، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م.
السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).
٥٠- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الجزء الأول، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٦٤م.

الشابشتي: أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م).
٥١- الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥١م.
أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م).
٥٢- الذيل على الروضتين، أو تراجم رجال القرنين السادس والسابع، عني بنشره: عزت العطار الحسيني، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م.
٥٣- الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي محمد امين، مطبعة وادي النيل، القاهرة، ١٢٨٧-١٢٨٨هـ/ ١٨٧٠-١٨٧١م.
ابن شاهنشاه: محمد بن تقي الدين عمر (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م).
٥٤- مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسن حبشي،عالم الكتب، القاهرة، بلا تاريخ.
ابن شداد: القاضي بهاء الدين (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م).
٥٥- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)، تحقيق: جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م.
ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م).
٥٦- الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، الجزء الثالث القسم الأول (قسم الجزيرة)، تحقيق: يحيى عبادة، وزارة الاوقاف والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨م.
الشريشي: أبو العباس احمد بن عبد المؤمن (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م).
٥٧- شرح مقامات الحريري البصري، اشرف على نشره وطبعه وتصحيحه: محمد عبد المنعم خفاجي، المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.
الشعراني: عبد الوهاب (ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٤م).
٥٨- الطبقات الكبرى المسمى (بلواقح الانوار في طبقات الاخيار)، المطبعة العامرة الشرفية، القاهرة، ١٨٩٧م.
ابن الصابوني: جمال الدين أبو حامد محمد بن علي المحمودي (ت ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م).
٥٩- تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقاب، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٧م.

اخوان الصفا وآخرون:
٦٠- اداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الاسلامية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٧م.
الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).
٦١- نكت الهيمان في نكت العميان: تحقيق: احمد زكي، المطبعة الجمالية، القاهرة، ١٩١١م.
٦٢- الوافي بالوفيات:
الجزء الثالث، باعتناء هلمون ريتر، فرانز شتاينر، الطبعة الثانية،
الجزء السادس، باعتناء س. ديد رينغ، فرانز شتاينر،
الجزء الثامن، باعتناء محمد يوسف نجم، فرانز شتاينر،
الجزء التاسع، باعتناء يوسف فان اس، فرانز شتاينر،
الجزء الحادي عشر، باعتناء شكري فيصل، فرانز شتاينر،
طبعت الاجزاء في فسبادن، ١٩٦١- ١٩٨١م.
ابن الصيرفي: أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت بعد سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م).
٦٣- الاشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبدالله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٢٤م.
طاش كبرى زادة: احمد بن مصطفى (ت ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م).
٦٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر اباد الدكن، الهند، بلا تاريخ.
الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ١٩٢٢م).
٦٥- تاريخ الرسل والملوك، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، بلا تاريخ.
ابن عبد الحق: صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م).
٦٦- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، بريل، ليدن، بلا تاريخ.
العبدري: أبو عبدالله محمد بن محمد (كان ابتداء رحلته سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م).
٦٧- رحلة العبدري المسماة (الرحلة المغربية)، تحقيق: محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي، الرباط، ١٩٦٨م.

ابن العبري: غريغورس الملطي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).
٦٨- تاريخ مختصر الدول، وقف على طبعه الاب انطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠م.
ابن عبد الظاهر: محي الدين عبدالله بن نشوان المصري (ت ٦٩٢هـ/ ١٣٩٢م).
٦٩- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
ابن العديم: كمال الدين عمر بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م).
٧٠- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٤م.
العمري: شهاب الدين احمد بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م).
٧١- التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٨٩٤م.
العمري: محمد امين بن خيرالله الخطيب(ت ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م).
٧٢- منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوەجي، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٦٧م.
الغساني: أبو العباس اسماعيل بن العباس بن رسول (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م).
٧٣- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، دار التراث الإسلامي، بيروت، ١٩٧٥م.
الفارقي: احمد بن يوسف بن علي بن الازرق (ت ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م).
٧٤- تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤م.
أبو الفدا: عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٢١م).
٧٥- تقويم البلدان، باعتناء رينود والبارون مان كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.
٧٦- المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، بلا تاريخ.

ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٩٠٧هـ/ ١٤٠٥م).
٧٧- تاريخ ابن الفرات
المجلد الرابع الجزء الأول، عني بتحرير نصه ونشره: حسن محمد الشماع، مطبعة حداد، البصرة، ١٩٦٧م.
المجلد الرابع الجزء الثاني، تحقيق: حسن محمد الشماع، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ١٩٦٩م.
المجلد السابع، تحقيق: قسطنطين زريق، المطبعة الاميركانية، بيروت، ١٩٤٢م.
المجلد الثامن، تحقيق: قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، المطبعة الاميركانية، بيروت، ١٩٣٩م.
المجلد الخامس الجزء الأول، تحقيق: حسن الشماع، دار الطباعة الحديثة، بصرة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
أبو الفرج: قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/ ١٩٤٨م).
٧٨- الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق: محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١. من مكتبة المثنى، بغداد، بلا تاريخ، ومؤسسة الخانجي، القاهرة، بلا تاريخ.
ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م).
٧٩- تلخيص معجم الاداب في معجم الالقاب.
الجزء الرابع القسم الأول، تحقيق: مصطفى جواد، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٢م.
الجزء الرابع القسم الرابع، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، ١٩٦٧م.
الجزء الخامس، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: الحافظ محمد عبد القدوس القاسمي، ١٩٤٠م.
٨٠- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (المنسوبة إلى ابن الفوطي)، تعليق وتصحيح: مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٣٢م.

الفيروز ابادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٣١٨م).
٨١- القاموس المحيط، دار الكتب العلمية- دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. وقد رتبها الطاهر احمد الزاوي على طريقة المصباح المنير واساس البلاغة.
ابن قاضي شهبه: بدر الدين محمد بن احمد (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٤٨م).
٨٢- الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١م.
القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م).
٨٣- اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر- دار بيروت، بيروت، ١٩٦٠م.
القفطي: جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م).
٨٤- انباه الرواة على انباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠- ١٩٧٣م.
٨٥- المحمدون من الشعراء، تحقيق: محمود عبد الستار خان ايم، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، بلا تاريخ.
القلقشندي: أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).
٨٦- صبح الاعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ومذيلة، مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه، القاهرة، ١٩٦٣م.
٨٧- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: ابراهيم الابياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
الكتبي: محمد بن شاكر بن احمد (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).
٨٨- عيون التواريخ، الجزء العشرون، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
٨٩- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣- ١٩٧٤م.
ابن كثير: اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م).
٩٠- البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٩م.

المامقاني: عبدالله بن محمد حسن (ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م).
٩١- تنقيح المقال في احوال الرجال، تحقيق: احمد بن الشيخ محمد حسين الزنجاني، المطبعة المرتضوية، النجف، ١٩٣١م.
المقدسي: شمس الدين أبو عبدالله محمد (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م).
٩٢- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، الطبعة الثانية، بريل، ليدن، ١٩٠٦م.
ابن المستوفي: شرف الدين أبو البركات المبارك بن احمد (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م).
٩٣- تاريخ اربل المسماة (نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل)، تحقيق: سامي الصقار، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.
المقريزي: تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).
٩٤- السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول القسم الأول والثاني، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٤- ١٩٣٦م.
٩٥- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، الجزء الثالث والرابع، مطبعة النيل، القاهرة، ١٣٢٥- ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٧- ١٩٠٨م.
المناوي: عبد الرؤوف (ت ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م).
٩٦- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، صححه وعلق عليه، محمود حسن ربيع، مطبعة الزاوية التجانية، القاهرة، بلا تاريخ.
ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).
٩٧- لسان العرب، دار صادر- دار بيروت، بيروت، ١٩٥٦م.
المنذري: زكي الدين أبو محمد بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).
٩٨- التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، ٣جـ، مطبعة الاداب، النجف ١٩٦٨م، ١٩٦٩م، ١٩٧١م.
ابن منقذ: مؤيد الدولة أبو مظفر اسامة بن مرشد الشيزري (ت٥٨٤هـ/ ١١٨٨م).
٩٩- الاعتبار، حرره: فيليب حتى، د. ف، مطبعة جامعة برنستون، الولايات المتحدة الامريكية، ١٩٣٠.
النعيمي: عبد القادر بن محمد (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢١م).
١٠٠- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، ٢جـ، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٨م، ١٩٥١م.

النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).
١٠١- نهاية الارب في فنون الادب، مطابع كوستاسوماس وشركاؤه، القاهرة، بلا تاريخ.
الهروي: أبو الحسن علي بن أبو بكر (ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م).
١٠٢- الاشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: جانين سورديل طومين، دمشق، ١٩٥٣م.
الهمذاني: رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م).
١٠٣- جامع التواريخ (تاريخ المغول)، م٢ ج١، ترجمة: محمد صادق نشأت وآخرون، دار احياء الكتب العربية ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٦٠م.
ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م).
١٠٤- مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، ٥جـ، الجزء الأول، تحقيق: جمال الدين الشيال، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣م.
الجزء الثاني، تحقيق: جمال الدين الشيال، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٥٧م.
الجزء الثالث، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار القلم، القاهرة، ١٩٧٢م.
الجزء الرابع، تحقيق: حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م.
الجزء الخامس، تحقيق: حسنين محمد ربيع، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٧م.
الواقدي: أبو عبدالله محمد بن عمر(ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م).
١٠٥- فتوح الشام، الجزء الثاني، المطبعة الشرفية، القاهرة، ١٩٠٣م.
ابن الوردي: زين الدين عمر (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).
١٠٦- تاريخ ابن الوردي المسمى (تتمة المختصر في تاريخ البشر)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩م.
ابن ابي الوفاء: محي الدين أبو محمد عبد القادر (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م).
١٠٧- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، الجزء الثاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٩١٣م.
ياقوت: شهاب الدين بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٥٢٨م).
١٠٨- معجم الادباء المسمى (ارشاد الاريب إلى معرفة الاديب)، تحقيق: دافيد صمويل مرجليوث، دار المشرق، بيروت، بلا تاريخ.

١٠٩- معجم البلدان، دار صادر- دار بيروت، بيروت، ١٩٥٧م.

اليعقوبي: احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢هـ/ ١٩٠٤م).

١١٠- تاريخ اليعقوبي، الجزء الثاني، دار صادر- بيروت، بيروت، ١٩٦٠م.

اليونيني: موسى بن محمد بن احمد بن قطب الدين (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م).

١١١- ذيل مرآة الزمان، المجلد الأول الجزء الأول والثاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٩٥٤م.

المراجع العربية والمعربة

ادي شير:

١- تاريخ كلدو وآشور، بيروت، ١٩١٣م.

الالفي: أبو صالح

٢- الفن الإسلامي اصوله فلسفته مدارسه، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

امين: احمد

٣- فجر الاسلام، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٣٣م.

بابان: جمال

٤- اصول واسماء المدن والمواقع العراقية، مطبعة المجمع العلمي الكردي، بغداد، ١٩٧٦م.

باشا: عمر موسى

٥- ادب الدول المتتابعة عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٦٧م.

باقر وسفر: طه وفؤاد

٦- المرشد إلى مواطن الاثار والحضارة، الرحلة الثالثة، مديرية الفنون والثقافة الشعبية في وزارة الثقافة والارشاد، بغداد، ١٩٦٦م.

بدج: سروليس

٧- رحلات إلى العراق، الجزء الثاني، ترجمة: فؤاد جميل، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٨م.

أبو بدر: شاكر احمد

٨- الحروب الصليبية والاسرة الزنكية، الجامعة اللبنانية، كلية الاداب والعلوم الانسانية، قسم الدراسات العليا، ١٩٧٢م.

برصوم: اغناطيوس افرام الأول

٩- اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية، الطبعة الثالثة، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٦م.

البغدادي: اسماعيل باشا
١٠- هدية العارفين اسماء المؤلفين وأثار المصنفين، الطبعة الثالثة، مطبعة وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥٥م، اعادت طبعه بالاوفست، مكتبة الدراسات الاسلامية والجفوي تبريزي، طهران، ١٣٨٧هـ/ ١٩٤٧م.
بكنغهام: جيمس
١١- رحلتي إلى العراق، الجزء الأول، ترجمة: سليم طه التكريتي، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٨م.
التوتونجي: نجاة يونس محمد
١٢- المحاريب العراقية منذ العصر الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي، وزارة الاعلام، مديرية الاثار العامة، بغداد، ١٩٧٦م.
ثابت: نعمان
١٣- الجندية في الدولة العباسية، مطبعة بغداد، بلا مكان، ١٩٣٩م.
جب: السير هاملتون ا.ر
١٤- صلاح الدين الايوبي(دراسات في التاريخ الإسلامي)، حررها: يوسف ايبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م.
جرني: آ. ر
١٥- الحيثيون، ترجمة: محمد عبد القادر محمد، مطبوعات البلاغ، القاهرة، ١٩٦٣م.
جول: اسماعيل بك
١٦- اليزيدية قديما وحديثا، نشرها: قسطنطين زريق، المطبعة الاميركانية، بيروت، ١٩٣٤م.
حتى: فيليب وآخرون
١٧- تاريخ العرب المطول، الطبعة الثانية، الجزء الثالث، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٥٣م.
الحديثي: عطا وهناء عبدالخالق
١٨- القباب المخروطية في العراق، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٤م.

حسن: زكي محمد
١٩- فنون الاسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨م.
٢٠- الفنون الايرانية في العصر الإسلامي، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٦.
حسن: حسن ابراهيم
٢١- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.
الحسني: عبد الرزاق
٢٢- موجز تاريخ البلدان العراقية، الطبعة الثانية، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٣٣م.
٢٣- اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، الطبعة الخامسة، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، ١٩٦٨م.
حسنين: عبد المنعم محمد
٢٣- دولة السلاجقة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥.
الحسيني: محمد باقر
٢٤- العملة الاسلامية في العهد الاتابكي، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٦٦م.
حميد والعبيدي: عبد العزيز وصلاح حسين
٢٥- الفنون العربية الاسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.
خليل: عماد الدين
٢٦- امارة بني ارتق، رسالة دكتوراه، على الالة الكاتبة، كلية الاداب، جامعة عين الشمس، ١٩٦٨م، (نشرت في مؤسسة الرسالة)، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٧- عماد الدين زنكي، الطبعة الثالثة، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل ١٩٨٥م.
٢٨- خودا بخش: صلاح الدين
٢٨- حضارة الاسلام، ترجمة: علي حسن الخربوطلي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.
الدسوق: عمر
٢٩- الفتوة عند العرب

الدملوجي: صديق
٣٠- اليزيدية، مطبعة الاتحاد، الموصل، ١٩٤٩م.
ديماند: م. س
٣١- الفنون الاسلامية، ترجمة: احمد محمد عيسى، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
الديوەجي: سعيد
٣٢- دور العلاج والرعاية في الاسلام، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٦٦م.
٣٣- الفتوة في الاسلام، المطبعة الكلدانية، الموصل، ١٩٤٠م.
٣٤- الموصل في العهد الاتابكي، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٥٨م.
رايس: تامارا تالبوت
٣٥- السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري وابراهيم الداقوقي، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٨٠م.
رنسيمان: ستيفن
٣٦- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، الجزء الثاني والثالث، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨- ١٩٦٩م.
زامباور: ادوارد فون
٣٧- معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، اخراج: زكي محمد حسن بك وحسن احمد محمود، مطبعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥١م.
الزبيدي: محمد مرتضى
٣٨- تاج العروس، دار البيان للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٩٦٦م.
زكي: محمد امين
٣٩- خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الان، ترجمة: محمد علي عوني، الطبعة الثانية، ١٩٦١م.
سلام: محمد زغلول
٤٠- الادب في العصر الايوبي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.
سليمان: عيسى وآخرون
٤١- العمارات العربية الاسلامية في العراق، الجزء الأول، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.

سوسة: احمد
٤٢- الدليل الجغرافي العراقي، مطبعة المساحة، بغداد، ١٩٦٠م.
٤٣- العراق في الخوارط القديمة، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٩م.
٤٤- فيضانات بغداد في التاريخ، الجزء الثالث، مطبعة الاديب، بغداد، ١٩٦٦م.
سيوفي: نقولا
٤٥- مجموع الكتابات المحررة في ابنية الموصل، تحقيق: سعيد الديوةجي، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٥٦م.
الشيخ: محمد محمد مرسي
٤٦- الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، دار الثغر، الاسكندرية، ١٩٧٤م.
الصائغ: سليمان
٤٧- تاريخ الموصل، الجزء الأول، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٢٣م.
الطباخ: محمد راغب بن محمود بن هاشم
٤٨- اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، المطبعة العلمية، حلب، ١٩٢٣م.
عاشور: سعيد عبد الفتاح
٤٩- الحركة الصليبية، الجزء الثاني، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٣م.
عبدال: الخوري افرام
٥٠- اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد، مطبعة الاتحاد الجديد، الموصل، ١٩٥١م.
عبد الرؤوف: عصام الدين
٥١- بلاد الجزيرة في اواخر العصر العباسي، دار القران، القاهرة، ١٩٧٥م.
عبو: عادل نجم
٥٢- القباب العباسية في العراق، رسالة ماجستير على الالة الكاتبة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٧م.
العبود: عبد الكريم توفيق
٥٣- الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦م.

العبيدي: صلاح حسين
٥٤- الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والاثرية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
العدواني: عبد الوهاب محمد علي
٥٥- الادب في ظل الدولة الزنكية، كتاب معد للطبع مكتوبة بالالة الكاتبة
العريني: السيد الباز
٥٦- الشرق الادنى في العصور الوسطى (الايوبيين)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م.
العزاوي: عباس
٥٧- تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الثاني، مطبعة بغداد الحديثة، بلا مكان، ١٩٣٦م.
٥٨- تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، شركة التجارة والطباعة الصالحية، بغداد، ١٩٥٨م.
علام: نعمت اسماعيل
٥٩- فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية، دائرة المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م.
غني: قاسم
٦٠- تاريخ التصوف في الاسلام، ترجمة: صادق نشأت، كلية النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
فرنسيس وعواد: بشير وكوركيس
٦١- نبذة تاريخية في اصول اسماء الامكنة العراقية، بلا مكان، بلا تاريخ.
القزاز: محمد صالح داود
٦٢- الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير ٥١٢- ٦٥٦هـ/ ١١٨- ١٢٥٨م، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٧١م.
كحالة: عمر رضا
٦٣- الفنون الجميلة في العصور الاسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٢م.
الكرملي: الاب انستاس ماري
٦٤- النقود العربية وعلم النميات، الناشر: محمد امين دمج، بيروت، بلا تاريخ.

كريستنس: ارثر
٦٥- ايـران في عهـد الساسـانيين، ترجمـة: يحيـى الخشـاب، مطبعـة لجنـة التـأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.
لسترنج: كي
٦٦- بلـدان الخلافـة الشـرقية، ترجمـة بشـير فرنسـيس وكـوركيس عـواد، مطبعـة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.
لين بول: ستانلي
٦٧- طبقـات سـلاطين الاسـلام، ترجمـة: مكـي طـاهر الكعـبي، دار منشـورات البصـري، بغداد، ١٩٦٨م.
ماجد: عبد المنعم
٦٨- العلاقـات بـين الشـرق والغـرب في العصـور الوسـطى، مكتبـة الجامعـة العربيـة، بيروت، ١٩٦٦م.
مجموعة المؤلفين:
٦٩- العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣م.
محمد: محمود وصفي
٧٠- دراسـات في الفنـون والعمـارة العربيـة الاسـلامية، دار الثقافـة للطباعـة والنشـر، القاهرة، ١٩٨٠م.
مكاريوس: شاهين
٧١- تاريخ ايران، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٨٩٨م.
النعيمي: ناهدة عبد الفتاح
٧٢- مقامات الحريري، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٧٩م.
هنتس: فالتر
٧٣- المكاييـل والاوزان الاسـلامية ومـا يعادلهـا في النظـام المـتري، ترجمـة: كامـل العسلي، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٧٠م.
يونس: سالم محمد
٧٤- العـراق في السياسـة المملوكيـة ٦٥٦- ٧٨٤هـ/ ١٢٥٨- ١٣٨٢م، رسـالة ماجسـتير علـى الالة الكاتبة، كلية الاداب، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.

ELISSEEFF: NIKITA.
١- Nur- ad- Din, P. I. E. Damas, ١٩٦٧.
FREIHERR: MAX
٢- Vom Mittelmeer Zum Persischen Gold Durch Den Houran, Berlin, ١٩٠٠.
GROUSSET: RENE
٣- Histoire des Croisades et da Royaume France de Jerusalem, Paris, ١٩٣٤-١٩٣٦.
LANE- POOLE: STANLEY
٤- Saladin And The Fall Of The Kingdaom Of Jerusalem, London, ١٨٩٨.
٥- Catalogue Of The Oriental Coins In The British Museum, London, ١٨٧٥-١٨٩٠.
HERZFELD: FRIEDRICH SARR
٦- Archaeologische Reise In Euphrat Und Tigrit Gebiet, Berlin, ١٩١١.
SETTON: K. M.
٧- A History Of The Crusades, Pensylvania, ١٩٥٥-١٩٥٨.
STEVENSON: W. B.
٨- The Crusaders In The East, Cambridge, ١٩٠٧.

ئەولیا جەلەبی:

٩- سیاحەتنامەی ئەولیا جەلەبی، ترجمة: سعید ناکام، مطبعة اشبیلیة الحدیثة، اربیل، ١٩٨٧.

حمدالله المستوفي: ابن ابي بكر بن محمد بن نصرت (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م).

١٠- نزهة القلوب، مكتبة طهوري، طهران، ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م.

غالب: اسماعيل

١١- مسكوكات اسلامية قسمدن/ مسكوكات تركمانية قتالوغي، مهران مطبعة، قسطنطينية، ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م.

الدوريات

١- مجلة اداب الرافدين، كلية الاداب/ جامعة الموصل،
العدد السابع، ١٩٧٦م.
العدد الثامن، ١٩٧٧م.
٢- مجلة الاقلام، الجزء التاسع، السنة الثانية، ١٩٦٦م، بغداد.
٣- مجلة سومر، المجلد العاشر، ١٩٥٤م، بغداد.
المجلد الحادي عشر، ١٩٥٥م، بغداد.
المجلد الثالث عشر، ١٩٥٧م، بغداد.
المجلد العشرون، ١٩٦٤م، بغداد.
المجلد الحادي والعشرون، ١٩٦٥م، بغداد.
٤- مجلة كلية الاداب/ جامعة بغداد، العدد الرابع، ١٩٦١م.
٥- مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع، ١٩٥٦م، بغداد.
٦- دليل متحف الموصل، الطبعة الثانية، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٥م.
٧- سجل معروضات متحف الموصل.

الدوريات الاجنبية

Reitlinger: C. R.
Medieval Antiquities West of The Mosul, Iraq, Vol. V, Part ٢.
London, ١٩٣٨.

الموسوعات

١- دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، انتشارات جهان، طهران، بلا تاريخ.
٢- الموسوعة العربية الميسرة، باشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، بلا تاريخ.
العاني: خالد عبد المنعم
٣- موسوعة العراق الحديث، الدار العربية للموسوعات، بغداد، ١٩٧٧م.

The fourth chapter points out the intellectual activities and the role of the rulers in the discouragement and encouragement of these activities.

Teaching and learning institutes such as the Friday prayer mosque (Al-Djami) and prayer mosque (Al-Masdjid) are discussed. A reference is also made to circles of preaching circles, (Halaqat Al-Wacz), frontier posts (Rubut), Khanaqahs zawiyas and local schools, besides, teaching fees, study leaves and rounding up with a wide panorama of religions, linguistic pure science, and literary concerns.

The fifth chapter pictures architectural arts and city planning in the light of archaeological and literary sources. Among the sites which do still exist are the shrine of Sit Zaynab, a section of the minerate, Bab al-Khan, and Mihrab Kucmat. These were used as indicators of Sinjar's architecture in the period concerned.

death in the year of ١١٩٢ A.D. i.e. from the Seljukids reign until the end of the Ayyubids period.

The contribution of Sinjar to literary activities, besides the military ones, are also demonstrable organizations in Sinjar.

It is subdivided into five chapter.

The first Chapter sheds light on the economic life and its related fields such as agriculture, crafts and trade, as commercial routes and standing currency.

The Second Chapter deals with the administration of Sinjar. It traces this aspect through tittles of offices and names of institutions. A comparison with Mosul has also illuminated certain areas in this respect. It seems that the administration of Sinjar followed a parallel line with the Seljukid administration of Mosul. The highest office being that of the Atabik to be followed by steward, the ruler, the governor (Wali), the prefect of the fort, and finally the constructionist which signify both an office and an institution. Other institutions include the treasury (Bayt al-Mal), the post, jurisprudence and the army and its organization.

The third Chapter elucidates social life in Sinjar. It comprises the social structure, including, castes, sects, religions, classes and the states of Woman. It also tackles the multifariour social services and the administration of justice as well as Social customs, traditions such as religious and social celebrations, merry-making, music, singing, sports and finally the Sinjari costumes.

year and Qutb al-Din Mahmud succeeded him. However, this ruler died in ١٢١٩ A.D. only to terminate the rule of the Atabikids on Sinjar whereof it became an Ayyubid province in ١٢٢٠ A.D.

During the Ayyubids sway Sinjar never witnessed stability. This was partly due to political upheavals which had prevailed the whole region since the coming to power of Al-Malik al-Ashraf. Consequently, Sinjar was torn between tow diametrically opposing poles of attraction.

One of these poles was represented by the Khawarizmiyya, while the other was represented by Mosul and its exchange with Damascus in ١٢٣٩ A.D This exchange had the effect of terminating the Ayyubids rule in Sinjar in ١٢٣٩ A.D.

Next comes Badr al-Din Lu'lu' of Mosul who assumed control of Sinjar Himself was a vassal of the Mongols during the first half of the ٧th century of Hijra. Later, that is in ١٢٦٠ A.D., Sinjar became a satellite city of the Mamluk administration.

However vassal dom to the Mamluk did not last long for Sinjar fell to the Mongols in ١٢٦١ A.D.

The supremacy of the Mamluk came as result of the battle they fought and won against Al-Barli's forces which were advancing from Al-Sham and to which some troops from Sinjar were associated.

The second chapter highlights the military role of Sinjar during the Crusades. This comprises the early stages of the Islamic resistance from the year ١١١٣A.D. until Salah al-Din's

SUMMARY

The research topic of this dissertation comprises an introduction in which the researcher discusses ancient and modern literature on Sinjar and the philology of its name. The dissertation is subsequently divided into two major parts.

The First part is subdivided into two Chapters.

The First Chapter tackles the political history of Sinjar commencing the topic with an introduction that details on the advent of Islam and the subsequent Muslim periods until the takeover of the Atabikiyya in Mosul in ١١٢٧ A.D. and the annexation of Sinjar to Mosul. Then the researcher discusses the role of Sinjar in the conflict between Imad al-Din Zinki ibn Aqsunqur and the Caliph al- Mustarshid in ١١٣٢ A.D. Attention is then paid to the attempt of Alap- Arsalan at a seljukid mastery over Mosul, and the upheavals following the assassination of Zinki in ١١٤٦ A.D Here, the researcher spotlights the role of Sinjar in the aftermath of the afore-mentioned assassination, shows how the Sinjar Atabiks succeeded in the establishing themselves in ١١٧٠ A.D., and the circumstances which had surrounded the event.

Episodes of the conflict between the Atabiks and Nür al-Din Mahmud in ١١٧٣A.D. and sultan Salah al-Din and exchange of Sinjar with Allepo twice in less than a year are also discussed. The Chapter goes on to elucidate Sinjar's part in the diverse events and contra dictory pacts which emerged after Salah al-Din's death in ١١٩٣ A.D. Imad al-Din died next

الملاحق

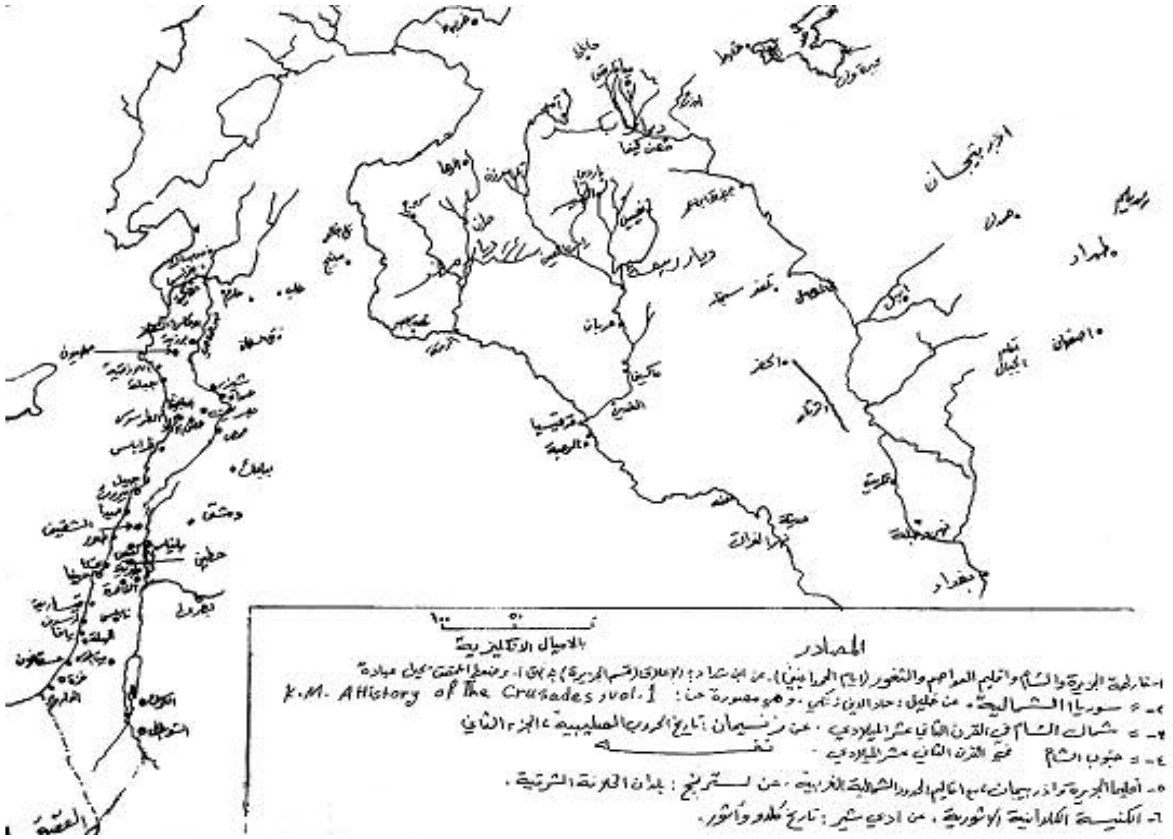
بالاميال الانكليزية
المصادر
١- تاريخ الحروب الصليبية (ايام الحروبيين). عن ابن شداد: (الاعلاق الخطيرة) بجزئيه ١، ٢ وقطع المتحف بحيل مبادة
K.M. A History of the Crusades vol. I
٢- = سوريا الشمالية = من خليل: حداد الدين زنكي، وهو مصورة عن:
٣- = شمال الشام في القرن الثاني عشر الميلادي = عن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية الجزء الثاني
٤- = جنوب الشام = في القرن الثاني عشر الميلادي
٥- اقليما الجزيرة وآذربيجان، واقليم الحدود الشمالية الغربية، عن لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية.
٦- الكنيسة الكلدانية الاشورية، من ادي شير: تاريخ كلدو وآشور.

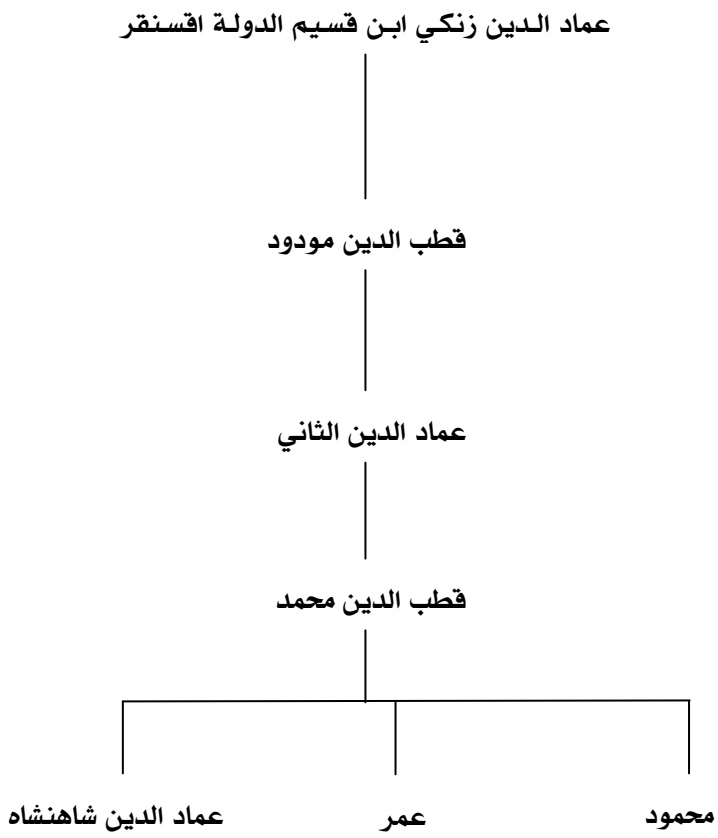

شجرة نسب اتـابكة سنجـار

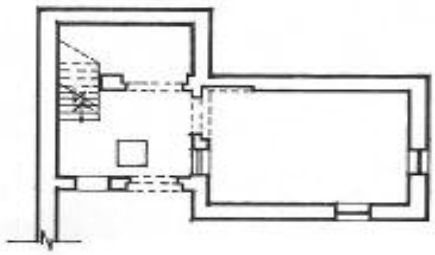

المخطط الافقي للدعامة

اللوحة رقم (١)

دعامة باب الجبل

صورة رقم (١)
النسر الخرافي ذو الرأسين
مستل من كتاب العملة
الاسلامية للحسيني ص٢١٧

صورة رقم (٢)
حمامات سنجار القديمة تعلوها قبة نصف كروية

صورة رقم (٣)
يظهر فيها البناء المتدرج

المخطط رقم (١)

الزخارف النباتية التي تعلو محراب المرقد

مستل من كتاب القباب ص٦٠

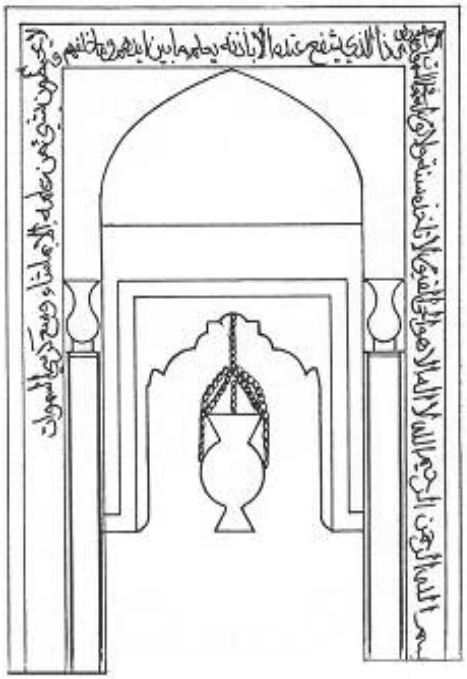

المخطط رقم (٢)

مخطط محراب السيدة زينب

مستل من كتاب المحاريب العراقية للتوتونجي شكل (٦١)

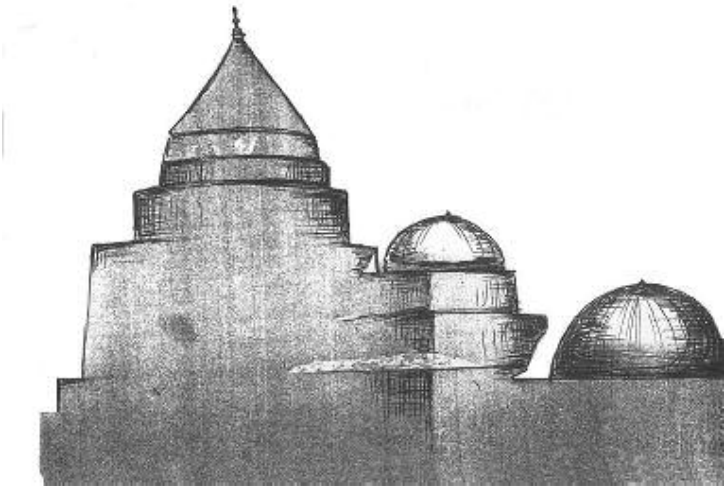

صورة رقم (٤)

المظهر الخارجي لمرقد الست زينب ويعلوه القبة

المخروطية و بجانبه القبتان النصف كروتيان

مستل من كتاب القباب لسليمان وآخرون ص٥١

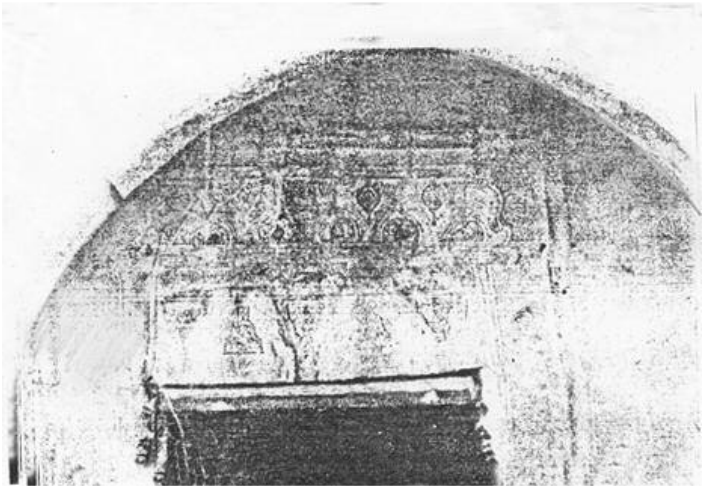

صورة رقم (٥)

المظهر الخارجي لمدخل المرقد

مستل من المرجع اعلاه ص١٥٣

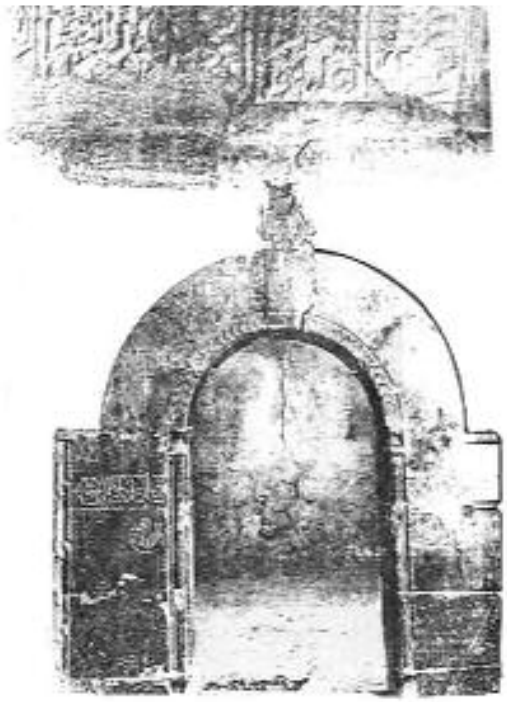

صورة رقم (٦)
المدخل الغربي في المرقد المؤدي الى غرفة صغيرة
مستل من كتاب القباب ص١٥٧

صورة رقم (٧)
الكتابة والنقوش الموجودة على اسكفة المدخل
المؤدي الى الغرفة المستطيلة
مستل من كتاب القباب ص١٥٣

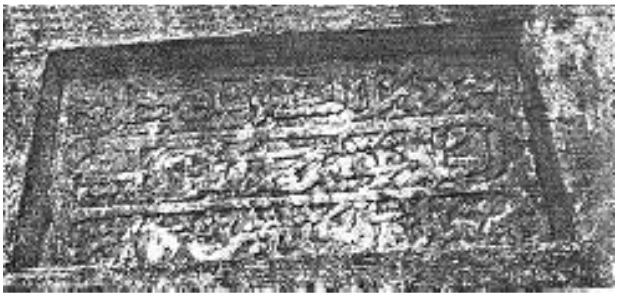

صورة رقم (٨)

قطعة رخامية في الواجهة الشمالية من المرقد تشير الى

اسم المجد وتاريخ التجديد/ مستل من كتاب القباب ص/١٥٣

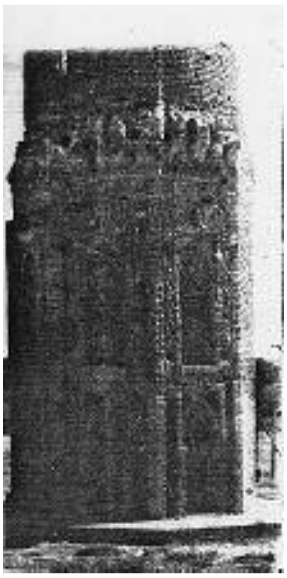

صورة رقم (٩)

قاعدة المئذنة وعليها صفوف من

الخلايا التي تزينها

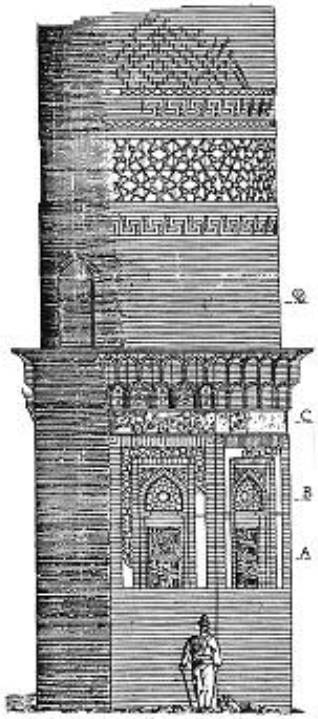

صورة رقم (١٠)

مئذنة سنجار والنقوش والزخارف التي تزينها، اضافة الى المقرنصات

التي كانت تسند الشرفة/ مستل من كتاب

Herzfeld: Archaologische, band٢, Tafel LXXXVI

صورة رقم (١١)

ملاك يحاول ان يصرع حيواناً على

مدخل الخان/ مستل من:

Herzfeld: Archaeologische

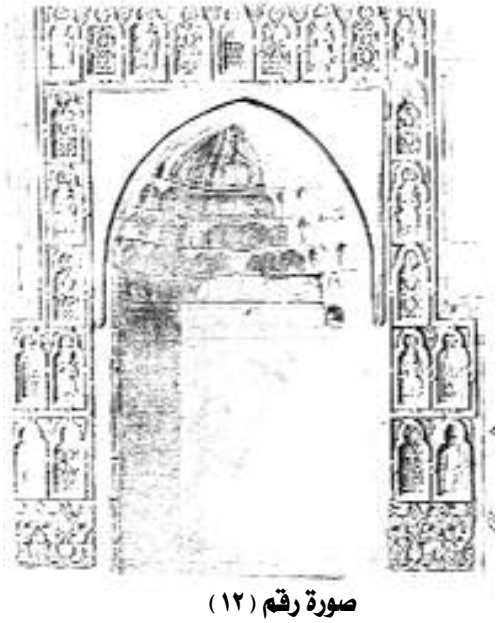

صورة رقم (١٢)

محراب كوكمت ويعلو المقرنصات تجويفها من الاعلى

مستل من كتاب المحاريب صورة (٢٩)

الفهرست

المقدمة ٩
تحليل المصادر والمراجع ١٥
المدخل: الموقع الجغرافي واصل التسمية ٢٥

البـاب الأول/ التاريخ السياسي – العسكري

الفصل الأول/ التاريخ السياسي ٣٣
سنجار من الفتح الإسلامي إلى الحكم الاتابكي ١٨ - ٥٢١هـ/ ٦٣٩ - ١١٢٧م ٣٣
قيام اتابكية الموصل وخضوع سنجار لها ٥٢١ - ٥٦٦هـ/ ١١٢٧ - ١١٧٠م ٤٠
موقف اتابكية سنجار من الصراع بين الاتابكة والايوبيين ٥٤
مبادلة سنجار بحلب للمرة الأولى ٥٧٧هـ/ ١١٨١م ٥٧
استيلاء صلاح الدين على سنجار ومبادلتها بحلب ٥٧٨هـ - ١١٨٢م ٦٠
دور سنجار في الصراع بين الموصل وصلاح الدين ٥٨١هـ - ١١٨٥م ٦٩
تحالف الموصل وسنجار ضد الملك العادل ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م ٧٠
الخلاف بين الموصل وسنجار وتدخل الملك العادل ٥٩٤هـ - ١١٩٧م ٧٣
تحالف سنجار والموصل وجزيرة ابن عمر مع مصر ضد الملك العادل ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م ٧٥
تحالف الموصل وسنجار وماردين وحلب ضد الملك العادل ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م ٧٧
اشتراك الموصل وسنجار مع عسكر العادل في حصار ماردين ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م ٧٨
انضمام سنجار إلى العادل والخلاف مع الموصل ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م ٧٩
حصار العادل لسنجار والتحالف ضده وتدخل الخلافة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م ٨١
التحالف مجددا ضد العادل ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م ٨٧
سقوط اتابكية سنجار ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م وخضوعها للحكم الأيوبي ٨٨
وصول المغول إلى سنجار ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م ٩٢
حصار بدر الدين لؤلؤ لسنجار ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م ٩٣
مبادلة سنجار بدمشق ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م ٩٦

استيلاء بدر الدين لؤلؤعلى سنجار وخضوعها لحكم الموصل ٦٣٧ - ٦٥٩هـ/١٢٣٩ - ١٢٦٠م ٩٨
خضوع سنجار للمماليك وسقوطها بيد المغول ٦٥٩ - ٦٦٠هـ/ ١٢٣٩ - ١٢٦١م. ١٠١
معركة سنجار وسقوطها بيد المغول ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م ١٠٣
الفصل الثاني/ التاريخ العسكري ١٠٥
دور سنجار في الحروب الصليبية ١٠٥
المراحل المبكرة ١٠٥
عصر الناصر صلاح الدين ١٠٦
دور سنجار في الحروب الصليبية بعد وفاة الناصر صلاح الدين..... ١٢٢

الباب الثـاني/ النشاط التجاري

الفصل الأول/ الحياة الاقتصادية ١٢٥
الزراعة ١٢٥
الصناعة ١٣١
التجارة وطرق المواصلات ١٣٢
العملة ١٣٨
الفصل الثاني/ الحياة الاجتماعية ١٤٥
التركيب الاجتماعي ١٤٥
الخدمات الاجتماعية ١٤٨
العادات والتقاليد ١٤٩
الفصل الثالث/ النظم الادارية ١٥٣
الاتـابكية ١٥٥
النيابة ١٥٦
الوزارة ١٥٧
ولاية المدينة ١٥٨
ولاية القلعة ١٥٩
الرئاسة ١٦٠
الانشاء ١٦١
بيت المال ١٦٢

البريد ١٦٣
القضاء ١٦٤
الجيش ١٦٨
الفصل الرابع/ الحياة الفكرية .....
دور الحكام في الحركة الفكرية ١٧١
مراكز التعليم في سنجار/ أ- المساجد والجوامع ومجالس الوعظ ١٧٣
ب- الربط والخانقاهات والزوايا ١٧٥
ج- المدارس ١٧٧
د- دور الكتب وحوانيت الوراقين ومجالس العلماء ١٧٨
التدريس والاجازات العلمية والاجور ١٧٩
العلوم والاداب ١٨٠
الفصل الخامس/ فن العمارة وخطط المدينة ١٨٩
١- مرقد السيدة زينب ١٩٥
٢- المئذنة ١٩٩
٣- باب الخان ٢٠١
٤- محراب كوكمت ٢٠٣
الخاتمة ٢٠٧
موارد البحث ٢٠٩
ملخص البحث باللغة الانكليزية ٢٣٩
الملاحق ٢٤١
الفهرست ٢٥٣